
الفيصل
د. يوسف زيدان: الروائي مبدع لا مجرم
الشباب الدائم.. الحلم الأزلي
الخيال والإبداع في الفنون التشكيلية
حديقة التجارب.. قلب الجزائر النابض
مجلة ثقافية شهرية - رجب-شعبان ١٤٣١هـ / يونيو-يوليو ٢٠١٠م
مسلمو أوربا
انعزال أم اندماج؟



طالعوا موقع
«الفيصل»
الإلكتروني



المحتويات

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين
محسن بن حمد الخرانة
حوى النبي علي صالح
سيد علي الجعفري

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالا سعوديا للأفراد، ٢٥٠ ريالا سعوديا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥، ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية

٤١/٢٤٥٠
ردمد ١٤١١-٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية



منذ العقد السادس من القرن الماضي وأوربا تشهد موجات متعاقبة من القدوم من الدول الإسلامية، وكان الجيل الأول قد وصل في الخمسينيات والستينيات، وكان مجيئه مصاحباً لحركات التحرر الوطني واستقلال الدول الإسلامية؛ ثم شهدت السبعينيات والثمانينيات ما عُرف بالصحوة الإسلامية في الدول الإسلامية. وشهدت أيضاً في أوربا ظهور الجيل الثاني، الذي يجد نفسه حائراً بين الانعزال والاندماج.

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تقبل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر عن عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب "قراءات" مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحروف اللاتينية.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي "رسائلكم" و"ردود وتعقيبات".
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث النبوية من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصاً القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

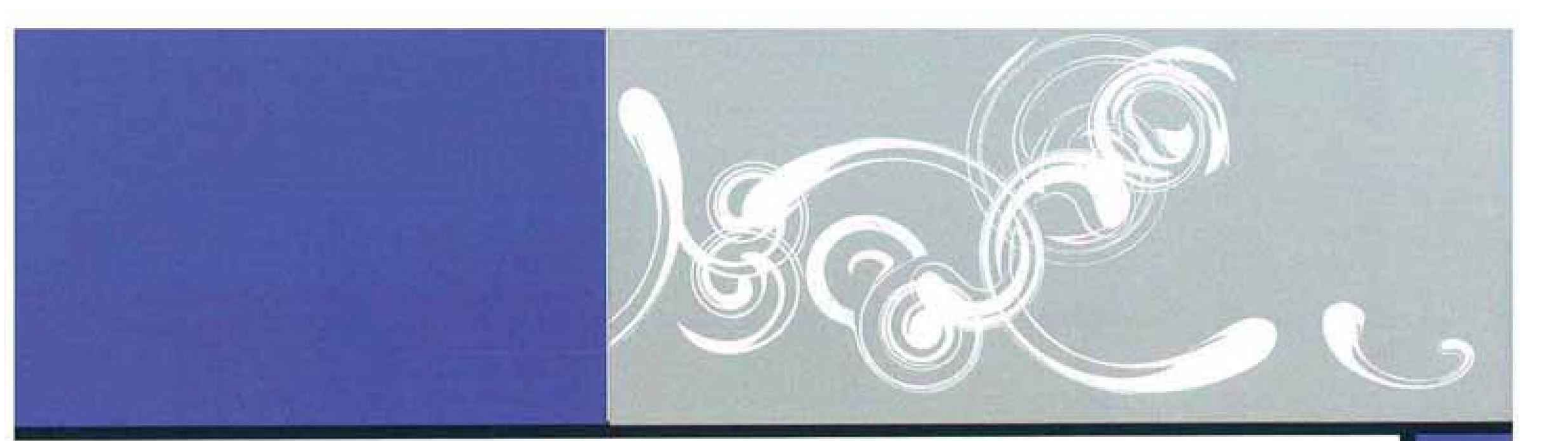
الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات، الكويت ٥٠٠ فلس، الإمارات ١٠ دراهم، قطر ١٠ ريالات، البحرين دينار واحد، عُمان ريال واحد، الأردن ٧٥٠ فلساً، اليمن ١٠٠ ريال، مصر ٤ جنيهات، السودان ١٠٥ جنيه، المغرب ١٠ دراهم، تونس ٢٥٠ دينار، الجزائر ٨٠ ديناراً، العراق ٨٠٠ فلس، سورية ٤٥ ليرة، ليبيا ٨٠٠ درهم، موريتانيا ١٠٠ أوقية، الصومال ٢٠٠٠ شلن، جيبوتي ١٥٠ فرنكاً، لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية، الباكستان ٢٠ روبية، المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد

الموزعون

السعودية، الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع، هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر، مؤسسة توزيع الأهرام، شارع الجلاء، هاتف ٥٧٤٩٠٩٤-٢٠٢، فاكس ٥٧٤٩٠٩٦-٢٠٢، سورية، المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٣٠١٢ هاتف ٩٦٣١١٢١٢٨٣٢، فاكس ٩٦٣١١٢١٢٥٣٢، تونس، الشركة التونسية للصحافة، ٣ نهج المغرب، ص.ب ٧١٩ فاكس ٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤، هاتف ٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩، قطر، دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٩ فاكس ٤٦٦١٨٦٥-٩٧٤، الأردن، شركة وكالة التوزيع الأردنية، ص.ب ٣٧٥ هاتف ٥٦٣٠١٩١، فاكس ٥٦٣٥١٥٢-٩٦٢٦، البحرين، مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٥٠٠٠، فاكس ٥٣١٢٨١-٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة، مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٣٥٦٦٦٤، فاكس ٢٦٦٩٨٢٧-٩٧١٤، الكويت، شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤٠١٧٨١٠/١١/١٢، فاكس ٢٤٠١٧٨٠٩-٩٦٥، المغرب، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس ٢٢٤٠٢٤٢٢/٣٣-٢١٢، ت ٢٢٤٠٢٢٢٣، الجمهورية اليمنية، القائد للنشر والتوزيع هاتف ٣٠٤٢٠١٠-٩٦٧، فاكس ٢٠٤٩٠٩٧٢



ابتسم من فضلك!

عبارة جميلة لطيفة ظريفة، وأمر خفيف الدم. هذه العبارة كنتُ قد وضعتها عنواناً لكتابي (ابتسم من فضلك)، الذي بدأته قبل سنوات، ثم انشغلتُ عنه بكتيبات ستة: بنو الأثير، وصبا نجد، والبير، وديوان السامري والهجيني، وديوان حميدان الشويعر، ومعجم المطبوع من دواوين الشعر العامي القديمة، بعد أن حشدت له أكثر من ٧٠ كتاباً من كتب الفكاهة التي تضمّها مكتبتي ومكتبة قيس للكتب والجرائد القديمة، وكذلك مجلات الفكاهة القديمة: مجلدات الفكاهة المصرية (١٩٢٦م)، والاثنين، والدنيا، والبعكوكة، وغيرها.

وكنتُ قد بدأت باختيار طرائف ونكت من تلك الكتب والمجلات، ذكرت أسماء بعضها في مقالي في المجلة العربية شهر ربيع الأول سنة ١٤٣٠هـ، العدد ٣٨٦. فلما لم أستطع إكمال الكتاب؛ بسبب مكتبة قيس والكتب وغيرها، عمدت إلى مختارات من تلك المختارات، جعلتها في أوراق أحملها معي، أوسّع بها صدري وصدر زوجتي وأولادي وأقاربي وأصدقائي.

أقول قولي هذا بعد أن رأيتُ تلك الكلمة الجميلة في مجلة (الفيصل) في الصفحة الأخيرة للأستاذ يوسف سليم قرنوب، وليتها لم تُوضع باللون الأسود المشوّه لها، والمتعب للنظر/ البصر/ العين.

لقد أتى الكاتب بطرائف جميلة أسمعها أول مرة، ولديّ من أخواتها الشيء الكثير، وفي المملكة يفعلون الشيء نفسه مع بعض المناطق، كما تتندّر مناطق على مناطق أخرى مجاورة لها.

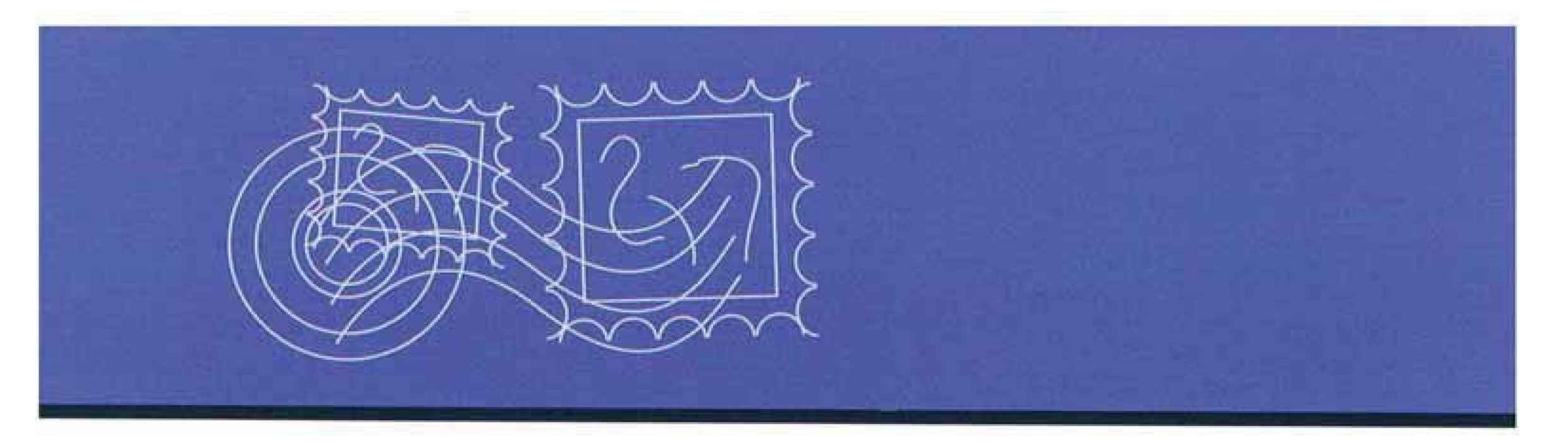
وكلام جميل قاله الأستاذ الكاتب عن ضرورة الترويح عن النفس «روّحوا القلوب ساعةً بعد ساعة؛ فإن القلوب إذا كلّت عميت»، وضرورة الابتعاد من الكآبة والعبوس و(التكشير)، «تبسُّمك في وجه أخيك صدقة»، «ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق».

- قيل لصعيدي: ما اسمك؟ (اسمك إيه؟)، فأجاب: أنا مخّي دفتر؟!.

- وآخر أعطاه الطبيب الدواء، وقال: خذ منه ملعقة ٣ مرات في اليوم. وبعد أسبوع عاد المريض لم يأخذ من الدواء شيئاً، ولما استفسر الطبيب عن السبب أجاب: ما عرفت أدخّل الملعقة في القزازة.

- ولما خرج النفط (البترول) في إحدى محافظات المملكة، وسمع مواطن من تلك المحافظة أن الإنتاج بلغ مئتي ألف برميل، قال بدهشة: كيف يستطيعون (دربات) تمرير تلك البراميل الكثيرة.

ومن أشهر كتب الفكاهة: المُستطرف في كل فن مُستظرف لمحمد الأبشيهي، وأخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي، وأخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي، والفكاهة في الوطن العربي (جزءان) لعبدالحي كمال، والفكاهة في مصر، والضاحكون لمحمد قرة علي، وأدبنا الضاحك لعبدالغني العطري، وجمع الجواهر في الملح والنوادر لإبراهيم الحصري القيرواني، وحدائق الأزاهر لابن عاصم الأندلسي، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيّان التوحيدي، وتحفة أهل الفكاهة في المنادمة والنزاهة لمحمد أفندي، وعيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، والفاشوش في حكم قراقوش لابن ممّاتي، ومضحك العبوس لمحمد علي أحمد، وابتسم (وجدتُ فيه بعض ما جمعته) للدكتور عائض القرني، ونَكْت الهميان في نُكَت العميان لخليل الصفدي، ومطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس للفتح بن خاقان القيسي، والموشّى أو الظرف والظرفاء لمحمد بن إسحاق الوشاء، وهزّ القحوف شرح قصيدة أبي شادوف



ليوسف الشربيني، والهفوات النادرة (٤٠٠ هفوة/ زلة) لمحمد بن هلال الصابي، والمراح في المزاح لمحمد الغزي، وأخبار أبي العيناء لمحمد بن ناصر العبودي، وديوان أبي العيناء ونوادره، تحقيق: أنطوان القوّال، ونوادر أبي العيناء ومخاطباته، تحقيق: نعمان أمين طه، وشعراء المجون لصالح جودت، والسمير في السفر والأنيس في الحضر لشاهين بك، والشعر الفكاهي - أبو فراج، وصحافة الفكاهة وصانعوها لجمال الدين الرمادي، والكتاب الضاحك لعبدالستار الهواري، والنكتة المصرية، ونفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن لأحمد الشرواني (١٣٥٦هـ)، وحديقة الأفراح لإزالة الأتراح لأحمد الشرواني (١٢٨٢هـ)، وطرائف دبلوماسية للسفير جمال بركات، وموسوعة الأدب الضاحك (٨ أجزاء) لعلي مروّة ورياض الريس، وطرائف عن القضاة لسليمان محمد ثابت، وغيرها من الكتب السبعة والثمانين التي ذكرتها في مقالي في المجلة العربية، التي كانت كلها موجودة في مكتبتي ومكتبة قيس، والآن يُوجد معظمها فيهما.

شكراً للكاتب، وشكراً لمجلة (الفيصل)؛ إذ أتاحا لي هذه الفرصة للإطلال على القرّاء من هذا المنبر. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد بن عبدالله الحمدان

مكتبة قيس

أين الفيصل

علاقتي بمجلة الفيصل تزيد عن عشرين عاماً، ولأول مرة منذ سنوات تغيب عنا المجلة لمدة طويلة إذ إلى حد هذا اليوم ٢٠١٠/٣/٤ الموافق ١٩ صفر ١٤٣١هـ لم يصل العدد المزدوج إلى تونس (٤٠١ - ٤٠٢ ذو القعدة - ذو الحجة وكذلك العدد ٤٠٣ - ٤٠٤ محرم - صفر. لا أدري ما هي أسباب هذا التأخير ولماذا تحافظ مجلة كالمجلة العربية على إنتظام صدورها أول كل شهر عربي وتعجز الفيصل عن الصدور شهرياً لماذا تراجعت المجلة بهذا الشكل الرهيب. أين المجلة من سنوات الثمانينات والتسعينات وبداية الألفية؟

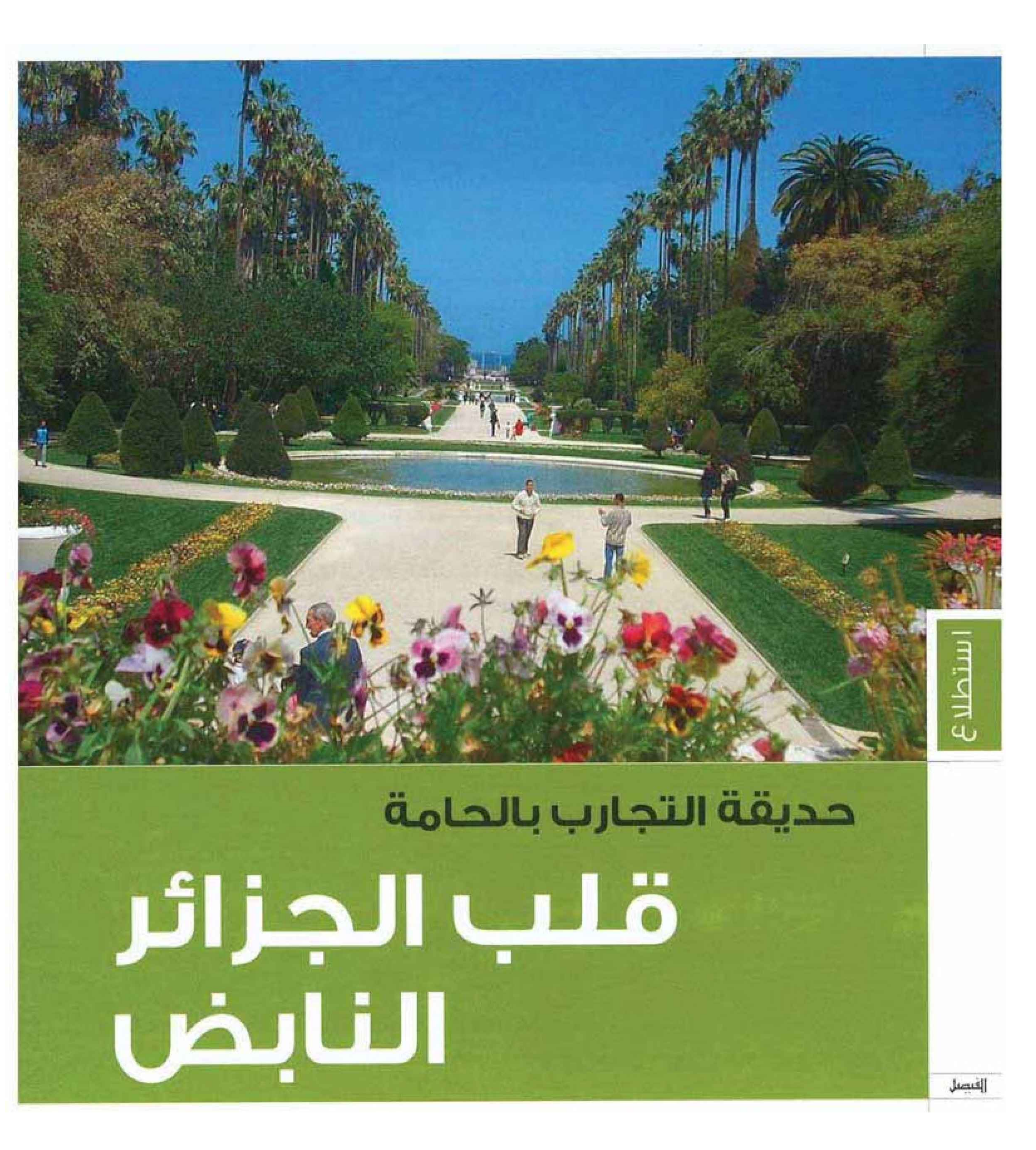
المجلة في حاجة إلى مزيد من المراجعة والتطوير من حيث المضمون بعودة عدة أركان قديمة وكذلك من حيث الأمور الادارية والتوزعية حتى تعود إلى سالف إشعاعها. وفي الختام أتمنى الحصول على العددين حتى لا ينقصني أين عدد في مكتبتي الخاصة. ولكم سديد النظر وفي حفظ الله دمتم

نبيل البوّاب

المنستير - تونس

التحرير:

نقدر لك نقدك وحرصك على مجلتك، وتوجد هناك مشكلة توزيع في تونس نعمل على حلها. كما أن هناك ظروفاً خارجة عن الإرادة تحول دون وصول بعض الأعداد إلى السوق التونسية ونأمل من خلال مشاركات القراء واقتراحاتهم الوصول إلى المستوى الذي نوره ونتطلع إليه جميعاً.



حديقة التجارب بالحامة

قلب الجزائر النابض

إنشراح سعدي

الجزائر العاصمة - الجزائر



الحديقة أرض للتجارب على النباتات منذ الاستعمار الفرنسي

في وسط الأسمنت المسلح، والهواء الملوث، وزحمة المرور في العاصمة الجزائر؛ ينبض شريان الحياة من أقدم أحيائها، ومن أعتق حدائقها، التي تعود نشأتها إلى عام ١٨٣٢م، وعلى الرغم من تقلص مساحتها؛ بسبب التوسع العمراني، إلا أن حديقة الحامة مازالت الرئة الوحيدة للعاصمة التي تتنفس منها منذ ما يزيد على قرن ونصف القرن، ضروبه. كما ينبغي على أي كاتب، أو مخرج، أو ممثل، أو مدرس، أو ناقد. مهما كان باعه من الثقافة، أن يلم بهذه التقنيات المسرحية المختلفة؛ ليعرف كيف سيتعامل مع مسرح الطفل تأليفا وتشخيصا وإخراجا كانت مساحة حديقة الحامة تقدر عند إنشائها من طرف الفرنسيين آنذاك بنحو ١٠٠ هكتار، وأصبحت الآن مساحتها لا تتجاوز ٣٢ هكتارا فقط.

مناخ رائع

تتوسّط الحديقة حي (بلكور) الشعبي في الجزائر العاصمة، ومنذ نشأتها كانت الحديقة أرضاً للتجارب العلمية التي كان يجريها الاستعمار الفرنسي على النباتات التي يحضرها من المستعمرات الإفريقية الأخرى؛ إذ يزرعها الاستعمار في الحديقة لتتأقلم مع المناخ المتوسطي، ثم يصدّرها إلى أوربا بعد ذلك. كانت الحديقة تستخدم أيضاً مشتلاً لأنواع الكرم والزيتون والفواكه، وتوزّع على مزارع المعمرين الفرنسيين الكولون في الجزائر.

يتميّز مناخ حديقة الحامة من مناخ العاصمة؛ إذ تراوح درجة حرارة العاصمة بين ٦ درجات شتاءً و٣٨ درجة صيفاً، بينما لا تنخفض درجة الحرارة في الحديقة عن ١٥ درجة شتاءً، ولا تزيد على ٢٥ درجة في أثناء الصيف، ولا يُوجد تفسير علمي لهذه الظاهرة.

لم يساعد هذا المناخ الدافئ على تنوّع النباتات في الحديقة فحسب، بل في زيادة عمرها المديد أيضاً؛ إذ ينمو في ربوع الحديقة ما يزيد على ٢٥٠٠ نوع من الأشجار والنباتات من مختلف أنواع المناخ والبيئة في العالم تأقلمت مع مناخ الحديقة المتميّز. بعض هذه النباتات والأشجار لا يوجد إلا في حديقة الحامة، مثل: شجرة دراسينا Dracaena أو Dragonia، وتعرف بشجرة التنين، ويعود عمرها إلى عام ١٨٤٧م. ويزيّن ممر الحديقة الفرنسية المجاورة للبحر أشجار النخيل المروحي المسمّى واشنطونيا. وتبعد الحديقة الفرنسية عن البحر بنحو مئتي متر فقط، وسُمّيت بهذا الاسم لتشابهها مع حدائق قصر فرساي في فرنسا، وأنشئت في عام ١٩٠٣م.

متحف حقيقي للطبيعة

توزّعت في أرجاء الحديقة بتنسيق جميل أشجار Cicos عمرها ٩٨ سنة، إلى جانب أنواع أخرى، مثل: الفيكوس، والباميو، التي غُرست في الحديقة عام ١٨٤٧م، وهناك ١٢٠ نوعاً من هذه الثروة النباتية مهدّداً بالانقراض؛ بسبب الشيخوخة التي أصابتها.

وقال مدير الحديقة عبدالرزاق زرباط: «هذه الحديقة تشكّل متحفاً حقيقياً للطبيعة؛ إذ تضم أشجاراً يفوق عمرها ١٥٠ سنة، ونباتات نادرة وفريدة جُلبت من مختلف أنحاء العالم». وتضمّ الحديقة أنواعاً كثيرة؛ كشجرة ورد يبلغ ارتفاعها ثلاثين متراً، وتعود إلى مئة سنة تقريباً، وأشجار نخيل من نوع البلميط، وأشجار البيلسان

الحامة والإرهاب

تُعدّ حديقة الحامة إحدى ثلاث حدائق تاريخية في العالم، بعد حديقتين: الأولى في بريطانيا، والثانية في الولايات المتحدة الأمريكية، وتُعدّ مكتبة عالمية للنبات. وكانت قبل اندلاع الأزمة الجزائرية عام ١٩٩١م تحفة فنية لكثرة التماثيل فيها؛ منها: تمثال المرأة المستحمّة، وهو الوحيد في العالم. واختفى التمثال خلال سنوات أزمة العنف التي اكتوت بنيرانها الجزائر. وظهر التمثال العام الماضي لدى عائلة ميسورة لها علاقات بجهات نافذة في السلطة. وقد ابتاعته ممن هرّب التمثال أو سرقه بـ٤٠٠ ألف دينار جزائري فقط (نحو ٥٧٦٠ دولاراً أمريكياً) حسبما ذكرت الصحف الجزائرية. في الوقت الذي لا يُقدّر فيه هذا التمثال بثمن؛ إذ يعود تاريخ نحته إلى عام ١٨٤١م. وتسبّب اختفاؤه وظهوره مرةً ثانية في عزل مدير الحديقة الدكتور فيصل حفاصي بتهمة إتلاف كنوز أثرية.

وبعد سنوات الفتنة والاقتتال فيها، قامت الحكومة الجزائرية بإصلاح ما طال حديقة الحامة من تخريب؛ لتعود إليها نضارتها وبهاؤها كما كانت قبل السنوات السوداء، ورصدت لذلك مبالغ ضخمة؛ لتصبح حديقةً بمقاييس عالمية.

وقد فتحت حديقة التجارب في الحامة أبوابها من جديد بعد غياب دام سنوات؛ إذ دشّنها السيد عبدالعزيز بوتفليقة - رئيس الجمهورية - في شهر مايو الماضي بعد الانتهاء من أعمال الترميم التي عرفتها منذ عام ٢٠٠٤م. ومنذ ذلك الوقت تشهد الحديقة إقبالاً كبيراً من الزوّار الذين يمثّلون شرائح مختلفة من المجتمع الجزائري.

العريقة التي قد ترتفع ٣٠ متراً، إضافةً إلى نبتة الكافور، وشجر البامبو، وشجرة الجنكة - شجرة الكزبرة، أو عشبة الذكاء - وهي أحد أنواع الأشجار التي تتحمّل التقلّبات المناخية القاسية عدة قرون.

ويؤكّد زرياط أن «حديقة الحامة كانت إحدى أجمل حدائق العالم، إلا أن معظم أشجارها يفوق عمرها مئة عام؛ إذ زُرعت أول أشجارها في عام ١٨٤٨م. ويجب العمل اليوم على تجديد نباتات الحديقة»، والسماح بالتخصّص بالنباتات المحلية، وهو دور الحدائق النباتية.



ويُوجد جزء من الحديقة يُعرف باسم (حديقة الحيوان). وهو جزء من حديقة التجارب، أنشأها المعمّر الفرنسي جوزيف دونغ عام ١٩٠٠م. وكان أمياً، وكانت زوجته تكاد تعرف القراءة. لبّت السلطات الفرنسية طلبهما بإنشاء حديقة حيوانات بمنحهما هكتاراً واحداً لبناء حديقة حيوانات تدجن فيها الحيوانات المتوحشة القادمة من أدغال إفريقية، ثم تصدّر إلى أوربا. وربّى الفرنسيون في هذه الحديقة أيضاً الأغنام والنعام لبيع الريش والبيض. وازدهرت تجارة الحيوانات المتوحشة المُدجنة عام ١٩١٢م؛ إذ تعيش الحيوانات المتوحشة مدة شهرين في الحديقة، ثم تُصدّر إلى دول

تمّ استحداث مجلس علمي يتكوّن من علماء وخبراء ومختصين بمجال العلوم الطبيعية والبيولوجيا؛ لتسيير هذه الحدائق التي تسهم في المحافظة على البيئة

في الحديقة أنواع مختلفة من النباتات

أوربا. والهدف من بقاء الحيوانات هذه المدة هو التأكد من خلوّها من الأمراض، وتعويدها على مناخ يختلف عن مناخ غابات إفريقية؛ لتُصبح مهيّأة للتأقلم في حدائق حيوانات أوربا.

وتعدّ حديقة الحيوان في الحامة الحديقة الأولى في إفريقية، وبقيت حيواناتها أسطورة حتى الآن. وكانت أنثى التمساح جاكلين أول ضيوف الحديقة. أتت جاكلين عام ١٩٠٠م مع ذكرها أندوف من نهر المسيسبي في الولايات المتحدة الأمريكية وعمرها أكثر من أحد عشر عاماً. ناسبها مناخ الحديقة، وعمّرت بها، وماتت في ٢٨ نيسان/ إبريل عام ١٩٩٠م عن عمر ناهز ١٠٠ عام، وتم تحنيطها لتبقى زائرةً أبديةً للحديقة. وحملت جاكلين الرقم القياسي في العالم لعمرها الطويل. والنسر أكتور من الطيور الجارحة، وأصله من البيرو، وعمره ١١١ سنة، ولا يزال يرقص للزائرين، خصوصاً الأطفال.

الحامة في كتاب جينيس القياسي

يعدّ الدبّ أوريسوس، الذي كان عمره ٨١ عاماً عندما مات في نيسان/ إبريل الماضي، الدبّ الأكبر عمراً في العالم. يأتي بعده دبّ اليابان الذي مات منذ ٥ سنوات عن عمر ناهز ٣٢ عاماً. ودخل كتاب جينيس للأرقام القياسية؛ لأن معدّل العمر الطبيعي للدببة يراوح بين ١٥ عاماً و٢٥. بينما عاش أوريسوس أكثر من ثلاثة أضعاف العمر الطبيعي للدببة بعيداً من أضواء كتاب جينيس.

الخنزير بوتيتو البالغ من العمر ٤٣ عاماً، ويراوح العمر الطبيعي للخنازير بين ١٦ عاماً و١٨.

وفسّر الدكتور فيصل حفاصي - القائم على الحديقة في وقت سابق، والحاصل على الدكتوراه عن المجتمعات الفرنسية - طول عمر هذه الحيوانات بأنه عائد إلى قدرة الله عزّ وجلّ، ثم مناخ الحديقة المميّز. فكون هذه الحيوانات تعيش أضعاف عمرها الطبيعي معجزة إلهية.

وقد كان لحديقة التجارب في الجزائر - المستعمرة الفرنسية السابقة - شهرة ذاع صيتها في أوربا والعالم، واجتذبت زوّاراً كثيرين من مشاهير العالم: منهم كارل ماركس الذي زارها في عام ١٨٤٢م، وكتب مشاهداته عن حياة الجزائريين البائسة مقارنةً برخاء المستعمرين الفرنسيين. كما زارها فيكتور هيجو الأديب الفرنسي المعروف، وزارها أيضاً الرئيس الفرنسي شارل ديجول، وفي الحديقة تمّ تصوير الفلم الأمريكي الشهير طرازان.

تجهيزات جديدة ومنشآت قاعدية

أوّل ما يلفت انتباه الزائر هو التجهيزات الجديدة التي تمّ اقتناؤها؛ إذ تمّ تجهيز الحديقة بعدد من المنشآت القاعدية التي تمّ ترميمها مؤخراً؛ منها: مدرسة البستنة التي تضرّرت من جرّاء زلزال ٢١ مايو عام ٢٠٠٣م، والتي أصبحت اليوم بعد ترميمها مدرسة لتكوين العمال المختصين في البستنة التابعين للحديقة. كما تمّ إنشاء مدرسة التربية حول أهمية المحيط، التي تضم تلاميذ من ٦ أعوام إلى ١١ عاماً، وظيفتها توعية الأطفال بأهمية المحيط، وضرورة الحفاظ عليه، وعيادة بيطرية. وللحفاظ على الكنوز الطبيعية التي تزخر بها الحديقة تمّ تجهيزها بكاميرات. كما تمّ إنشاء مركز للشرطة، ويسهر على أمن الزوّار ١٢٠ عوناً. وفي هذا الصدد، تمّ أيضاً إنشاء موقف للسيارات بجوار الحديقة يسع ٢٢٠ سيارة، إلى جانب فتح أكشاك تجارية لضمان راحة الزوّار.

وقد تمّ استحداث مجلس علمي يتكوّن من علماء وخبراء ومختصين بمجال العلوم الطبيعية والبيولوجيا؛ لتسيير هذه الحدائق

التي تسهم في المحافظة على البيئة. ويحظى تلاميذ المدارس بزيارة إلى هذه الحدائق في إطار السياسة الرامية إلى نشر الثقافة البيئية في الوسط المدرسي. ويوجد على مستوى الحديقة مخبر للتحاليل العلمية لدراسة مختلف النباتات الموجودة في هذا الفضاء.

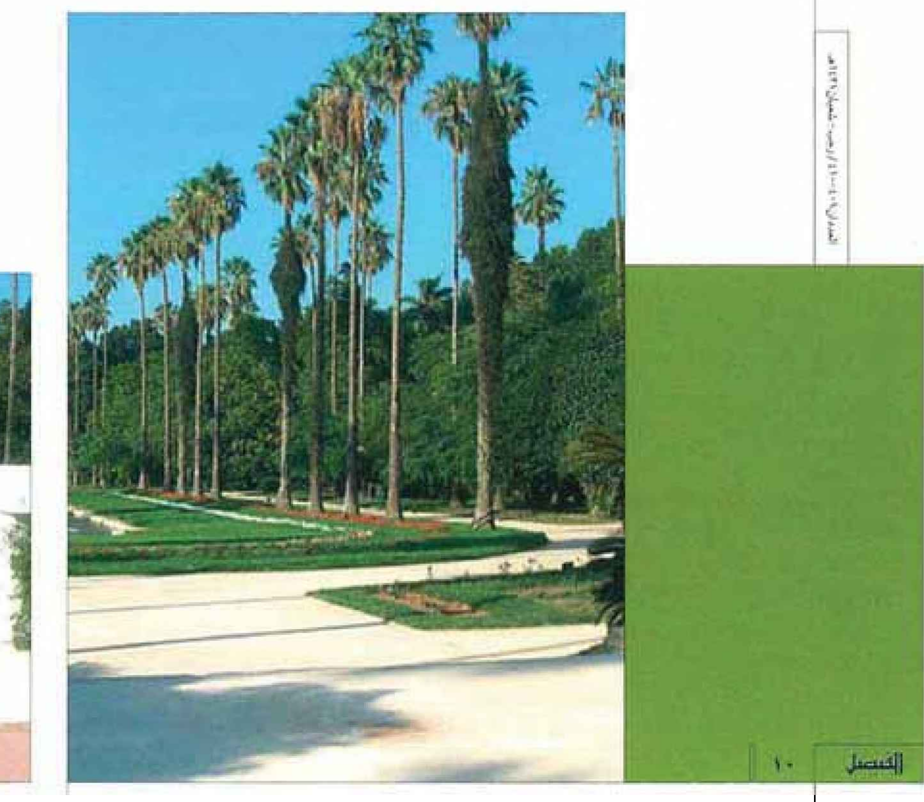
مشروع متحف جديد للحيوانات

كشف مدير الحديقة السيد عبدالرزاق زرياط عن مشروع جديد قيد الدراسة سيتم تجسيده قريباً. ويتعلق الأمر بمتحف للحيوانات؛ لتقديم مختلف أنواع الحيوانات، وأهم الحقب التي عاشت فيها. كما أشار من جهة أخرى إلى مشروعات لجلب أنواع من الثعابين، مؤكّداً أن ضيق مساحة الحديقة لا يسمح بجلب بعض الحيوانات مثل تلك الموجودة في الحدائق العالمية الكبرى.

٤٠ ألف زائر والعدد في ازدياد

أشار السيد زرياط إلى بعض الهياكل والتجهيزات التي أقيمت على مستوى الحديقة: منها: بوتيك لتقديم بعض الهدايا للزوار، وقاعة للمعارض الدائمة حول أنشطة الحديقة. وأكد زرياط أن مهمة المجلس العلمي، الذي يتكوّن من مجموعة من الخبراء من وزارة البيئة، ومن عدة معاهد على غرار المعهد الوطني للعلوم الفلاحية، مهمة استشارية؛ إذ يتم عرض مجمل المشروعات على المجلس قبل تنفيذها. وأكد السيد زرياط أن عدد الزوار يختلف حسب الفصول؛ إذ وصل عددهم إلى ٨ آلاف زائر في فصل الصيف، في حين بلغ عددهم في فصل الشتاء نحو ٣٠٠ زائر. وقد تمّ تسجيل ٤٠ ألف زائر منذ أن فتحت الحديقة أبوابها من جديد.

عمر بعض النباتات يفوق ١٥٠ عاماً







الطيرُ المغنّي

سالم بن رزيق بن عوض

جدة - السعودية

قصيدة

انطلق صوب بساتين الطبيعة ... أيها الطير الذي غنى ربيعة

وتهادَ فوق ظُهر المنحنى ... أسمع الدنيا أغاريدا رفيعة

واملأ الأشواق أشواقاً وكن ... في مدى الأيام أنساماً مطيعة

ونسام في أسارير الدُّنا ... باقة مزهوة العقد منيعة

•••

هذه الأنسام في أنسامها ... شهقة الفجر التي تذكي بروعة

ترتمي فوق تباشير السنا ... تمنح الفجر الذي ترجو طُلوعه

وتحيي الورد في أكمامه ... تسقي الطُّهر الذي تهوى جذوعه

نفحة مشبوبة تبقى على ... صفحة الأيام والدنيا طليعة

•••

هذه الأرض أمانيها بها ... روضة مسحورة النشوى وديعة

تزدهي الفن الذي لا ينتهي ... تحمل البشرى أكاليلاً وسيعة

ويصب الطُّهر في أثوابها ... عبقاً ينفح للدنيا فُروعه

ترتقي! تبقى على أفيائها ... مثلما تبقى على الحسن البديعة

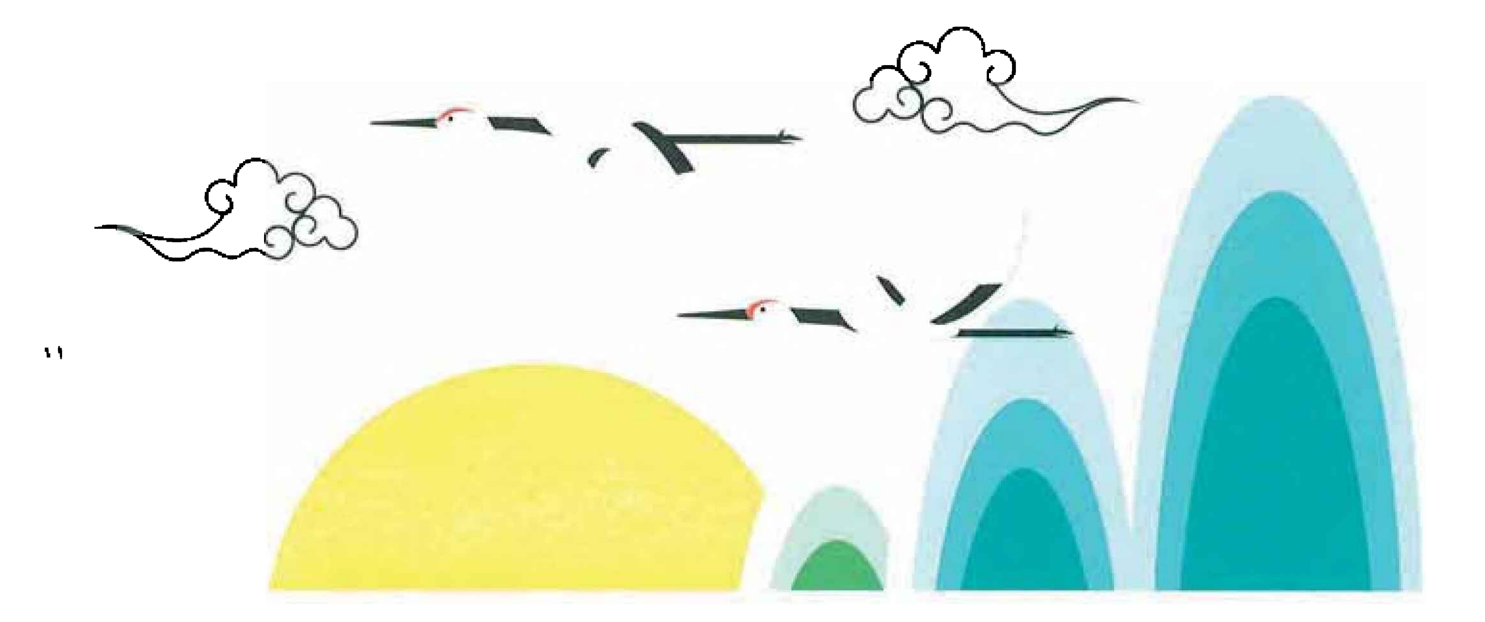
•••

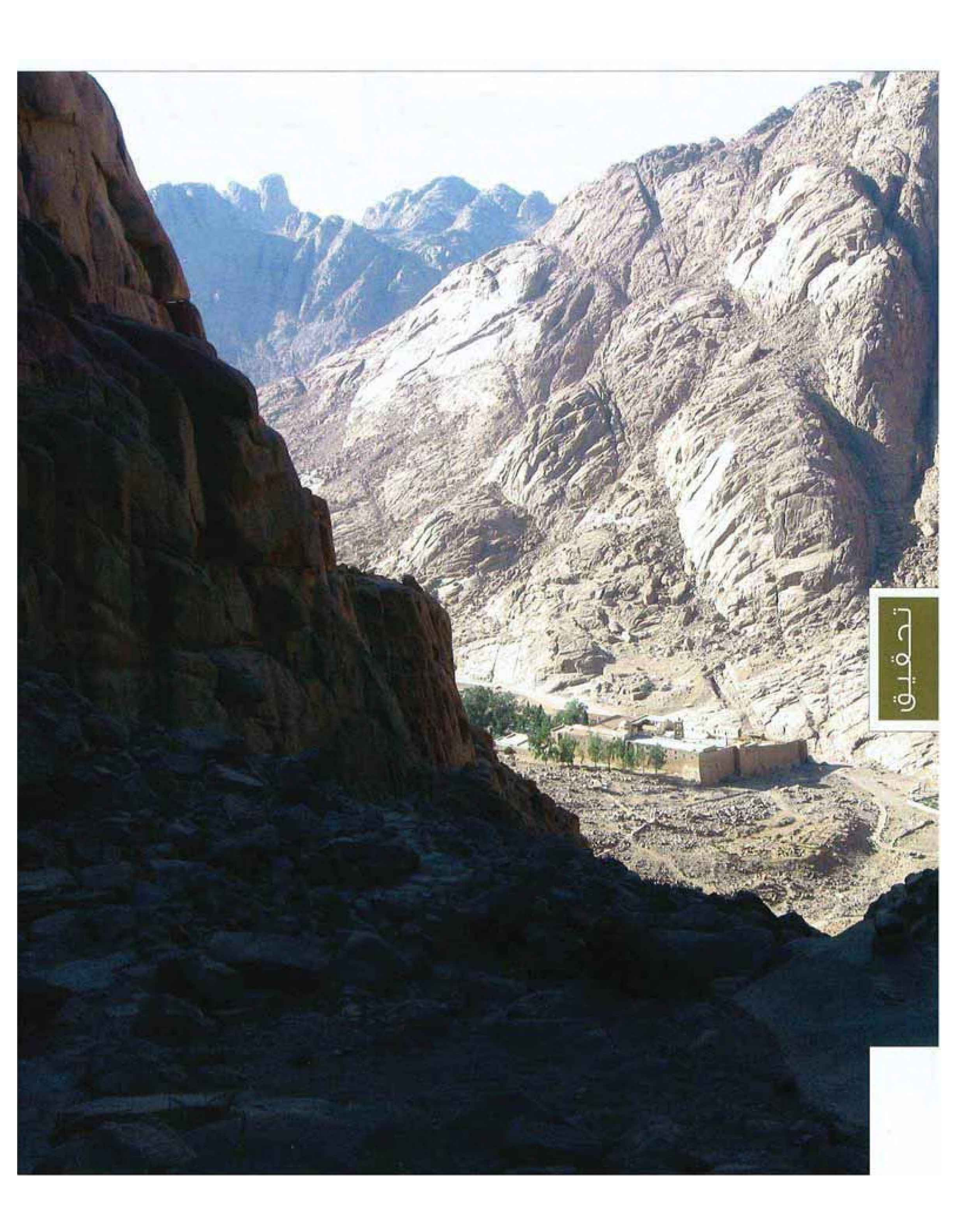
أيها الطير الذي زفَّ المنى ... هذه دنياك أزهار رضيعة

وشذى الفل على أفنانها ... يبعث الأرواح يهديها خُشوعه

والصدى الأسمى يغني في المدى ... جوقة محروسة المغنى بديعة

خذ أهازيجي التي أزهو بها ... وانطلق صوب بساتين الطبيعة





هل جبل اللوز اليوم هو جبل الطُّور في الزمن القديم؟

تركي بن إبراهيم القهيدان

القصيم - السعودية

يرجّح بعض الباحثين أن الجبل المعروف اليوم بـ(اللوز) هو جبل الطُّور في الزمن القديم الوارد ذكره في محكم التنزيل. قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ (القصص: ٤٦). وجاء في صحيح مسلم: «إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي لا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ. فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ. فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ. فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا»[١].

قال صاحب (لسان العرب): «قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾. أقسم الله تعالى به. قال: وهو الجبل الذي بمدين، الذي كلّم الله تعالى موسى عليه السلام عليه تكليماً»[٢].

قُلْتُ: نلاحظ أن ابن منظور ذكر أن جبل الطور في أرض مَدْيَن. لكن لم يحدّد لنا مكانه. وهنا نتساءل: هل قصد - رحمه الله - جبل اللوز، أو جبل الطور الواقع بين خليجي العقبة وخليج السويس؟ يجب علينا التنبه وعدم إصدار حكم متعجّل: إذ إن هناك طوراً آخر في الشام. كذلك الطور في كلام العرب. وفي اللغة العبرانية، اسم لكل جبل. وفيما يأتي عرض لبعض الاختلافات في المصادر المتوافرة لديّ في تحديد مكان جبل الطُّور:

الطور اسم لكل جبل

جاء في صبح الأعشى: الطور في اللغة العبرانية اسم لكل جبل، ثم صار علماً لجبال بعينها[٣]. وقال ياقوت: الطور في كلام العرب الجبل. وقال بعض أهل اللغة: لا يسمى طوراً حتى يكون ذا شجر، ولا يُقال للأجرد: طُور. وقيل: سُمّي طوراً بيطور بن إسماعيل عليه السلام، أسقطت باؤه للاستثقال. وبلسان النبط كل جبل يُقال له:

جبل اللوز.. عهد التاريخ

يقع جبل اللوز شمال غرب تبوك على بعد ١٣٠كم، وشمال شرق البِدْع على بعد ٣٠كم (في خط مستقيم). وقد سُمّي بهذا الاسم نسبةً إلى شجر اللوز؛ فطبيعة أرضه تنبت هذا النوع من الشجر، إضافةً إلى عدد من الأشجار البرية؛ منها: الشيح، والزعتر، والنعناع، والريحان (الحبق الجبلي). لكن هناك من يرى أن تسمية هذا الجبل - أي: اللوز - يعود في الأصل إلى كلمة (Law) الإنجليزية، وجمعها (Laws)، وتعني (قانون) باللغة العربية. ويتميّز هذا الجبل بأنه من أشهر الجبال في أرض مَدْيَن وأعلاها؛ إذ يصل ارتفاع قمته إلى (٢٧٨٥م)[1]؛ لذا تغطّيها الثلوج في فصل الشتاء؛ مما يعطي قمم الجبل منظراً بديعاً، ويزيدها جمالاً تكوينات الجبل الصخرية المتعددة الألوان. وتنبع منها عين ماء جارية مصدر مياهها من طبقة حاملة للمياه، ووجود الفواصل في الصخور ساعد على انبثاقها على شكل عين.

ينحدر أيضاً من هذا الجبل وادٍ يطلق عليه اسم (السِّيق). ويدلّل الشيخ حمد الجاسر من هذا الاسم للوادي على الصلة بين الأنباط وعرب الشمال[2]؛ إذ جاء في كتابه (في شمال غرب الجزيرة) أن كثيراً من أسماء بلاد الشام لا يزال لها ارتباط بالحجاز؛ فمثلاً: السِّيق: طريق البتراء، والسِّيق من أودية جبل اللوز قرب البِدْع في السعودية[3].

قُلْتُ: البتراء تقع في دولة الأردن جنوب العاصمة عمّان، وتبعد عنها ١٩٣كم (بخط مستقيم). أما طول الطريق المزفت فهو ٢٦٢كم تقريباً. كما تقع البتراء في الجهة الشماليّة من البِدْع على بعد ٢٠٩كم (بخط مستقيم).

كذلك يتركز في منطقة جبل اللوز عدد من مواقع العصر الحجري الحديث[4]، كما تمّ العثور على كمية من الكسر الفخارية، وبالتحليل الأوّلي اتّضح أنها ترجع إلى الحقبة النبطية[5]. وتظهر على سفح الجبل أيضاً مجموعة من الكتابات والرسوم والنقوش.

(١) وكالة الآثار والمتاحف، البدع: تاريخها وآثارها، ص١٥.
(٢) وكالة الآثار والمتاحف، البدع: تاريخها وآثارها، ص٣٥.
(٣) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص٤٦٨-٤٦٩.
(٤) وكالة الآثار والمتاحف، البدع: تاريخها وآثارها، ص٣١.
(٥) وكالة الآثار والمتاحف، البدع: تاريخها وآثارها، ص٧٣.

طور. فإذا كان عليه نبت وشجر قيل: طور سيناء[3]. وجاء في تنوير المقباس: كل جبل فهو طور بلسان السريانية والقبط[4].

جبل الطّور في الشام

قال الفَيْروزابادي (٨١٧هـ): الطُّورُ الجبلُ، وفِناءُ الدارِ، وجبلٌ قُرْبَ أَيْلَةَ يُضافُ إلى سيناءَ وسينينَ، وجبلٌ بالشام. وقيل هو المُضافُ إلى سيناءَ. وجبلٌ بالقُدْسِ عن يَمينِ المسجدِ، وآخَرُ عن قِبْلِيِّه، به قَبْرُ هارونَ عليه السلام، وجبلٌ برأسِ العَيْنِ، وآخَرُ مُطِلٌّ على طَبَرِيَّة[5].

وقال ياقوت: ذكر بعض العلماء أن الطور هذا الجبل المشرف على نابلس: ولهذا يحجّه السامرة. وأما اليهود فلهم فيه اعتقاد عظيم، ويزعمون أن إبراهيم أمر بذبح إسماعيل فيه. وعندهم في التوراة أن الذبيح إسحاق عليه السلام[7]. وبالقرب من مصر عند موضع يسمى مدين جبل يسمى الطور، ولا يخلو من الصالحين. وحجارته كيف كسرت خرج منها صورة شجرة العليق، وعليه كان الخطاب الثاني لموسى عليه السلام عند خروجه من مصر ببني إسرائيل. والطور جبل بعينه مطلّ على طبرية الأردن، بينهما أربعة فراسخ، على رأسه بيعة واسعة محكمة البناء[8].

قُلْتُ: تقع طَبَرية غرب بحيرة طبرية، ويحيط بهذه البحيرة

اليوم ثلاث دول، هي: فلسطين، وسورية، والأردن. وأما جبل الطور فهو يبعد عنها بمسافة ٢٥كم أو نحوها. كما أكد ابن بطوطة أن بطبرية مسجداً فيه قبر شُعَيْب عليه السلام وبنته زوج موسى عليه السلام: إذ قال حين سافر من صيدا: ثم سافرتُ منها إلى مدينة طبرية، وكانت فيما مضى مدينة كبيرة ضخمة، ولم يبق منها إلا رسوم تنبئ عن ضخامتها وعظم شأنها، وبها الحمامات العجيبة لها بيتان: أحدهما للرجال، والثاني للنساء، وماؤها شديد الحرارة، ولها البحيرة الشهيرة، طولها نحو ستة فراسخ، وعرضها أزيد من ثلاثة فراسخ، وبطبرية مسجد يُعرف بمسجد الأنبياء، فيه قبر شُعَيْب عليه السلام وبنته زوج موسى الكليم عليه السلام وقبر سُلَيْمَان عليه السلام[9]. أقول: بُحَيرَة طَبَرية يظهر لي أن طولها نحو ٣،٣ فراسخ، وعرضها ١،٨ فرسخ: إذ يبلغ طول البُحَيرَة - حسب قياسي - ٢٢ كيلومتراً. أما عرضها فهو ١٢ كيلومتراً عند أقصى نقطة من حيث الاتّساع بها، ومن المعلوم أن البحيرات يزيد وينقص منسوب مائها، ومن ثَمّ اتساعها، حسب هطل الأمطار، وجلب المياه منها. لكن قياس ياقوت يؤيّد قياسنا الأنف الذكر بقوله: «بُحَيرَة طَبَرية: قال الأزهري: هي نحو من عشرة أميال في ستة أميال»[10]. أقول: إذا كان الفرسخ يعادل ثلاثة أميال، والميل العربي يعادل ٢كم، فقياس الحموي يقارب قياسنا.



جبل الطور أعظم جبل بمدين يقال له زبير

جاء في تفسير اللباب لابن عادل: هذا الجبل أعظم جبل بمدين، يُقال له: زبير[11]. وفي تفسير حقي: قال الكلبي: هو أعظم جبل بمدين، يُقال له زبير. وفي القاموس: زبير كأمير الجبل الذي كلّم الله عليه موسى. وقال ابن الجوزي في مرآة الزمان: والأصحّ إنما خُوطب موسى على جبل الطور الذي بقرب بحر القلزم، فلما سمعت الجبال تطاولت رجاء أن يتجلّى لها، وجعل زبير أو الطور يتواضع[12]. ويضيف في موقع آخر: وقيل: بل هو جبل محيط بالأرض، الأظهر الأشهر أنه اسم جبل مخصوص، هو طور سينين: يعني: الجبل المبارك، وهو جبل بمدين اسمه زبير، سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله. وقال في خريدة العجائب: جبل طور سينا هو بين الشام ومدين، قيل: إنه بالقرب من أيلة، وهو المُكلَّم عليه موسى عليه السلام. هذا الجبل إذا كسرت حجارته يخرج من وسطها شجرة العوسج على الدوام، وتعظيم اليهود لشجرة العوسج لهذا المعنى، ويقال لشجرة العوسج: شجرة اليهود[13].

وجاء في تنوير المقباس: ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ أعظم جبل بمدين ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ فإن استقرّ الجبل لرؤيتي ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ فلعلك تراني ﴿فَلَمَّا تجلى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ ظهر لجبل زبير ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ كسراً[14]. ويضيف في موقع آخر: وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَالطُّورِ﴾. يقول: أقسم الله بجبل زبير، وكل جبل فهو طور بلسان السريانية والقبط، ولكن عنى الله به الجبل الذي كلّم الله عليه موسى، وهو جبل مدين، واسمه زبير، أقسم الله به[15]. وذكر المَقْريزي في (المواعظ والاعتبار): قال الواحدي في تفسيره: وقال الكلبي وغيره: والجبل في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ أعظم جبل بمدين، يُقال له: زبير[16].

زبير هو طور سيناء

أكد أطفيش أن (زبير) هو طور سيناء: إذ قال في تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾: هو جبل زبير، وهو أعظم جبل بمدين، وهو طور سيناء[17].

جبل الطور ليس سينا

أورد لنا الماوردي (٣٦٤- ٤٥٠هـ) - رحمه الله - معلومات قيمة؛ إذ فرّق بين طور سيناء والطور الذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام حين قال: قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾ فيه وجهان: أحدهما أنه اسم للجبل بالسريانية، قاله مجاهد؛ قال مقاتل: يُسمّى هذا الطور (زبير). الثاني: أن الطور ما أنبت، وما لا ينبت فليس بطور، قاله ابن عباس، وقال الشاعر:

لو مرّ بالطور بعض ناعقة   ما أنبت الطور فوقه ورقة

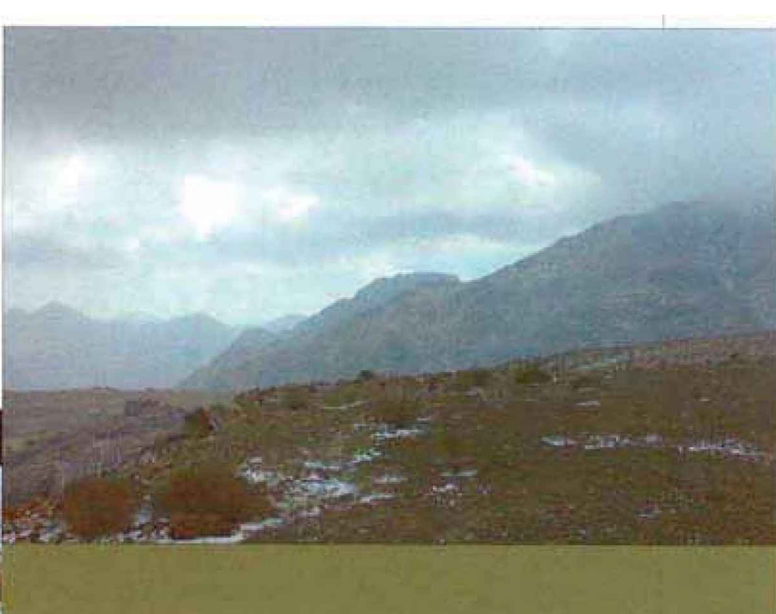
ثم في هذا الطور الذي أقسم الله به ثلاثة أقاويل: أحدها أنه طور سيناء، قاله السدي. الثاني: أنه الطور الذي كلّم الله عليه موسى، قاله ابن قتيبة. الثالث: أنه جبل مبهم، قاله الكلبي. وأقسم الله به تذكيراً بما فيه من الدلائل. وقال بعض المتعمّقة: إن الطور ما يُطوى على قلوب الخائفين[١١].

وذكر القرطبي في تفسيره: قال مجاهد: الطور هو بالسريانية الجبل، والمراد به طور سينا، وقاله السدي. وقال مقاتل بن حيان: هما طوران، يقال لأحدهما طور سينا، والآخر طور زيتا؛ لأنهما ينبتان التين والزيتون. وقيل: هو جبل بمدين، واسمه زبير. قال الجوهري: والزبير الجبل الذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام[١٢].

جبل الطور هو جبل اللوز

يُعدُّ جبل اللوز من أعظم الجبال في أرض مَدْيَن وأعلاها، ويُرجِّح بعض الباحثين أنه هو الجبل الوارد ذكره في محكم التنزيل، بينما يرى بعضهم الآخر أنه جبل سيناء، وأن ذلك الرأي تدليس؛ لأن اليهود لهم أطماع في جبل اللوز، وأغراض لا تخفى على أحد، لكن هناك عدة أدلة تؤيد الرأي الأول، منها:

١- إذا كان موقع مَدْيَن على الساحل قرب مَقْنَا - كما سبق تحقيقه في مجلة الفيصل[١٣] - فما الذي يجعل موسى عليه السلام ومن معه عندما خرج منها يتّجه نحو جنوب سيناء، بينما كان اتجاه



إذا كان موقع مدين على الساحل قرب مقنا فما الذي يجعل موسى عليه السلام ومن معه عندما خرج منها يتجه نحو جنوب سيناء، بينما كان اتجاه سيره في هذه المنطقة نحو الغرب

ذكر ابن منظور أن جبل الطور في أرض مَدين، لكن لم يحدّد لنا مكانه. وهنا نتساءل: هل قصد - رحمه الله - جبل اللوز، أو جبل الطور الواقع بين خليجي العقبة وخليج السويس؟

جبل اللوز في الشتاء



سيره في هذه المنطقة نحو الغرب؟! فالأولى أن يسلك طريقاً إلى مصر لا طريقاً نحو الصحراء.

٢- مواقع: مكة المكرمة، وبيت المقدس، وهذا الجبل تكاد تكون على خط مستقيم.

٣- بعض سكان البادية يطلقون على هذا الجبل اسم: جبل موسى عليه السلام.

٤- أنفقت بعض مراكز الأبحاث في الدول الغربية الملايين من الدولارات مدعومةً من بعض الجهات، وقد فشلت في العثور على دليل يشير إلى وجود أيّ آثار فرعونية في خليج السويس.

٥- المنطلق من مَدْيَن إلى مصر عليه أن يتّجه شمالاً بمحاذاة البحر - أي: يساره البحر، ويمينه الجبال والأودية - وهذا ما يُفهم قوله جلّ جلاله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾، (القصص: ٣٠)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ (طه: ٨٠)، ولعلّ المراد يمين السالك: لأنّ الجبل ليس له يمين ولا شمال. لكن مع ذلك لا أجزم بما ذكرت آنفاً، خصوصاً أن المفسّرين اختلفوا في تفسير هذه الآية كما نراه في المصادر المختلفة:

- يمين الشخص المستقبل مشرقَ الشمس:

يُقصد بيمين الشخص المستقبل مشرقَ الشمس أي اتجاه اليمن: ففي التحرير والتنوير لابن عاشور: جانب الطور: سفحه، ووصفه بالأيمن باعتبار جهة الشخص المستقبل مشرقَ الشمس، وإلاّ فليس للجبل يمين وشمال معيّنان، وإنما تعرّف بمعرفة أصل الجهات، وهو مطلع الشمس، فهو الجانب القبلي باصطلاحنا، وجُعل محلّ المواعدة الجانب القبلي، وليس هو من الجانب الغربي الذي في سورة القصص (الآية ٣٠)[٢١].

- يمين الشخص المستقبل القبلة:

يُقصد بيمين المستقبل القبلة وشمالها أي مما يلي يمين الشخص المستقبل لها وشماله، وقد جاء في زاد المسير: أي من ناحية الطُّور، وهو جبل بين مصر ومدين اسمه زُبير، قال ابن الأنباري: (إنما) خاطب الله العرب بما يستعملون في لغتهم، ومن كلامهم: عن يمين القبلة وشمالها، يعنون: مما يلي يمين المستقبل لها وشماله، فنقلوا الوصف إلى ذلك اتّساعاً عند انكشاف المعنى؛ لأن الوادي لا يَدَ لَهُ فيكون له يمين، وقال المفسّرون: جاء النداء عن يمين موسى: فلهذا قال: (الأيمن)، ولم يُرد به يمين الجبل[٢٢].

- يمين سالك الطريق:

﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ (طه: ٨٠) ربما أن المراد يمين مَن يستقبل الجبل: أي: أيمن الجبل، وقد أكد ذلك الشوكاني حين قال في تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (مريم: ٥٢): أي: كلّمناه من جانب الطور، وهو جبل بين مصر ومدين، اسمه زبير[٢٣]. ويضيف صاحب (فتح القدير) في موقع آخر: (الأيمن) منصوب على أنه صفة للجانب، والمراد: يمين الشخص؛ لأن الجبل ليس له يمين ولا شمال، فإذا قيل: خُذْ عن يمين الجبل، فمعناه: عن يمينك من الجبل، وقُرِئَ بجرّ الأيمن على أنه صفة للمضاف إليه[٢٤]. ونقل الألوسي في تفسيره ما قاله أبو حيان: قال: الصحيح أنه نعت للطور لما فيه من اليمن[٢٥]. كما جاء في (المحرّر الوجيز) لابن عطية (٤٨١-٥٤١هـ): (الطور) الجبل الذي لا شجر فيه، وقوله: (الأيمن) إما أن يريد اليمن، وإما أن يريد اليمين بالإضافة إلى ذي يمين إنسان أو غيره[٢٦].

هل المقصود بذلك يمين من انطلق من مصر أو مَدْين؟

يتبادر هنا السؤال الآتي: هل المقصود بذلك يمين مَن انطلق من مصر إلى الشام، أو من مَدْيَن إلى مصر؟ ففي تفسير النيسابوري: أي الواقع على يمين مَن انطلق من مصر إلى الشام[٢٧]. كما جاء في تفسير الرازي: قال المفسّرون: ليس للجبل يمين ولا يسار، بل المراد أن طور سيناء عن يمين مَن انطلق من مصر إلى الشام[٢٨].

قُلتُ: إذا كان من انطلق من مصر إلى الشام فذلك صحيح؛ لكونه عن يمين السالك، وهذا الوصف ينطبق على طور سيناء، أما الذاهب من مَدْيَن إلى مصر فموقع الجبل سيكون على يمين

يُعدّ جبل اللوز من أعظم الجبال في أرض مَدْيَن وأعلاها، ويرجّح بعض الباحثين أنه هو الجبل الوارد ذكره في محكم التنزيل، بينما يرى بعضهم الآخر أنه جبل سيناء

الشخص. أما يساره فهو البحر. وهذا الوصف ينطبق على جبل اللوز أو أحد الجبال يمين سالك الطريق. وهذا ما فهمه كاتب هذه السطور من قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً﴾ (القصص: ٢٩).

جبل الطور لا وجود له

يُفهم من قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً﴾ (الأعراف: ١٤٣) أن جبل الطور جَعَلَهُ جلّ جلاله دكّا: أي: فتّته وجعله مستوياً. ولعل ما ذكره البغوي (المتوفّى سنة ٥١٦هـ) في تفسيره يؤكد ذلك حين قال: من قرأ بالمدّ أي جعله مستوياً أرضاً دكاء. وقيل: معناه: جعله مثل دكاء، وهي الناقة التي لا سنام لها. قال ابن عباس: جعله تراباً. وقال سفيان: ساخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه. وقال عطية العوفي: صار رملاً هائلاً. وقال الكلبي: جعله دكاً: أي: كسراً جبالاً صغاراً. ويضيف البغوي في تفسيره المُسمَّى بـ(معالم التنزيل) في موقع آخر: قال ابن عباس: ظهر نور ربّه للجبل جبل زبير. وقال الضحاك: أظهر الله من نور الحجب مثل منخر ثور. وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار: ما تجلّى من عظمة الله للجبل إلا مثل سم الخياط حتى صار دكاً. وقال السدي: ما تجلّى إلا قدر الخنصر. يدلّ عليه ما روى ثابت عن أنس «أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية. وقال: هكذا. ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر. فساخ الجبل».

بيت صمافة



الهوامش والمراجع:

(١) صحيح مسلم. ج١٤، ص١٦٧.

(٢) لسان العرب. مادة (طور).

(٣) صبح الأعشى. ج١، ص٢٧٠.

(٤) معجم البلدان. ج٣، ص١٧٤.

(٥) تنوير المقباس. ج٢، ص٤٩.

(٦) القاموس المحيط. ج١، ص٤٥٤.

(٧) هناك عدة أدلة دامغة تثبت بطلان زعم اليهود أن الذبيح إسحاق. منها:

- الغلام الذي بشّر به إبراهيم الموصوف بالعلم والنبوة والنسل هو إسحاق. وهذا ينافي أن يُؤمر بذبحه وهو موعود بذلك. أما الغلام الموصوف بالحلم فهو إسماعيل. قال سبحانه وتعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠١). قال ابن كثير: هذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام: فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد: فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار. وإسماعيل وصف ها هنا بالحليم: لأنه مناسب لهذا المقام (تفسير ابن كثير. ج٤. ص١٥).

- حين فرغ جلّ جلاله من قصة المذبوح من ابنَي إبراهيم قال عزّ وجلّ: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: ١١٢).

- بشّر الملائكة إبراهيم بغلام موصوف بالعلم. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (الذاريات: ٢٨، ٢٩). قال صاحب كتاب (أضواء البيان): وصكّت وجهها - أي: لطمته - قائلة: إنها عجوز عقيم. يدلّ على أن الولد المذكور هي أمّه. (أضواء البيان. ج٢. ص٢٨٠). واسم الغلام الذي وُصف بالعلم موضّح في سورة هود قال عزّ وجلّ: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ

وَهَـٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (الآيتان ٧١، ٧٢). قال ابن كثير: لا يجوز بعد هذا أن يُؤمر بذبحه وهو صغير: لأن الله تعالى قد وعدهما بأنه سيعقب ويكون له نسل. فكيف يمكن بعد هذا أن يُؤمر بذبحه صغيراً (تفسير ابن كثير، ج٤، ص١٥).

- ذكر ذلك محمد بن كعب القرظي لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو خليفة؛ إذ كان معه بالشام. فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه. وإني لأراه كما قلت. ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علمائهم. فسأله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك. قال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز. فقال له عمر: أيّ ابنَيْ إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين، وإن يهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به. فهم يجحدون ذلك، ويزعمون أنه إسحاق؛ لأن إسحاق أبوهم.

- عن الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان، فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق. فقال: على الخبير سقطتم. كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجاءه رجل فقال: يا رسول الله، عُدْ عليَّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهّل الله له أمرها عليه ليذبحن أحد ولده، قال: فخرج السهم على عبد الله. فمنعه أخواله، وقالوا: افدِ ابنك بمئة من الإبل. ففداه بمئة من الإبل، والثاني إسماعيل. وهذا حديث غريب جداً.

- قال يوسف بن مهران وقال الشعبي: هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام. وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة.

ولمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع انظر: تفسير ابن كثير، ج٤، ص١٥، ١٩.

(٨) معجم البلدان، ج٣، ص١٧٤.

(٩) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٨١، ٨٢.

(١٠) معجم البلدان، ج١، ص٢٤٨.

(١١) تفسير اللباب لابن عادل، ج٧، ص٤٩٩.

(١٢) تفسير حقي، ج٤، ص٢٦٤.

(١٣) تفسير حقي، ج١٤، ص٢٣٤.

(١٤) تنوير المقباس، ج١، ص١٧٧.

(١٥) تنوير المقباس، ج٢، ص٤٩.

(١٦) المواعظ والاعتبار، ج٣، ص٢٩٥.

(١٧) تفسير أطفيش - إباضي، ج٣، ص٢٢٧.

(١٨) النكت والعيون، ج٤، ص١٧٧.

(١٩) تفسير القرطبي، ج١٧، ص٥٨.

(٢٠) مجلة الفيصل، العدد ٢٩١- ٢٩٢، المحرم - صفر ١٤٢٠هـ، بعنوان: (مغائر شُعَيْب ليست مَدْيَن).

(٢١) التحرير والتنوير، ج٩، ص٧٦.

(٢٢) زاد المسير، ج٤، ص٢٧٨.

(٢٣) فتح القدير، ج٤، ص٤٦٢.

(٢٤) فتح القدير، ج٥، ص١٧.

(٢٥) تفسير الألوسي، ج١٢، ص٢٢١.

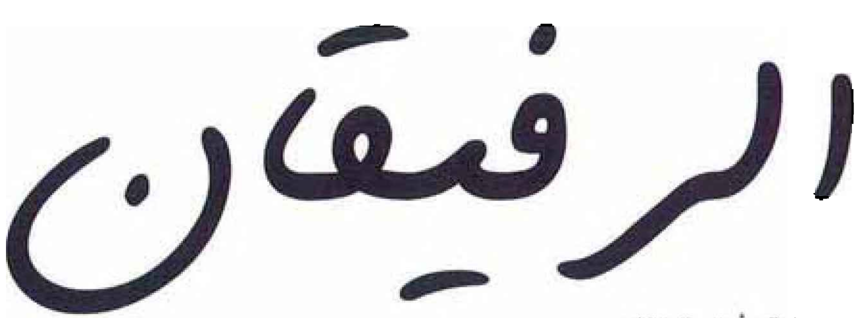
(٢٦) المحرّر الوجيز، ج٤، ص٤١٦.

(٢٧) تفسير النيسابوري، ج٥، ص٢٠٨.

(٢٨) تفسير الرازي، ج١٠، ص٤٤٧.

(٢٩) مختصر تفسير البغوي المُسمّى بـ(معالم التنزيل)، ج٣، ص١٨٥.

(٣٠) مختصر تفسير البغوي، ج٣، ص١٨٤.

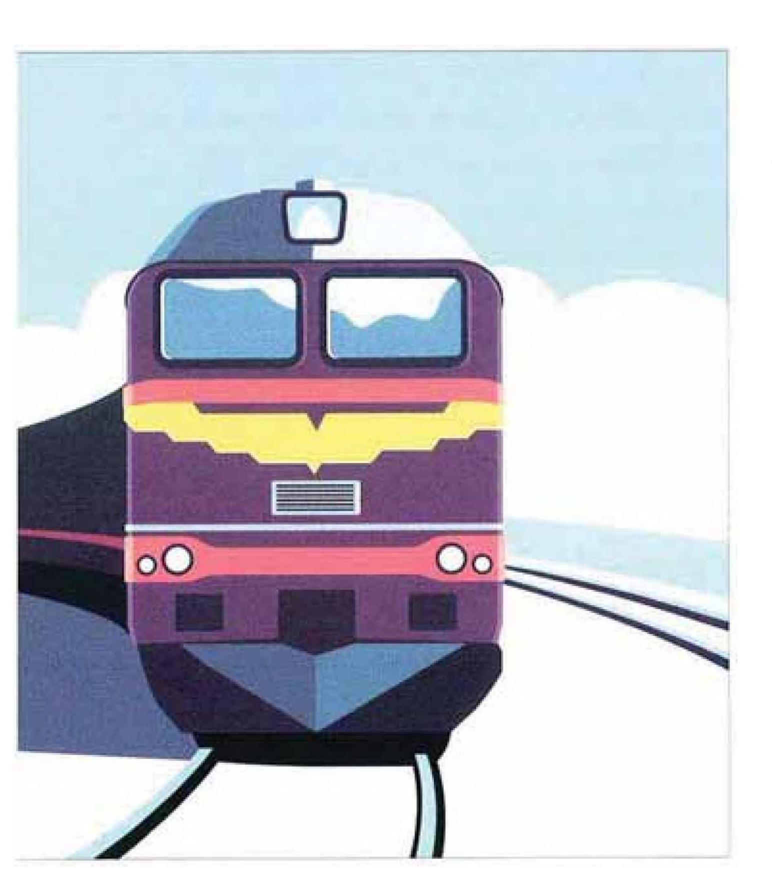


الرفيقان

مارتن أرم سترونغ

ترجمة : حسين سعيد طه

الرصيفة - الأردن



كان القطار يحتاج إلى نحو ثلاثة أرباع الساعة كي يبلغ محطته. وكان يسير بسرعة ٦٠ ميلاً في الساعة عندما نهض السيد هاربي ريبستون - وهو رجل أعمال ناجح - وألقى حقيبته من نافذة القطار. جليسه الوحيد في هذه العربة رجل نحيل (السيد كروثر)، الذي تركت عيناه صفحات الكتاب الذي كان مستغرقاً في قراءته ليلاحظ وجوده. تبادل الرجلان النظرات الصارمة. وعلى عجلة تابع السيد كروثر قراءته كتابه، بينما عاد السيد هاربي ريبستون إلى مقعده متذمّراً.. سمت به النظرة التي أطلقتها عينا جليسه الوحيد إلى طرقات القلق. اكتفت ملامح السيد كروثر بعدم البوح بسمانها بخصوص ما قد حدث أمامه.. ابتلع فرص المفاجأة بحكمة، وهذا الشأن لم يكن عادياً.. اندلعت نيران فضول السيد هاربي ريبستون: فهو الإنسان الاجتماعي. وخبرته أن هذا السلوك سيقود قطعاً حواراً بينه وبين جليسه الصامت. ما تنبأ به لم يحدث.. لذا لم تُتح له فرصة كي يفسّر لهذا الرجل أمامه أسباب ما قام به. ولا بد أنه الآن ينعته بالأحمق. وأن الحقيبة تحتوي على جثث بشرية. وواقع الحال سيقوده إلى إبلاغ الشرطة عند بلوغ المحطة. وسيتعرض هو لكل أساليب التحقيق القذرة. تأثّر السيد كروثر بما جرى أمامه. إلا

أنه لم يقم بنشر غسيل مشاعره: فأن يقوم رجل محترم بإلقاء حقيبته من نافذة القطار السريع يعني في حدّ ذاته مفاجأة له. وتخيّل أن رفيقه في هذه العربة توقّع أن تكون ردة فعله قوية، إلا أنه - وهو المهذّب - اكتفى بالصمت: فها هو ذا لا يقدر على متابعة قراءة كتابه الممتع. قرّر السيد كروثر بينه وبين نفسه أن الراكب الآخر اعتدى على حدود عزلته غير المرئية.. فكأنما قام بتفجير كيس ورقي قربه لكي يدفعه إلى القفز.. وإذا كانت هذه هي نيّة شريكه في هذه العربة، وكذلك أن ما قام به سيمنحه وسام الأهمية، فالسيد هاربي ريبستون مخطئ.. بلغ نقطة اللاعودة: فهو إما أن يتحدث، وإما أن ينفجر.. وهو قد اختار الأمر الأول، فقال:

- عفواً سيدي.. لا بد أن أقول: إنك قد فاجأتني.

تركت عينا السيد كروثر الكتاب ليقول: أنا فاجأتك؟! هل قراءة كتاب في قطار هي مفاجأة لك؟!.

قال السيد هاربي ريبستون: لا.. لا أتحدث عن هذا الموضوع.. المفاجأة أنك لم تبدِ أيّ نوع من أصناف ردود الفعل حين أبصرتني ألقي حقيبتي من نافذة القطار.

- بالتأكيد أن ما جرى مفاجأة لك.. أنت سهل الانقياد لتلال المفاجأة. قال السيد كروثر.

قال السيد هاربي ريبستون: لا أدري.. ولكنه يا سيدي لا بد من القول: إنك لم تبصر رجلاً يلقي حقيبته من نافذة القطار.

قال السيد كروثر: هذا صحيح.. لم أبـ ر مثل هذا الفعل من قبل. ولكن لأجل الحقيقة لم أبصر رجلاً يأكل القرنبيط في القطار، أو من يقوم بالرقص في أثناء تأدية العائلة طقوس الصلاة. وأعتقد أنه على المرء أن يكون متمالكاً أعصابه عند حدوث ما ليس في الحسبان.

قال السيد هاربي ريبستون: إذاً، أنت تعتقد أن إلقاء حقيبة من نافذة قطار هو سلوك لا معنى له.

قال السيد كروثر: وآبت عيناه إلى صفحات كتابه المسلّي.

قال السيد هاربي ريبستون: إذاً، إذا جاز لي السؤال. وفي حدود معرفتك: ما السلوك الذي تصنّفه على أن له مغزى ومعنى؟.

هزّ السيد كروثر كتفيه. وقال: أظنّ أن السلوك سيكون له معنى إذا كانت الحقيبة التي ألقيت من نافذة القطار هي حقيبتي.

قال السيد هاربي ريبستون: حسناً. أنت تعتقد أنك أكثر أهمية مني.

قال السيد كروثر: لا أعتقد أنني قد أشرتُ بكلامي إلى نفسي.. ما قصدته أن حقيبتي أهم من حقيبتك. ولا أعني نوع الجلد الذي صُنعت منه الحقيبة، بل إنني أنا وأنت بالنسبة إليّ (الغريب).

قال السيد هاربي ريبستون: وحكايات الغرباء لا تثير اهتمامك؟.

قال السيد كروثر: هذا إذا كان لها علاقة بحياتي.

قال السيد هاربي ريبستون: حسناً، كان لا بد أن يخطر ببالي هذا.. إنني عندما ألقيت حقيبتي من النافذة فإن هذا لا يعني لك شيئاً.

قال السيد كروثر: قطعاً لا.

قال السيد هاربي ريبستون: إن هذا يشير إلى اختلاف الناس تجاه ما يحدث أمامهم.. لو أنك قمت بإلقاء حقيبتك من نافذة القطار لسألتك فوراً عن السبب الذي دفعك إلى القيام بذلك.

قال السيد كروثر: أحسّ بأنك تدور حول نفسك.. أنت تريد الحديث عن السبب الذي دفعك إلى القيام بما قد حدث.. أليس كذلك؟

قال السيد هاربي ريبستون: لا. إذا لم تكن مهتماً.. مع أنني مع حقيقة أنني لا أصدق أن ما حدث لا يثير اهتمام أحدهم.

توقف السيد هاربي ريبستون عن الكلام.. وتابع السيد كروثر قراءة كتابه بعد أن عاد بظهره إلى الوراء ليلامس المقعد.. قال وكأنه يدوّن اعترافاً: الحقيقة أنني قبل ساعة ونصف الساعة هجرت منزلي وزوجتي لأبدأ حياة جديدة، والسبب الذي دفعني إلى إلقاء الحقيبة من نافذة القطار فجأةً أنني اكتشفت أنني أحمل معي كثيراً من التفاصيل الحميمة من حياتي السابقة.. الأمشاط، والجوارب، وغيرها.. وهذا ما أبتغي الابتعاد منه.. أنا لستُ جباناً. أنا رجل أقترب من الخمسين، ومضى على زواجي ٢١ عاماً، وها أنذا أبدأ حياتي من جديد.. حسناً.. ألا يبدو لك هذا أمراً غير طبيعي؟

قال السيد كروثر: على العكس. هذا أمر عادي جداً.

قال السيد هاربي ريبستون: هل تعتقد أن هذا أمر طبيعي؟ يجب عليّ القول: إنك فاجأتني.

قال السيد كروثر: يبدو أنه من السهل مفاجأتك.

قال السيد هاربي ريبستون بهدوء: وأنت فخور بأعصابك الفولاذية.

قال السيد كروثر: لا. ليس هذا ما أعنيه. بل نحن البشر نتأثر بكثير مما يحدث حولنا من وقائع.. أخبرتني أنه مضى على زواجك ٢١ عاماً. وخمّنت أنني سأفاجأ حين تخبرني أنك قد هجرت زوجتك اليوم.. لكن يا سيدي. لا أجد ما يدهشني في هذا.. المفاجأة بالنسبة إليّ كانت هي استمرار زواجك هذه المدة الطويلة.. ٢١ عاماً.

قال السيد هاربي ريبستون: أشكرك على تعاطفك معي.. يعني هذا أنك غير متزوج.

أجاب السيد كروثر: ليس الآن.

قال السيد هاربي ريبستون: ليس الآن.. هل تعني أنك كنت متزوجاً. وهجرت زوجتك.. أو طلّقتها؟

قال السيد كروثر: ليس بالضبط.. أن يترك الرجل زوجته يعني أن يترك بيته. وهذا خارج السؤال.. وأنا فخور بمنزلي.. بيت ساحر. وحديقة واسعة.. وهذه المملكة تكون أجمل حين تكون لي وحدي.

قال السيد هاربي ريبستون: هل تعني أنك طردت زوجتك من البيت؟

قال السيد كروثر: لا؛ فهذا يعني كثيراً من المشاعر غير السارّة.

قال السيد هاربي ريبستون بفضول: إذاً. ماذا حدث؟ ماذا فعلت؟

حرّك السيد كروثر يده. وقال: هناك طرائق أخرى.. وسهلة.

قال السيد هاربي ريبستون: أريد معرفتها.. ما هي؟

قال السيد كروثر: أعتقد أن منهجي لا يناسب شخصيتك.

قال السيد هاربي ريبستون: ولماذا لا؟

قال السيد كروثر: لماذا لا؟! حسناً. أساليبي تتطلب.. ماذا أقول؟ تتطلب كثيراً من الدقة والتخطيط والتركيز.

قال السيد هاربي ريبستون: وهل تعتقد أنني غير قادر على فعل مثل هذه الأمور.

قال السيد كروثر: ما عليّ قوله أن التخطيط لم يكن جزءاً مما قمت به.. فأنت تبتغي مفاجأة الآخرين. ولكن إذا أردت أن تفعل ما قمت به على طريقتي فهذا يقودك إلى موقع سيئ.

قال السيد هاربي ريبستون: لقد أثرْت فضولي.. والآن من فضلك أخبرني تفاصيل ما فعلت.

ظهر السيد كروثر متردّداً. ثم قال: إذا أخبرتك فهل تعدني أنك لن تتهمني بمفاجأتك: فليس لديّ الرغبة في إزعاج أحدهم.. ولاحظ أنني لم أجبرك على الاستماع إليّ.. فلو أنك لم تتحدث إليّ لتابعنا رحلتنا هذه بصمت: فلديّ كتاب ممتع لو أنك لم تقُدْني إلى هذه المحادثة.

قال السيد هاربي ريبستون: اهدأ.. اهدأ.. من هو الآن الذي يثير المشاعر بأسلوبه في الحوار.. أعدك بالتزام الصمت. وعدم إبراز أيّ وثيقة من أوراق مشاعري.

قال السيد كروثر: حسناً.. ما قمتُ به ببساطة هو كالآتي: آسف إذا بدوت لك بلا مشاعر.. حسناً لا تتفاجأ.. ببساطة.. قتلت زوجتي.

السيد هاربي ريبستون: لم يفلح في ابتلاع قرص المفاجأة: فقد تعدّدت الألوان التي ظهرت بها صفحة وجهه. وبدا واهناً وشاحباً.. لقد فعلها. وهذا صحيح.. في الحقيقة.. لقد دفعتني إلى القول أو الاعتراف بأمر.. إنني لم أهجر زوجتي.. والسبب بسيط هو أنني أعزب.. أقوم بزراعة مساحة واسعة من الأرض بالخضراوات. وكلّ أسبوع أقوم بزيارة لندن. وبالنسبة إلى الحقيبة فإن لي أصدقاء يقطنون بالقرب من سكة الحديد هذه.. أضع داخل الحقيبة كمية من الخضراوات. وهي حقيبة قديمة إذا انتبهت لها.. وحين يبلغ القطار منطقة سكنهم ألقي الحقيبة من النافذة لتتدحرج وتستقرّ قرب أبواب منازلهم.. هو أسلوب بدائي. لكنه غير مكلّف. ويحول دون ابتياعي الطوابع.. وكما ترى فإن هذه الطريقة تقود إلى حوار ممتع مع رفاقي في عربة القطار. وأنت منهم من دون استثناء.

- مارتن آرم سترونج: وُلد في نيوكاسل بلندن عام ١٨٩٢م. وهو روائي معروف. وقد عمل في الصحافة. وتوفّي عام ١٩٧٤م. ومن أعماله: العاشقون (رواية). وثعابين فوق الأعشاب (رواية). وثمانية مجموعات قصصية وشعرية.



عبدالله سالم زين باحميد

اليمن

عندما كنتُ أقرأ عدد (الفيصل) المزدوج ٢٩٧-٢٩٨ (رجب- شعبان ١٤٣٠هـ) وقع نظري على قصيدة (في فمي ماء) للشاعر سعد عبدالرحمن البوادري، فوجدتُ نفسي مدفوعاً إلى كتابة معارضة لها، فكانت هذه القصيدة:

إيه يا (سعدُ) تبسَّمْ ... لا تبالي بالأذاة

كلُّنا جرح كبير ... وبأيدينا الدواة

نحن من بدّل أسيا ... ف جدودي الكرماة

نحن من باع (صلاحاً) ... بتماثيل الغناة

فشباب اليوم أضحوا ... كيس لهو وهراة

فكرنا صار ضئيلاً ... فرفعنا البلهاة

ورجالات عظام ... أهملوا في (بيرحاة)

ترف أغرق قومي ... غرقوا في غير ماة

لا تظنَّنْ الأمر عفواً ... بل عداء ودهاة

لست أعمى يا صديقي ... فغداً يُجلى الغشاة

اغسل الجرح وبادر ... وامتط ظهر القضاة

شُقَّ للخير طريقاً ... ذُرّ في الليل الضياة

علّم التاريخ قومي ... بمضاء وعطاة

علّم الجيل ليمضي ... في صفوف الأنبياة

إن يكن في الدهر عسر ... ربما ذاك رخاة

لا يزال الخير فينا ... لم يزل ثَمَّ إباة

إن تكن (بغداد) نبكي ... إن في الدمع شفاة

دخل التاريخ هز الـ ... أرض بالأمس (حذاة)

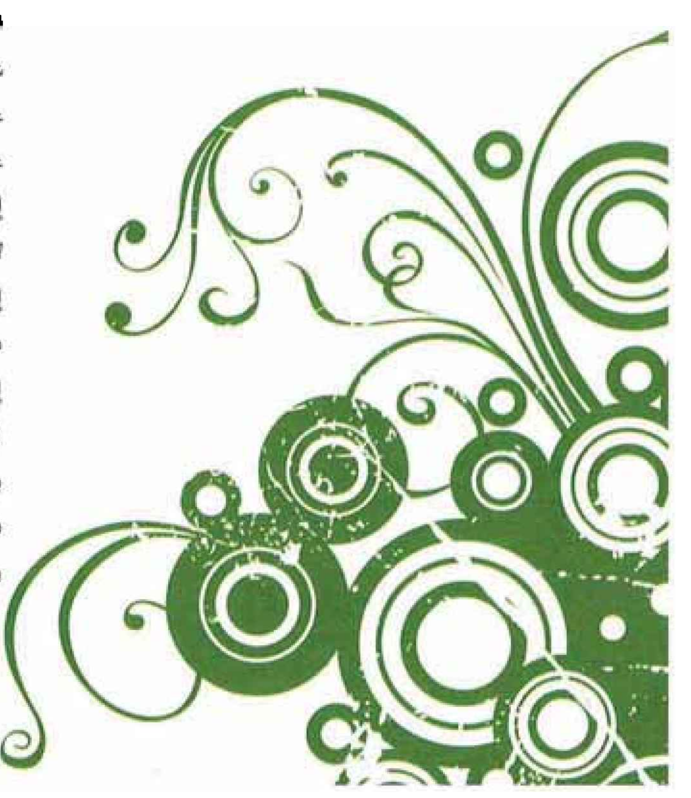
إن في (لبنان) عندي ... بعض عزٍّ وانتشاة

(غزة) فجر قويّ ... هي فرقان وجاة

يا بنات العرب جودي ... بـ(عليّ) و(البراة)

فقريباً جيش قومي ... ستباركه السماة

ومحالٌ أن يدوم الـ ... ـحال، بل صيف شتاة





الأقليات العربية والمسلمة في أوربا:

انعزال أم اندماج؟

تراوح تقديرات أعداد المسلمين في أوربا بين ٢٠ مليوناً و٥٠ مليوناً؛ أي: ما يشكّل نحو ٤-٧٪ من مجموع سكان أوربا البالغ نحو ٥٠٠ مليون في دول الاتحاد الأوربي السبع والعشرين.

أحمد بن سيف الدين تركستاني

الرياض - السعودية

ويقدّر التقرير الأمريكي المتعلق بالحريات الدينية الصادر عام ٢٠٠٣م عدد السكان المسلمين في أوربا بأكثر من ٢٣ مليون نسمة؛ أي: نحو ٥٪ من عدد سكان أوربا. وتتفاوت النسب بين دولة وأخرى؛ إذ بلغ عددهم في فرنسا نحو ٦ ملايين، وفي ألمانيا أكثر من ٣ ملايين، وفي بريطانيا مليونين، وفي إسبانيا مليوناً واحداً، ولا يزيدون على ٢٠٠ ألف في الدنمارك. وتشير التقارير حول المسلمين في أوربا اليوم إلى أن ٥٠٪ منهم مولودون في الدول الأوربية. والأهم من ذلك أن تزايد نسبة الولادات في صفوف المسلمين هو اليوم أكثر ثلاث مرات من معدل الولادات بين غير المسلمين. وهو ما سيسهم في تزايد عدد المسلمين في أوربا. ويشكّل المسلمون الفئة العمرية (معدل الأعمار) الشابة مقارنة بغيرها من الفئات؛ إذ نجد حسب الدراسات أن ثلث عدد المسلمين في فرنسا البالغ عددهم نحو ٦ ملايين نسمة هم تحت سن العشرين.

أكدت دراسة مسحية أعدّها الكونجرس اليهودي العالمي بعنوان: (صعود الإسلام في أوربا) أن الإسلام يتمتع بمعدلات النمو الأعلى في أوربا؛ فهناك نحو ٢٠ مليون مسلم في الاتحاد الأوربي يعدّون أنفسهم مسلمين. وإذا تواصل هذا الاتجاه سيشكّل المسلمون في عام ٢٠٢٠م نحو ١٠٪ من مجموع سكان أوربا.

عدد المسلمين في بريطانيا - مثلاً - عام ١٩٦٣م كان لا يزيد على ٨٢ ألف مسلم، وارتفع في ثلاثين عاماً إلى أكثر من المليونين.

إلى جانب ذلك، فإن مسلمي أوربا مختلفون في خلفياتهم العرقية إلى حدّ بعيد؛ إذ نجد في إنجلترا مثلاً أغلبية من جنوب آسيا، وفي فرنسا معظمهم من شمال إفريقية، أما ألمانيا فمعظمهم من الأتراك.

بداية وجود المسلمين في أوربا

منذ العقد السادس من القرن الماضي وأوربا تشهد موجات متعاقبة من القدوم من الدول الإسلامية. وكان الجيل الأول قد وصل في الخمسينيات والستينيات، وكان مجيئه مصاحباً لحركات التحرر الوطني واستقلال الدول الإسلامية؛ مثل: تركيا، وإندونيسيا، وباكستان التي كانت شرقية وغربية في ذلك الوقت، ومعظم الدول العربية. وكان معظم القادمين من الفقراء الذين يبحثون عن فرصة عمل في الدول المُستعمِرة الغنية التي يُعرف لغتها وتاريخها الاستعماري.

ثم شهدت السبعينيات والثمانينيات ما عُرف بالصحوة الإسلامية في الدول الإسلامية، وشهدت أيضاً في أوربا ظهور الجيل الثاني. ونتج من هذا ازدياد عدد المساجد؛ لاهتمام الحكومات الأوربية والإسلامية بالتعاون في هذا المجال، واحتواء هذا العدد المتزايد. ولكن مع نشوء الاتحاد الأوربي، وزيادة الضغوط الاقتصادية، وتقلّص فرص العمل؛ ازداد التمييز العنصري، وصارت الأحياء ذات الأغلبية المسلمة مأوى للجريمة والفقر. وتشير الإحصاءات الأخيرة إلى أن نسبة عدد المسجونين من المسلمين في الاتحاد الأوربي قد تضاعفت مرتين في السنوات العشر الأخيرة.

الجيل الثاني لا يعرف له أرضاً أو وطناً غير المجتمع الأوربي



وجد الجيل الثاني من المسلمين نفسه منصهراً بصورة كبرى في المجتمع الأوربي الذي عمل وتعلّم فيه، ولا يعرف له أرضاً أو وطناً غيره، ولكنه وجد نفسه أيضاً معزولاً بسبب الرفض الاقتصادي، وظهور ظاهرة الخوف من الأجانب، وبخاصة من الإسلام والمسلمين، أو ما يُعرف بـ(الإسلاموفوبيا)؛ بسبب ازدياد عدد الناشطين المسلمين في أوربا نتيجة خروجهم من بلادهم الأصلية. وتميّزت هذه الحقبة بأنها نتيجة ظروف سياسية أكثر منها اقتصادية، وقد وجدت أرضاً خصبة في الشباب المسلم الأوربي من

ما المراد بمصطلح الأقلية؟

راجت كلمة (الأقلية) في عصرنا؛ بسبب كثرة الهجرات، وتقارب العالم بعضه مع بعض، ويُراد بها: كلّ مجموعة بشرية في قطر من الأقطار تتميز من أكثرية أهله في الدين، أو المذهب، أو العرق، أو اللغة، أو نحو ذلك من الأساسيات التي تتمايز بها المجموعات البشرية بعضها من بعض. ومن ذلك: الأقليات المسلمة في المجتمعات المسيحية في الغرب، أو الهندوسية في الهند، أو البوذية في الصين: فهي تخالف الأكثرية في العقيدة والدين. ومثلها الأقليات المسيحية في مصر وسورية والعراق وغيرها، والأقليات اليهودية في الغرب وإيران وتركيا وغيرها، والأقليات الكاثوليكية في كثير من بلدان العالم. وهنالك الأقليات العرقية: كالأقليات البربرية في الجزائر والمغرب، والأقليات الكردية في العراق وإيران وتركيا وسورية. وهنالك الأقليات اللغوية: مثل الأقليات الناطقة بالفرنسية في كندا (مونتريال وما حولها). وأشهر الأقليات في العالم هي الأقلية الدينية. وهي التي تثور حولها المشكلات هنا وهناك. ومن لوازم الأقلية أنها تكون عادةً ضعيفةً أمام الأكثرية: فالكثرة تنبئ عن القوة، والقلة تنبئ عن الضعف.

ويحدثنا القرآن عن الكثرة في معرض الامتنان والتذكير بالنعمة على لسان شعيب - عليه السلام - حين قال لقومه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ (الأعراف: ٨٦). ونحو ذلك قوله تعالى في الامتنان على المهاجرين بعد غزوة بدر: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ (الأنفال: ٢٦).

وقال الأعشى قديماً:

ولست بالأكثر منهم حصى ... وإنما العزة للكاثر!

وقال عمرو بن كلثوم مفاخراً بكثرة قومه:

ملأنا البر حتى ضاق عنا ... ونحن البحر نملؤه سفينا!

وقال السموأل معتذراً عن قلة قومه:

تعيّرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها: إن الكرام قليل!

وهذه القلة العددية كثيراً ما تعرّض الأقلية للظلم والاضطهاد من الأكثرية؛ خصوصاً إذا غلب على الأكثرية التعصّب والاستعلاء على الآخرين؛ لذلك ترى الأقليات في أنحاء الأرض كافةً تتضامّ وتتلاحم فيما بينها لتحافظ على كيانها أمام الأكثرية، وإن كانت الأقليات الإسلامية أقلّ الناس حظاً من هذا التلاحم والتماسك على الرغم من أن تعاليم دينهم تحثهم على التكامل والترابط والتعاون فيما بينهم على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، بحكم الأخوة الإسلامية الواصلة بينهم، والعقيدة الإسلامية التي تجعلهم كالجسد الواحد.

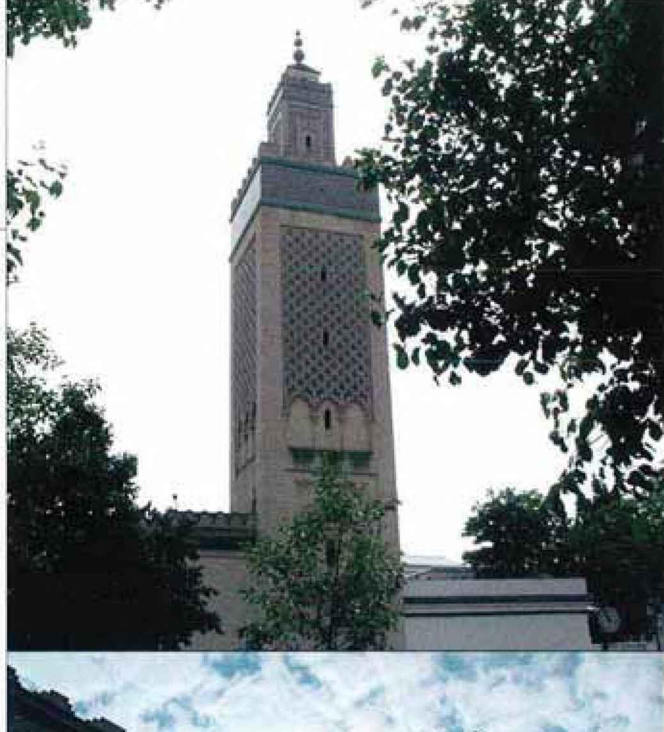
- في فقه الأقليات المسلمة: حياة المسلمين وسط المجتمعات الأخرى، د. يوسف القرضاوي، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

الجيل الثاني: إذ عرف هذا الجيل شكلاً جديداً من الإسلام: ثورياً، ومتحركاً، وراغباً في البحث عن هويته: فازدادت المساجد والمراكز الإسلامية، وظهرت الجمعيات النشيطة في مختلف التجمعات.

صعوبات الاندماج الإسلامي في أوربا

تشير الإحصاءات إلى أن في الاتحاد الأوربي أكثر من ٧ آلاف جمعية ومركز إسلامي ومسجد، يستفيد من خدماتها أكثر من ١٦ مليون مسلم، وسط توقعات بتزايد كبير للمسلمين في الأجل القصير؛ لعدم وجود قانون أوربي صريح يعادي المسلمين، بل إن بعض المسلمين لجؤوا إلى القانون الأوربي لرفع الظلم عنهم، وتحقق لهم ما أرادوا. كما أن المسلمين يتمتعون بحقوق ممارسة شعائرهم الدينية بحرية وطمأنينة، وحرية إنشاء المؤسسات وبناء المساجد. إضافةً إلى أن المسلمين المولودين في أوربا يشكّلون أكثر من نصف المسلمين هناك، وهؤلاء يشعرون بأنهم مسلمون ديناً أوربيون وطناً؛ لذلك تحتلّ قضية الاندماج مكانها المتميز في حركة الإسلام في أوربا.

تحوّلت الهجرة المؤقتة للمسلمين إلى هجرة دائمة، وتغيرت





ثورة ضد المآذن في أوربا

نوعية المهاجرين من العمال البسطاء إلى هجرة العقول والكفاءات، إضافةً إلى مظهر مهم يتمثل في دخول أعداد لا بأس بها من الأوربيين الإسلام، وانتشار الإسلام في طبقات مختلفة من المجتمع، وعدم اقتصاره على إسلام بعض أفراد النخبة الأوربية. وتشير الإحصاءات إلى أن عدد المسلمين من ذوي أصول أوربية في الاتحاد الأوربي يبلغ قرابة نصف مليون شخص.

إن دمج المسلمين في المجتمعات الأوربية يزداد صعوبة، لكن الاستطلاعات تعكس حقيقة مهمة، هي أن معظم السجناء في السجون الفرنسية ينحدرون من أصول شمال إفريقية، وربع الشابات المسلمات متزوجات من غير المسلمين، في حين تكتظ الجامعات البريطانية بكثير من الطلاب المسلمين، بل ينضم كثير منهم إلى حزب المحافظين. ولا شك أن الانصهار أو الاندماج الكامل سيكون صعباً جداً، لكنه قطعاً لن يكون مخيفاً كما يصوّره اليمين الأوربي!

إذ يصفه الدبلوماسي الأمريكي تيموثي سافيج تحت عنوان (أوربا والإسلام) بأنه الهلال المتنامي، وصدام الثقافات، وهي دراسة لا تخلو من التحيّز واستعداء أوربا على المسلمين، وقد نشرتها المجلة الفصلية (ذي واشنطن كوارترلي The Washington Quarterly) في عددها لصيف عام ٢٠٠٤م، فيقول: «على الرغم من الحضور الكبير للمسلمين في الغرب إلا أن ثمة نزوعاً بينهم إلى التمركز في مدن محددة، خصوصاً العواصم والمدن الصناعية، كما هو الشأن في برلين الألمانية، وباريس الفرنسية، أو لندن البريطانية، وتكاد أحياؤهم تكون مغلقةً منفصلةً عن مسار الحياة الاعتيادية لبقية المجتمع الأوربي؛ فمثلاً: نجد خمسي المسلمين في المملكة المتحدة يعيشون في منطقة لندن الكبرى Greater London، وثلث المسلمين في فرنسا يعيشون في باريس وضواحيها، وثلث المسلمين في ألمانيا يتمركزون في المنطقة الصناعية روهر Ruhr».

ويشكّل المسلمون اليوم في مرسيليا أكثر من ٢٥٪ من عدد سكانها، و٢٠٪ من منطقة مالمو في السويد، و١٥٪ من العاصمة البلجيكية بروكسيل، والنسبة نفسها في برمنغهام بشمال بريطانيا، وفي العاصمة الفرنسية باريس، و١٠٪ من سكان لندن، وأمستردام، وروتردام، وهيغ، وأسلو، وكوبنهاغن.

تلك الأقليات تحاول الحفاظ على هويتها، لكن ضعف الإمكانات والموارد، وندرة الدعاة المتخصصين، يقفان عائقاً دون تحقيق ما تصبو إليه. ومما ينعكس سلباً على أوضاعها الاجتماعية والثقافية أن كثيراً من المسلمين يعيشون في ظروف صعبة؛ فهم إما في أحزمة البؤس التي تحيط بالمدن الأوربية الكبرى، وإما في تجمعات سكانية مكتظة، وفي حالة تهميش وتقوقع ثقافيين. ويزيد من حدة هذه المشكلة عدم وجود تنظيم عربي وإسلامي قويّ يدافع أمام الحكومات الأوربية عن حقوق تلك الأقليات وسرعة تنفيذ مطالبها.

الشباب المسلم في أوربا يبدي تمنّعاً ملحوظاً من الذوبان في المجتمع الأوربي بقيمه العلمانية، بل أظهر هؤلاء الشباب تمنّعاً لم يبده آباؤهم وأجدادهم القادمون إلى أوربا

وعلى الرغم من تزايد عدد حاملي الجنسية الأوروبية فإن الشباب المسلم في أوربا يبدي تمنّعاً ملحوظاً من الذوبان في المجتمع الأوربي بقيمه العلمانية، بل أظهر هؤلاء الشباب تمنّعاً لم يبده آباؤهم وأجدادهم القادمون إلى أوربا. وبقدر ما يبدي الشباب المسلم اليوم إيجابية في الاندماج في المجتمع الأوربي، ويحترم التصورات الوطنية والمعايير القومية؛ فإنه يميل في الوقت نفسه إلى التعبير عن هويته الثقافية الإسلامية، والتزامه التوجيهات العامة لدينه. وينظر كثير منهم إلى أن الاندماج الكامل في المجتمعات الأوربية من شأنه أن يسلبهم هويتهم الثقافية. وقد كشفت دراسات حول هذا الموضوع أن الأجيال المسلمة من الجيلين الثاني والثالث أقلّ قابليةً وأقلّ قبولاً للاندماج في المجتمعات الأوربية من الآباء والمهاجرين السابقين. وتشير الدراسات إلى الضجة والإصرار اللذين عبّرت عنهما الشابات المسلمات تمسّكاً بما يُعرف بغطاء الرأس أو الحجاب.

ويأتي الإحساس بصعوبة الاندماج بالنسبة إلى بعض المسلمين في أوربا لإحساسهم باضطهاد المسلمين عامة، ولما يرونه حروباً صليبية يشنّها الغرب على الإسلام كما يحصل في تأييده اليهود في صراعهم مع العرب في فلسطين، وكما يحدث في العراق وأفغانستان.

لقد ألقى الألم والغضب في العالم الإسلامي بظلّهما على مسلمي الغرب الذين يرون بشكّل متزايد (الحرب على الإرهاب) حرباً ضد الإسلام؛ إذ يتملّك الشباب المسلم شعور بالعجز والذنب؛ بسبب عدم قدرتهم على مساعدة إخوانهم المسلمين لمواجهة انتهاكات (القوى الصهيونية) و(الأمريكان الصليبيين) تحت تأثير نظريات مؤامرة الهجوم على الإسلام وأشرطة الفيديو الجهادية. فيجدون أنفسهم مندفعين - حتى تحت تأثير غسل الدماغ - إلى الإيمان بالنظرية القائلة: إن الإسلام مُحاصَر.

إن حدة غضب المسلمين ملموسة في عدة مدن إنجليزية: مثل: برمنغهام، وشرق لندن، وبرادفورد. وقد تفاقمت الحرب على الإرهاب لتزيد من تعصّب المسلمين للقضية الفلسطينية المثارة على الدوام، التي يعود تاريخها - كما هو معروف - إلى ما قبل الحادي عشر من سبتمبر / أيلول.

ومن أسباب الظاهرة أيضاً: تزايد النفوذ اليميني في أوربا، وظهور الأحزاب اليمينية المتطرفة: كالجبهة الوطنية في فرنسا وإنجلترا، ومن عُرفوا بـ(الرؤوس الصلعاء) في مختلف دول أوربا. يشكّل نجاح الأحزاب اليمينية الأوربية الجديدة المعادية للأجانب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر تحدياً كبيراً أمام الأقليات العرقية والدينية، حتى الديمقراطية السياسية الأوربية. وأكثر ما تعانيه الجاليات المسلمة هو أن بلاغة تلك الأحزاب لا تتضمن فقط تخويفاً من الأجانب، ولكنها معادية للمسلمين أيضاً. وقد ساعد ما عُرف بـ(الحرب ضد الإرهاب) تلك الأحزاب المتطرفة على طرح مضامين تعصّبية معادية للأجانب في الصحف اليومية بتعبيرات معادية للمسلمين، وإصدارهم أحكاماً مسبقة ضد الأجانب.

لقد أصدر اتحاد هلسنكي العالمي تقريراً عن المسلمين بوصفهم ضحايا لعدم التسامح والتمييز في الاتحاد الأوربي منذ اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر / أيلول. ويشير التقرير إلى تزايد التمييز ضد المسلمين في عدد من الدول الأوربية، إلا أن هناك تطورات إيجابية أيضاً. ويهدف التقرير في المقام الأول إلى «الإسهام في إيقاظ الثقة بالنفس بدرجة كبيرة، خصوصاً فيما يتعلق بعدم التسامح والتمييز، والإسهام أيضاً في احترام حرية ممارسة المسلمين دينهم داخل الاتحاد الأوربي».

وفي هذا الخصوص يعالج التقرير مجموعة كبيرة من الموضوعات؛ مثل: النظرة العامة إلى المسلمين في الإعلام والسياسة والمؤسسات التعليمية ومجالات العمل، والنظرة إلى المهاجرين الأجانب وقضية اندماجهم في المجتمع وتشريع قوانين اللجوء، وكيفية ممارسة المسلمين شعائر دينهم (أمكنة الصلاة، والتربية الدينية، وما هو مهم وضروري للحجاب ومراسم دفن الموتى)، والنظرة التي تحظى بها الأحزاب المتطرفة المعادية للدين.

ويعالج التقرير في باب منفصل بعض الحالات التي يدعو فيها بعض رجال الدين المسلمين إلى عدم التسامح والتحريض على العنف، كما أثبت التقرير تحيّز الإعلام في الدول التي جرى عليها

يوجد ارتباك ملحوظ في سياسة الدولة الفرنسية تجاه المسلمين بالنسبة إلى قضية الاندماج، وافتقار لسياسات واضحة لإدماج المهاجرين؛ لذلك احتلت قضية المهاجرين حيزاً كبيراً في الانتخابات الرئاسية



التمسك بالزي الإسلامي.. هل يتعارض مع الاندماج في المجتمع الأوربي؟

البحث، وقيامه عادةً بالحديث عن الموضوعات الاستفزازية التي تمسّ الإسلام والمسلمين. ومع ذلك، فما زال الإعلام النمساوي والإسباني والبلجيكي يصدر تقارير عن الإسلام والمسلمين أكثر تسامحاً مما هو في دول الاتحاد الأخرى. وأوضح التقرير أن الإعلام يميل إلى تقديم المسلمين بصورة متكررة في قالب سيئ منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول، فعلى سبيل المثال: نجد التقارير التي يصدرها الإعلام في ألمانيا عن الصراعات في دول البلقان والشرق الأوسط تهدف في المقام الأول إلى الربط بين الإسلام والإرهاب؛ مما يجعل لها تأثيراً سلبياً في النظرة إلى الإسلام والمسلمين.

وقد ألقى التقرير اللوم على الإعلام البريطاني؛ لأنه أسهم في خلق الأحكام المسبقة، ووضع المسلمين موضع الريبة من خلال تقاريره المغرضة التي لا تُغتفر. وطالب التقرير بضمان حرية ممارسة العبادات، وأن تكون القوانين الخاصة بالهجرة ومحاربة الإرهاب متماشيةً مع الاتفاقيات الدولية لحماية حقوق الإنسان.

كما يوصي التقرير أيضاً بأن تكفّ الدول عن التمييز ضد المسلمين، وأن تدعو بانتظام إلى التسامح والحوار، سواء كان في تعامل المواطنين أم الهيئات أم الإعلام مع المسلمين.

وأخيراً - كما يرى تقرير اتحاد هلسنكي العالمي - ينبغي على الدول الأعضاء أن تسعى إلى الحوار مع الجاليات المسلمة، وأن تمكن المسلمين من أداء شعائرهم الدينية.

يقول داود عبدالله - نائب الأمين العام للمجلس الإسلامي البريطاني: أبرزت الحملة الإعلامية بعض التوجهات لإيجاد كبش فداء، وتصوير المسلمين بأنهم شريرون أو شياطين؛ بمعنى: أن اللوم ألقي على الجالية الإسلامية كلها.

هذا لا يشكّل أيّ موقف منطقي سليم؛ لأننا رأينا أعمالاً وحشية تمّ ارتكابها في أوربا، لقد رأينا ما حصل في سربرنيتسا في عام ١٩٩٥م، وقتها لم تُلْقَ المسؤولية على عاتق المجتمع الأوربي المسيحي برمّته، ولا على عاتق جميع المسيحيين في صربيا. لذا، فإننا نشعر بالغضب والإهانة

عندما تحاول وسائل الإعلام تصوير المسلمين البريطانيين كأنهم الطابور الخامس، أو كأنهم أعداء، وتستعمل هذه الألفاظ ضدهم.

محاولات الاندماج

تحاول الحكومات الأوربية إدماج المسلمين داخل المنظومة السياسية، إلا أننا نجدها تأخذ خطوة إلى الأمام، ثم تعود عدة خطوات إلى الخلف؛ بسبب تخوفها من الآراء التي ينشرها بعض المحللين السياسيين والمستشرقين، التي غالباً تضع الإسلام والمسلمين مع الإرهاب في قفص واحد. إلا أن هذه الصورة التي يحاول بعض الغربيين غير المنصفين جعلها الصورة السائدة في الغرب ليست الصورة الكاملة للحاضر المسلم في تلك القارة؛ فهناك صورة أخرى تتمثل في الدور المتنامي للجانب الاقتصادي الذي يؤثر في دمج المسلمين في أوربا، وكذلك في إقناع أوربا بإسهام المسلمين الحيوي؛ إذ نرى تزايداً في عدد البنوك الإسلامية التي أصبح حجم تعاملاتها يقارب ٢٠٠ بليون دولار حسب إحدى الدراسات.

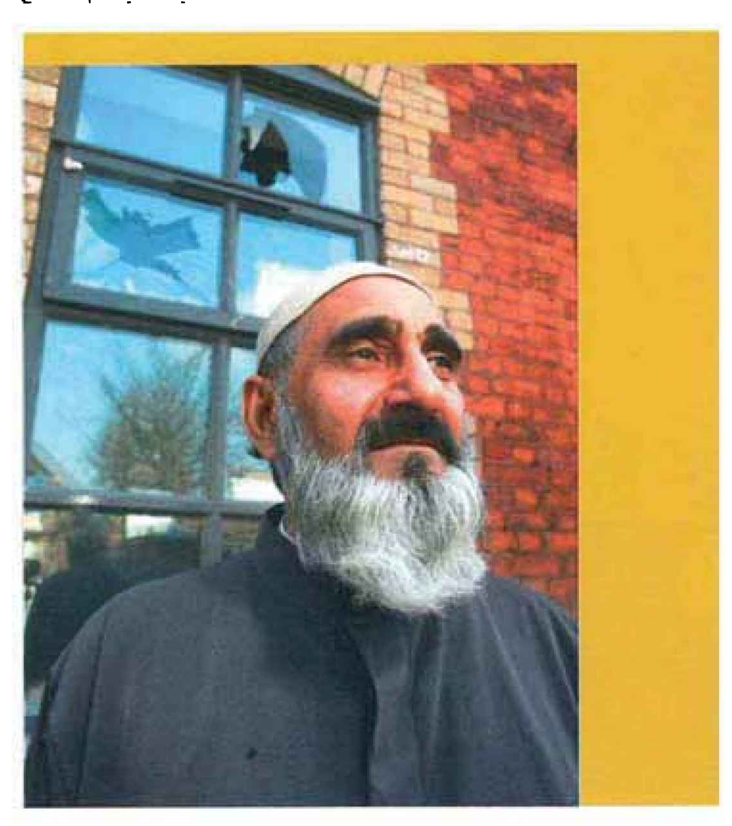
يمكن أن ننظر بحذر إلى الاندماج، أو ما يُسمى أحياناً بالاعتدال؛ لما لهذا المفهوم من أوجه متعددة؛ فهو من وجهة النظر الأوربية يعني أن يصير المواطن المهاجر أو المسلم أوربياً أولاً، ثم مسلماً ثانياً. ويعدّ هذا الرأي خلطاً وتعدّياً على حق المواطن والفرد في اختيار أولويات انتماءاته؛ بمعنى: أن الفهم الأوربي لمفهوم الاندماج يؤدي إلى تعنّت وقسر، ومن ثَمّ ضغط واضطهاد.

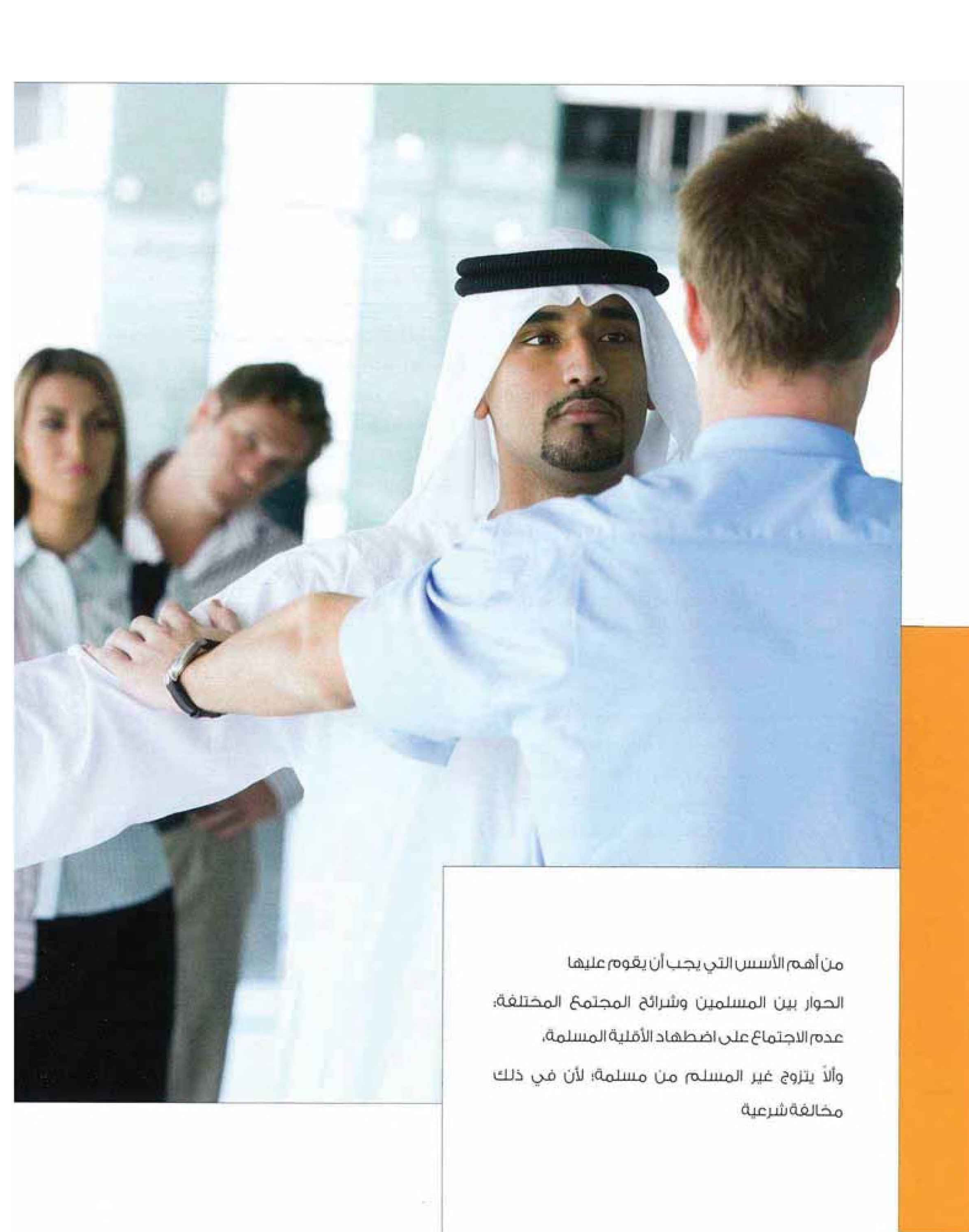
وعلى الجانب الآخر، نجد أن الاندماج في الفهم المسلم أحياناً هو حقوق دون واجبات، والتزامات من الدولة دون التزامات في المقابل من الفرد. وأحياناً - وهنا يكمن الإشكال - يكون المواطن المسلم الأوربي مطالباً باتخاذ قرار ضد دينه ليكون أوربياً أو العكس. أما إذا شعر المواطن المسلم أنه لا تعارض بين انتمائه الديني وانتمائه الأوربي فإنه سيتخلّص من فكرة الاضطهاد.

ولكن هذا الأمل - وليس الواقع - أدى إلى تعرّض الأقلية المسلمة في أوربا لمواجهة كثير من المشكلات والتحديات، وهي ليست واحدة عند عموم المسلمين؛ فهي تختلف من بلد إلى آخر باختلاف قوانينه، واختلاف نظرة سكانه إلى الإسلام والمسلمين.

سبق لمؤسسة (رينمند ترست)، وهي منظمة غير حكومية مقرّها لندن، أن دعت الحكومة البريطانية إلى اتخاذ كلّ الإجراءات لضمان اندماج المسلمين في المجتمع البريطاني. ويؤكد كتاب (إستراتيجية العمل الثقافي في الغرب)، الذي أصدرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو)، أن «مخطط إدماج الأقليات المسلمة في الكيان الثقافي الغربي يلقى غالباً معارضة ومقاومة كبيرة من المسلمين؛ بسبب حرص الجاليات والأقليات المسلمة على التمسك بذاتيتها الثقافية وخصوصيتها الإسلامية الأصيلة. غير أن هذا الحرص كان لا يعني الانغلاق على الذات، أو الانعزال في المجتمعات الغربية». والواقع أن مصطلح الاندماج من المصطلحات المشكلة؛ إذ يخضع لتفسيرات متعددة ومتباينة في بعض الأحيان؛ لأنه يتخذ من الثقافة الذاتية نقطة انطلاق لمحاولة استيعاب الآخر ضمن منظومته الثقافية. كما أنه مصطلح يختلط بمصطلحات أخرى تقترب منه بدرجات متفاوتة؛ مثل: التماثل، والتجانس، والتأقلم، والتكيّف،

الانتماء الديني لا يعني عدم الاندماج





من أهم الأسس التي يجب أن يقوم عليها

الحوار بين المسلمين وشرائح المجتمع المختلفة؛

عدم الاجتماع على اضطهاد الأقلية المسلمة،

وألاّ يتزوج غير المسلم من مسلمة؛ لأن في ذلك

مخالفة شرعية

والإدراج الثقافي، والإلحاق الحضاري. لذلك كان هناك تمايز وفروق بين الدول الأوروبية في إشكالات إدماج المسلمين تبعاً لقوانين كل بلد أوربي وثقافته، مع ضرورة إدراك أن النشاط الإسلامي مسموح به في حدود عدم إحداثه تغييرات في بنيات المجتمعات الأوربية. وفي مستوى لا يسمح ببزوغ منظومة إسلامية واحدة في أوربا؛ إذ تسود مخاوف كبيرة من بعض الأوربيين من القوة السكانية والثقافية للإسلام في أوربا، أطلق عليها (الإسلاموفوبيا)؛ مما دفع هؤلاء الأوربيين إلى إطلاق صيحات تحذيرية بأنهم أمام غزو ديني واستعمار عقائدي إسلامي. وأفرز هذا القلق بعض التوترات العنصرية العارضة ضد المسلمين ووجودهم في بعض الدول. إلا أن الحقيقة تؤكد أن المجتمع الأوربي ما زال متفتحاً على الرغم من الأزمات العارضة. وما زال يمتلك القدرة على التعايش مع الآخر في مناخ يظلّه الحوار والقانون بعيداً من عنف الدولة، والتطرف العقائدي.

الدول الأوربية واندماج المسلمين

اختلفت تجارب الدول الأوربية في إدماج المسلمين، واختلفت معها تفاعلات المسلمين. ويأتي اعتراف الإمبراطور النمساوي فرانز جوزيف عام ١٩١٢م بالإسلام ديناً رسمياً أقدم اعتراف بالإسلام في أوربا. وعلى الرغم من ذلك فإن أول جمعية إسلامية دينية أنشئت كانت في فيينا عام ١٩٧٩م؛ أي: بعد ما يقرب من سبعين عاماً، ولم يتم تدريس التربية الدينية لأبناء المسلمين إلا عام ١٩٨٢م، ولكن أعداد المسلمين تضاعفت فيها خلال عشرين عاماً أربعة أضعاف.

وفي إيطاليا وصل عدد المسلمين إلى أكثر من مليون مسلم، يُضاف إليهم ٨٠ ألف مسلم إيطالي، وأنشأ هؤلاء ٤٥٠ مسجداً. وعلى الرغم من ذلك فإن الحكومة الإيطالية ما زالت لا تعترف

تحاول الحكومات الأوربية إدماج المسلمين داخل المنظومة السياسية، إلا أننا نجدها تأخذ خطوة إلى الأمام، ثم تعود عدة خطوات إلى الخلف؛ بسبب تخوفها من الآراء التي ينشرها بعض المحللين السياسيين والمستشرقين

بالإسلام ديناً رسمياً، وأثر ذلك في حدوث ازدواجية ثقافية وصراع نفسي لدى الناشئة المسلمين، الذين لا يستطيعون أن يندمجوا في المجتمع الإيطالي؛ لأنهم مسلمون ويشعرون بالانتماء إلى الأرض التي وُلدوا ونشؤوا عليها، كما أدى عدم تجانس الجالية الإسلامية عرقياً وقومياً إلى انعكاسات سلبية نسبياً في عملية الاندماج.

وفي ألمانيا، التي يزيد عدد المسلمين فيها على ٣ ملايين مسلم، أغلبيتهم من الأتراك، ما زال الألمان ينظرون إلى المسلمين على أنهم أجانب وخطر على المجتمع؛ إذ كان التصور السابق عن المسلمين أن إقامتهم ستكون في ألمانيا عدة سنوات يجمعون فيها المال ثم يعودون إلى أوطانهم، إلا أن تطور رؤية المسلمين، ووجود قناعات لدى قطاعات كبيرة منهم بأن تكون الإقامة والمواطنة هي الأساس، قوبلا ببعض الكراهية والعنصرية من جماعات النازيين الجدد.

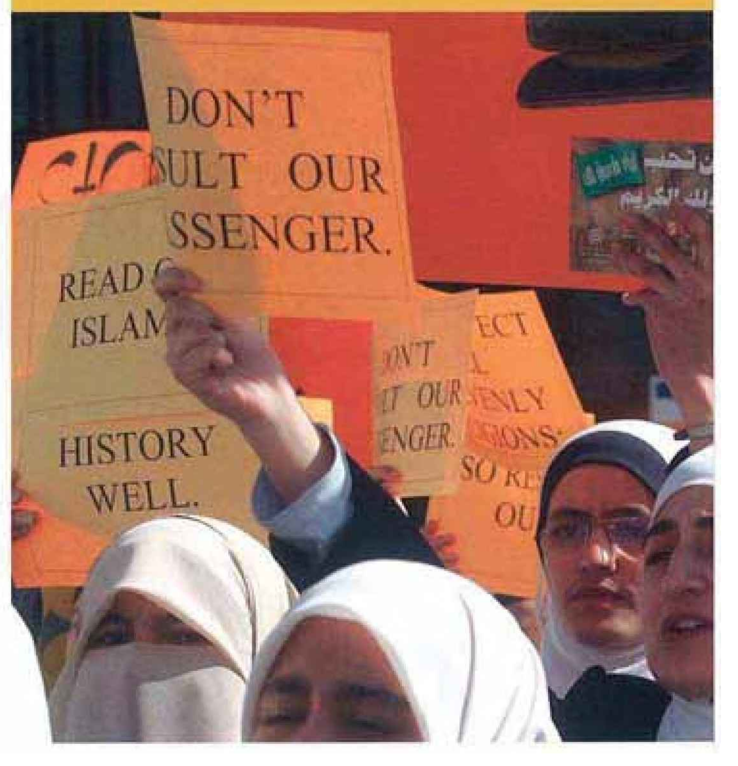
أما هولندا، فدعا رئيس وزرائها بيتر بالكينيد إلى إغلاق المدارس الإسلامية، وعددها ٣٥ مدرسة؛ بحجة أنها لا تشجع على إدماج الأطفال المسلمين داخل المجتمع، وأمام هذه الدعوات قام بعض الخطباء المسلمين بترجمة خطبة الجمعة إلى الهولندية، وإرسالها إلى سكان المنطقة التي يقع فيها المسجد؛ حتى يتأكد الهولنديون من أن الإسلام لا يدعو إلى الكراهية، وتأتي التجربتان البريطانية والفرنسية رائدتين في التعامل مع قضية اندماج المسلمين في المجتمع في أوربا على الرغم مما يوجد في أوربا من تمايز واختلاف.

بريطانيا

يشكّل المسلمون في بريطانيا أكثر من ٥٪ من مجموع السكان؛ إذ يزيد عددهم على مليوني نسمة، يشكّل ذوو الأصول الهندية ثلثهم، ويتحدث المسلمون هناك نحو ١٠٠ لغة، ولهم جذور من ٥٦ دولة، ويوجد فيهم نحو ٥ آلاف مسلم من الأثرياء ثراءً كبيراً. وللمسلمين ٦٠٠ مسجد مسجلة كوحدات خيرية دينية مقارنةً بـ١٣ مسجداً كانت موجودة عام ١٩٦٣م، وكذلك يوجد ١٤٠٠ جمعية إسلامية.

ويتميّز المسلمون في بريطانيا بأنهم أكثر امتلاكاً للعنصر الشبابي من البريطانيين أنفسهم؛ لارتفاع نسبة الخصوبة بين المسلمين، ومعدل المواليد المرتفع نسبياً، وتبلغ نسبة المسلمين البريطانيي المولد نحو ٥٥٪ من مجموع المسلمين، إضافةً إلى وجود سياسي في مجلس العموم واللوردات، وعلى مستوى البلديات كذلك





يوجد حزب إسلامي.

ويعدّ مفهوم الجنسية في بريطانيا محدود القدرة كوسيلة لتحقيق الاندماج لجميع حاملي الجنسية؛ فحمل الجواز لا يعني الحصول على الشعور الكامل بالمواطنة؛ إذ لا تعدّ الجنسية البريطانية بمنزلة مفهوم متجانس التكوين؛ فالدولة البريطانية متعددة القوميات والأعراق؛ فهناك الأسكتلنديون، والإيرلنديون، وسكان ويلز، وغيرهم، وهؤلاء يشكّلون الأمة الإنجليزية.

ومن ثَمّ، فإن القانون البريطاني ينظر إلى الجماعات العرقية المختلفة نظرةً إيجابيةً، ويسمح لها بقدر من التمايز؛ فالعرق في بريطانيا يشير إلى وضع قانوني، وليس إلى شيء مذموم، وفي ظلّ الحرية المسموح بها للتعبير عن الهوية السياسية للقوميات استطاع المسلمون أن يعبّروا عن أنفسهم في النظام السياسي؛ لاكتساب وضعية محلية موازية للوضعية التي تحظى بها القوميات الأخرى. ومن ثَمّ، فإن مسلمي بريطانيا في طور تشكيل أمة محتملة تحت حماية مفهوم المواطنة نفسه، الذي يحتوي في داخله كل الوافدين الجدد تحت اسم العرق، أو الدين، أو كليهما معاً.

وقد سعى مسلمو بريطانيا إلى إبراز هويتهم الدينية والثقافية من خلال آليات متعددة؛ منها: التدخل في العملية التعليمية من أجل فرض ما يجب تعليمه لأطفال المسلمين، وتشكيل جماعات ضغط من المسلمين في الانتخابات البلدية والتشريعية تهدف إلى وضع مصالح المسلمين في الحسبان، وفتح قنوات للحوار مع الحكومة لتحقيق حمايتهم من الهجمات العنصرية، والاعتراف بالزواج الشرعي الإسلامي أمام المحاكم البريطانية. إلا أن الحكومة ما زالت تكتفي بالحديث عن تراث الإسلام، وجدية المسلمين في العمل.

فرنسا

فرنسا من الدول التي تضم أكبر جالية إسلامية على أراضيها؛ إذ يبلغ عدد المسلمين بها نحو ستة ملايين، لديهم ١٢٠٠ مسجد، ونحو ٦٠٠ جمعية، وإذاعات محلية، إضافةً إلى وجود أكثر من ١٠٠ ألف مسلم من أصل فرنسي. ونشرت مجلة (لوموند) الشهيرة تعليقاً على ظاهرة إسلام الفرنسيين بعد إسلام بيير بونارد - رئيس الغرفة التجارية في باريس - أن معتنقي الإسلام في فرنسا سيشكّلون النموذج المرتقب لما سيكون عليه مستقبل الإسلام في فرنسا.

وتشير الإحصاءات إلى أن ٤٠٪ من الجاليات المغربية يحصلون

سنوياً على الجنسية الفرنسية، في حين يفوق الذين هم دون سن الرابعة عشرة من هذه الجاليات ٤٠٪، وذلك يعني أن مستقبل المواطنة الفرنسية لذوي الأصول الإسلامية واعد. والمعروف أن الدستور الفرنسي لا يسمح للحكومة بالتدخل في شؤون الطوائف الدينية لعلمانية الدولة، كما لا يتيح للدولة الفرنسية التدخل لمساعدة الأديان، أو الإشراف على مؤسساتها.

ويوجد ارتباك ملحوظ في سياسة الدولة الفرنسية تجاه المسلمين بالنسبة إلى قضية الاندماج، وافتقار لسياسات واضحة لإدماج المهاجرين؛ لذلك احتلت قضية المهاجرين حيزاً كبيراً في الانتخابات الرئاسية في فرنسا، وكانت السبب في صعود اليمين المتطرف بزعامة جان لوبن؛ بسبب تعهده بالحد من الهجرة الأجنبية لفرنسا؛ إذ أوضحت صناديق الاقتراع حجم كراهية الأجانب من جانب قطاع كبير من الشعب الفرنسي؛ لهذا بدأت الحكومة تنتهج سياسة جديدة للحدّ من الكراهية للأجانب تجسّدت في إعلانات تلفزيونية تظهر ضرورة السماحة مع الملوّنين، وتنتهي هذه الإعلانات بعبارة (من دون عنصرية فرنسا أفضل). كما قامت الحكومة الفرنسية بمساعدة المهاجرين على الاندماج في المجتمع، وأنشأت وزارة خاصة بالتنمية المستديمة والاندماج، وعيّنت وزيرةً من أصل جزائري على رأسها، هي تقية صيفي، من مهامها مساعدة المهاجرين على الاندماج. كما قامت الداخلية الفرنسية بعقد لقاءات مع مسؤولي منظمات وهيئات إسلامية في فرنسا؛ تمهيداً لتشكيل مجلس تمثيلي لمسلمي فرنسا يمثّل المسلمين لدى السلطات العامة.

وعموماً، فمن المنتظر أن تزداد مشكلة إدماج المهاجرين، خصوصاً المسلمين، في الاتحاد الأوربي بعد انضمام ١٠ دول إلى الاتحاد عام ٢٠٠٤م؛ ليتحول إلى رقعة جغرافية ضخمة تضم ٢٥ دولة ونحو ٦٠٠ مليون نسمة لا تفصل بينها حدود سياسية، ولعلّ ذلك كان دافعاً مهماً لرفض الاتحاد انضمام تركيا ذات السبعين مليون مسلم إلى كيانه الكبير.

وعلى الحكومات والمؤسسات السياسية والمنظمات غير الحكومية والأفراد أن يعلموا أن المسلمين لن يرحلوا من أوربا الحديثة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن قضية الاندماج لن يُكتب لها النجاح بالمجهود الفردي.

وعلى المسلمين أن يهتدوا إلى إمكانيات عملية ومبدعة، وأن يوفّقوا بين أسلوب حياتهم والمجتمعات الأوربية والمحيط الثقافي. وليست هناك وصفة سحرية قد تساعد على التغلب على عدم التسامح والعنصرية والصعوبات التي تواجه الاندماج.

وجد الجيل الثاني من المسلمين نفسه منصهرا بصورة كبرى في المجتمع الأوربي الذي عمل وتعلّم فيه، ولا يعرف له أرضا أو وطنا غيره، ولكنه وجد نفسه أيضا معزولا بسبب الرفض الاقتصادي، وظهور ما يعرف بـ(الإسلاموفوبيا)

فرص التعايش والحوار

يرى مؤسسو جمعية أكتسيون كوراج (العمل الشجاع) أن التمييز بكل أنواعه هو هجوم على كرامة الإنسان، وتنشط الجمعية في ألمانيا ضد التمييز العنصري، ومن أجل الحوار مع المسلمين، ويتجلى نشاطها قبل كل شيء في المدارس.

وقد تشكّلت مجموعة مبادرة من شخصيات مختلفة برئاسة فيدريكو مايور المدير العام السابق لمنظمة اليونسكو، ومحمد أيدن وزير الشؤون الدينية التركي، ومن بين الشخصيات المشاركة: محمد خاتمي رئيس حكومة إيران السابق، وأحد المستشارين اليهود لملك المغرب، والأسقف ديزموند توتو من جنوب إفريقية.

وقد قامت المجموعة مؤخراً بتسليم تقريرها الأول إلى السيد كوفي أنان في إسطنبول، مبرزةً فيه أن مشكلات هذا العالم ليست ناتجة من (صراع الحضارات)، ولا تمتّ جذورها إلى الأديان بصلة، وإنما ترجع هذه المشكلات إلى أسباب سياسية واقتصادية قبل كل شيء، وأن على العالم أن يسعى متحداً إلى إزالة هذه الأسباب، وفي مقدمتها حلّ صراع الشرق الأوسط.

وبحسب ما يراه أحد الباحثين المسلمين في أوربا، فإن من أهم الأسس التي يجب أن يقوم عليها الحوار بين المسلمين وشرائح المجتمع المختلفة: عدم الاجتماع على اضطهاد الأقلية المسلمة، وألا يتزوج غير المسلم من مسلمة؛ لأن في ذلك مخالفة شرعية تمسّ أسس العقيدة الإسلامية في الصميم، وألا يُفتن مسلم عن دينه، خصوصاً اللاجئين



مظاهرات ضد الإساءات الموجهة للرسول صلى الله عليه وسلم

الذين يلجؤون إلى الكنائس طلباً للحماية. وخوفاً من التسفير التعسفي. وألا يُطرد المسلم من عمله بسبب اللون أو الجنس أو الالتزام الديني. وترك ما فيه انتقاص من الإسلام، وهو ألا يذكر الله تعالى أو كتابه أو دينه أو رسوله بما لا ينبغي. خصوصاً في وسائل الإعلام المختلفة. واحترام حق المرأة المسلمة، خصوصاً المرأة الملتزمة الحجاب الإسلامي، في مزاولة العمل والدراسة من دون قيد أو شرط. وإعطاء المسلمين حقوق المواطنة الكاملة من خلال الاعترافات بهم كأقلية مسلمة، وتسهيل بناء المساجد والمدارس الإسلامية، وتذليل الصعاب القانونية، وتجاوز الآراء السلبية والأحكام المسبقة، وتسهيل تطبيق أحكام الأحوال الشخصية الإسلامية على المسلمين. وتسهيل القيام بشعائر الإسلام بحرية كالصلاة والصيام، خصوصاً في المدارس والمعاهد والجامعات وأمكنة العمل والسجون والمستشفيات، وتوفير غرفة خاصة لممارسة الشعائر التعبدية، والسماح للمسلمين بذبح المواشي والأبقار والدواجن حسب قوانين الذبح الإسلامي في المسالخ، وبأيدي جزارين مسلمين، والسماح للمسلمين بدفن موتاهم في مقابر خاصة بهم تشرف عليها الجمعيات الإسلامية بالتنسيق والتعاون مع البلديات والكنيسة السويدية التي تشرف على جميع المقابر.

لا بد من تقيد المسلم الأوربي بالواجبات الشرعية

في المقابل، يتعهد المسلمون باحترام أسس التعايش مع المواطنين الأصليين، والتعاون معهم لحماية أمن الوطن، وفي قواعد التعامل المادي بينهم وبين أهل هذه البلاد أن يلتزموا قوانينهم فيما لا معصية فيه. وأن يقدم المسلمون الإسلام بصورته الصحيحة لغير المسلمين، والعمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة التي رسخت في أذهان الأوربيين عن الإسلام بأنه دين يؤمن بالعنف، ويشجع الإرهاب، ويضطهد المرأة.

إن حقوق المسلمين في هذه القارة هي ما تعطيه قوانينهم من حقوق. ولا يجوز للمسلم أن يتجاوز هذه القوانين باحتيال أو كذب أو خديعة او غدر. والله تعالى يقول: ﴿هلْ جزاءُ الإحْسانِ إلاّ الإحْسانُ﴾ (الرحمن: ٦٠). وعلى المسلمين احترام المعاهدات الدولية القائمة اليوم بين دول العالم من خلال منظمة الأمم المتحدة. قال تعالى: ﴿لا يَنْهاكُمُ الله عنِ الّذين لمْ يُقاتلُوكُمْ في الدّين ولمْ يُخرجُوكُم منْ دياركُمْ أن تبرّوهُمْ وتُقسطُوا إليْهمْ إنّ الله يُحبُّ المُقسطين﴾ (الممتحنة: ٨).

أساس العلاقة الأول إذاً - هو البر: أي: أعلى درجات حسن الخلق. وقد شرعه الله تعالى ليكون أساس العلاقة مع غير المسلمين غير المحاربين: لأنه خير تعبير صادق عن رسالة الإسلام التي وصفها محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «بُعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق». والبر يعني أن المسلم لا يكذب، ولا يخون العهد والأمان، ولا يغدر، ولا يغش، ولا يسرق، ويلتزم مع الناس الأخلاق الفاضلة، ويتخلى عن كل المحرمات. هذا هو أساس التعامل بين المسلم والناس جميعاً في كل الظروف، باستثناء حالة الحرب التي لها أحكام خاصة. ولا يجوز للمسلم الذي يطلب حق المواطنة في أوربا أن يظلم الناس مهما كانت الأسباب، حتى لو وقع خلاف بين أحد المسلمين وآخر من غير المسلمين.

إن مقتضى الذي بين المسلمين وغير المسلمين موجب ثلاثة أمور: الموادعة في الظاهر؛ أي: وقف الحرب والصراع والعداوة الظاهرة، وترك الخيانة في الباطن من المسلمين ومن المجتمعات الأوربية، والمجاملة في الأقوال والأفعال؛ لأن الأساس في المعاملة بين المسلمين وغيرهم اللطف والكلمة الطيبة.

إن تقسيم الأرض دار إسلام أو دار حرب لم يرد فيه نصّ في كتاب الله تعالى، أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإنما هو اجتهاد الفقهاء في وصف واقع المسلمين، وتحديد الأحكام الشرعية لهذا الواقع. إن هذا التقسيم فقهي استنتجه الفقهاء من الأحكام الشرعية على ضوء واقع قائم، هو الحرب التي كان يخوضها المسلمون ضد أعدائهم. فهل يمكن اليوم لمسلمي أوربا التزام هذا التقسيم وما رتّب عليه الفقهاء من التابعين وتابعي التابعين من أحكام؟ أوربا ليست دار الحرب أيضاً. وهي بالنسبة إلى المسلمين في أوربا موطن اختياري. وأغلبية المسلمين قدموا إلى أوربا للعمل أو الدراسة. وليس من الشرع، ولا من الأخلاق، ولا من المنطق، أن نقبل منحنا حق الإقامة والمواطنة، ونرفض عدّها وطناً للمسلمين؛ لأن هذا يعني الغدر الذي لا يجوز للمسلم أن يقع فيه بحال من الأحوال. فيجب أن نلتزم القوانين التي اختارتها هذه الدولة لتسيير عجلة الحياة فيها، ونلتزم ما يلتزمه غيرنا من خلال ما نسمّيه العقد الاجتماعي أو عقد الأمان واحترام العهود والمواثيق. والميثاق هو تجسيد لإرادة الدين. بينما معرف المواطن أنه إنسان عليه واجب تجاه الدولة؛ لأن ذلك عمل يمليه عليه دينه. ومن خلال الميثاق يتجه قلب الإنسان إلى خالقه، ويحصل له الأمن الداخلي، ومن خلال العقد يعطي الدولة عهده، ويتلقّى مقابل ذلك الأمن الاجتماعي. شأنه في ذلك شأن أي مواطن أوربي؛ فالمواطن له حقوق الإنسان الحر وامتيازاته، وهو عضو في الدولة، سواء أكان مواطناً بالميلاد أم بالتجنّس؛ فهو مدين للدولة بالإخلاص، وله عليها حق توفير الحماية له.

معظم دول أوربا تفتح الطريق أمام الحوار الصادق، والتعايش السلمي، والتعددية الثقافية والدينية بين جميع المواطنين من مختلف الجنسيات والأعراق والديانات. والله - عزّ وجلّ - يقول: ﴿ادْعُ إلى سبيل ربّك بالحكْمة والموْعظة الحسنة وجادلْهُم بالّتي هي أحْسنُ إنّ ربّك هُو أعلمُ بمن ضلّ عن سبيله وهُو أعلمُ بالمُهتدين﴾ (النحل: ١٢٥).

يفترض هذا المبدأ القرآني أن الحوار بين الأديان والثقافات المختلفة يجب أن يكون مؤطراً أو عادلاً. وعلمياً أن يكون هادفاً وشاملاً لكل نواحي الحياة وذا معنى. ومن أجل تحقيق هذا المستوى في التخاطب مع غير المسلمين في المجتمع الأوربي يتحتم علينا كمسلمين أن نفهم الفلسفة والثقافة والسياسة المعاصرة لهذا المجتمع الذي نعيش فيه وارتضيناه وطناً؛ ففلسفة هذا الحوار ترتكز على منطق العقل وفكرة البقاء للأصلح. إن الجهل بحقيقة مختلف أبعاد المجتمع الأوربي يجعلنا غير قادرين على التمييز بين الصالح والطالح، والمفيد والضار من المدينة الغربية. أوربا ترى الإسلام من خلال أفعال المسلمين وأقوالهم؛ لذلك نجد أنها تطالب بدمج المسلمين في المجتمع السويدي، وإعطائهم حق المواطنة، ولكنها في الوقت نفسه غير مستعدة أصلاً لقبول الإسلام في حياتها السياسية والاجتماعية والثقافية. والمسلمون من جانبهم لا يقومون بما هو كافٍ لزيادة مستوى معرفتهم بالبيئة السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية، حتى اللغوية.

مركز الملك فيصل يهدي مكتبة الفيصل في شنغهاي ٢٩٠٠ عنوان

أهدى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مجموعةً من الكتب والدوريات الثقافية إلى مكتبة الفيصل بكلية الدراسات الشرقية في جامعة الدراسات اللغوية بمدينة شنغهاي الصينية. وتتناول المجموعة موضوعات في الدراسات اللغوية، والتاريخ، والجغرافيا، والمعجمات، والموسوعات العامة، وبعض الدراسات الإسلامية المهمة. وهي تضم ٢٩٠٠ عنوان. والمكتبة متاحة الآن للاستخدام. كما أن المركز يقوم حالياً بالإعداد لإنشاء مكتبة أخرى مثيلة في تايوان.

وجاء إنشاء هذه المكتبة البحثية بتوجيه من صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل - رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - في إطار التعاون الثقافي المشترك بين المملكة العربية السعودية والصين، وفي إطار سعي المركز إلى توطيد العلاقات الثقافية مع الجامعات والمؤسسات والمراكز الثقافية في العالم؛ قياماً بدورها في التعريف بالحضارة الإسلامية، وخصائصها، ودورها في إغناء الحضارة الإنسانية. وتوفّر هذه المكتبة مصادر بحثية في الدراسات الإسلامية للطلاب والباحثين الصينيين. ويسعى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية إلى إغناء المكتبة بمزيد من الإصدارات القيمة للمؤسسات الثقافية السعودية، وعلى رأسها وزارة الثقافة والإعلام، ومكتبة الملك فهد الوطنية، والنوادي الأدبية، وغيرها.

مؤسسة الفكر العربي تحتفل بمرور ١٠ سنوات على انطلاقتها



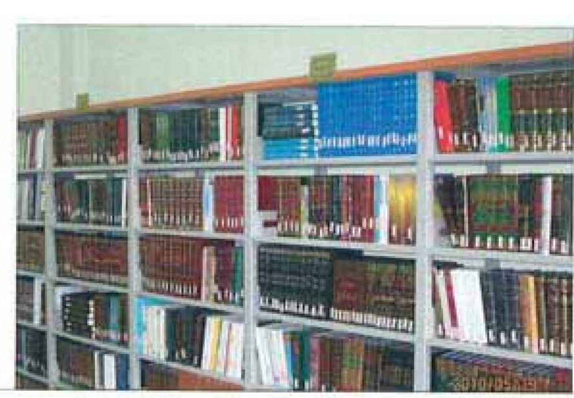
الأمير خالد الفيصل: مجال الفكر هو المشترك الأكبر للتقارب العربي

احتفلت مؤسسة الفكر العربي في يوم ٦ جمادى الآخرة سنة ١٤٣١هـ/ ٢١ مايو الماضي بمرور عشر سنوات على انطلاقها من بيروت بتنظيم ورشة عمل مغلقة في فندق فينيسيا ببيروت ضمّت خمسين عضواً من أعضائها، يتقدمهم مجلس أمنائها برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، وهيئتها الاستشارية، وأمانتها العامة.

وقال الأمير خالد الفيصل في كلمته بهذه المناسبة: «عندما كانت هذه المنارة (بيروت) تحتفل في أزهى حللها عاصمةً للثقافة العربية

وقد تجاوبت تلك المؤسسات مع مبادرة المركز؛ مما يتوقع أن تكون مكتبة الملك فيصل في شنغهاي وعاءً ثقافياً شاملاً للدراسات الإسلامية، ومركزاً للإشعاع الحضاري يعمّق العلاقات العربية الصينية.

تجدر الإشارة إلى أن جامعة شنغهاي للدراسات اللغوية تضم قسماً للغة العربية، يدرس فيه أكثر من ثلاثمئة طالب وطالبة. كما تضم الجامعة مركزاً لدراسات الشرق الأوسط، يرأسه البروفيسور والمستعرب الصيني الشهير تشي وي لي (عبدالجبار).





تشرّفتُ بدعوة كريمة إلى إلقاء كلمة بالمناسبة، دعوت فيها إلى قيام مؤسسة الفكر العربي بعدما راوح المشروع في خاطري أمداً ليس بالقصير». وأضاف: «لقد كنت كأيّ مواطن عربي أرى المسافة تزداد اتساعاً بين عالمنا العربي والعالم الذي ركب قطار العصر، وقطع أشواطاً في مجالات تطوير العلوم التقنية. في حين أن المشهد العربي بكل مقومات توحّده لا يزال جزءاً شبه معزولة. ومعدلات التنمية في معظمها تحتلّ ذيل القائمة. والعائق الأهم في رأيي هو غياب الدور التأثيري للمفكّر في مجتمعه. وشيوع تصنيفه بين موالٍ للسلطة، أو معادٍ لها، أو منطوٍ صامت تجاه الموقف برمّته. وأرى أنه إذا كانت محاولات التقارب العربي لا تزال تواجه العراقيل والمفارقات في عدة مجالات فإن مجال الفكر هو المشترك الأكبر لهذا التقارب». وأكد سموه أنه «منذ المؤتمر السنوي الأول في القاهرة أخذت المؤسسة زمام المبادرة بطرق كل ما يهمّ الشأن العربي، وحرصت على ألاّ تخرج فعالياتها بتوصيات قد تشوبها حساسية الإلزام، بل بمجموعة أفكار مدروسة وجاهزة للتطبيق. وأعتقد أن تنقّل مؤتمر (فكر) وفعاليات المؤسسة الأخرى بين البلاد العربية قد أثمر عن حزمة فوائد».

وأشار الأمير خالد الفيصل إلى القمة الثقافية العربية التي انطلقت من إحدى فعاليات هذه المؤسسة. إضافةً إلى الشراكات التي عقدتها المؤسسة مع عدة مؤسسات أخرى في اختصاصها، وحرصها على حوار الحضارات، وحفز الإبداع، برصد جائزة لكل من الروّاد والموهوبين العرب من خلال (جائزة الإبداع العربي) في سبعة فروع، للفائز في كلٍ منها خمسون ألف دولار، ومنحت الشباب أولوية الفوز بالجائزة.

يُذكر أن المؤتمر التأسيسي لمؤسسة الفكر انعقد في القاهرة مطلع يونيو عام ٢٠٠١م، واحتضنت بيروت في أكتوبر من العام نفسه الاجتماع الثاني الذي ضمّ مع المؤسسين نخبةً من المفكرين العرب، وتم خلال الاجتماع الاتفاق على النظام الأساسي والأهداف العامة للمؤسسة.

مركز الملك فيصل
ينظم محاضرات عن الإرهاب وسيف الدولة والسياسة

احتضنت قاعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مؤخراً عدداً من المحاضرات التي جمعت بين قضايا الماضي والحاضر والمستقبل، فنظم محاضرة (علم الإنسان السياسي ودوره في حفظ السلام)، قدّمها البروفيسور أنطونيو لويجي باليسانو يوم ١٢ جمادى الأولى سنة ١٤٣١هـ الموافق ٢٦ إبريل/ نيسان الماضي، متناولاً الروابط التي تجمع بين بني البشر في مستويات مختلفة، ونوّه بأن رابطة الدم من أهم تلك الروابط، إلا أن الإنسان يرتبط مع آخرين من خلال المصالح والمشاعر، وأشار إلى أن الديمقراطية توفّر المناخ الأنسب للالتقاء مهما كانت الاختلافات وتعدّد الثقافات.

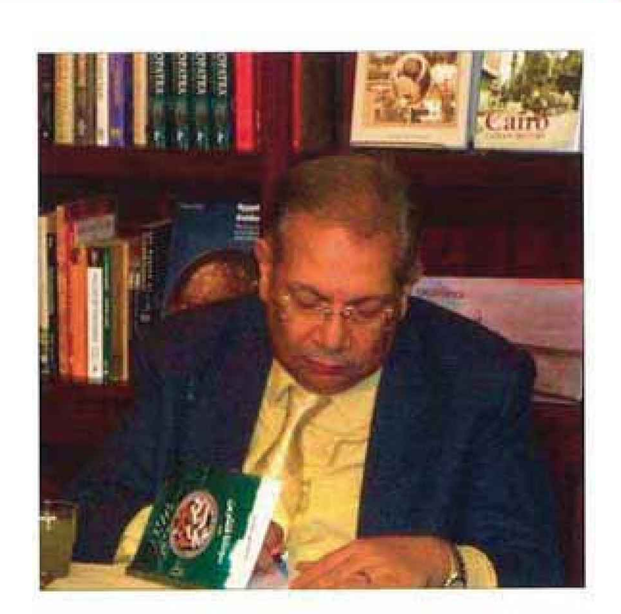
وقدّم الأستاذ محمد حسن قجة - الخبير في الحضارات والتراث العربي والإسلامي - محاضرةً بعنوان: (الحركة العلمية أيام سيف الدولة: العمارة، والطب، والفلك)، وذلك يوم ٣ جمادى الآخرة الموافق ١٧ مايو/ أيار الماضي، وأوضح الباحث الأهمية التاريخية لمدينة حلب منذ الفتح الإسلامي، ثم عرّف بسيف الدولة مؤكداً عروبته، وتناول حقبة حكمه التي امتدت ربع قرن كانت خلالها حلب مدينة مرهوبة الجانب، وقدّم لمحات مما شهدته المدينة من تطور في الجانب المعماري، وفي مجال الطب والعلوم. واستند الباحث في كثير مما أورده إلى شعر أبي الطيب المتنبي.

وقدّم البروفيسور الألماني جورج ميجل - أستاذ الفلسفة التحليلية - محاضرةً بعنوان: (الإرهاب: المصطلح والدلالات)، وذلك مساء ١٠ جمادى الآخرة الموافق ٢٤ مايو/ أيار الماضي، حرص فيها على تعريف الإرهاب في إطار نظري، وركّز في العمل الإرهابي، ووصفه بأنه العمل الذي يهدف في المقام الأول إلى استخدام العنف والترويع

رحيل الكاتب الدرامي الشهير أسامة أنور عكاشة

توفي الكاتب المصري الكبير أسامة أنور عكاشة صباح يوم ١٤ جمادى الآخرة/ ٢٨ مايو الماضي متأثراً بأزمة صحية ألمت به طوال الشهرين الماضيين، دخل على إثرها مستشفى وادي النيل للحالات الحرجة بالقاهرة، وكان الفقيد قد أجريت له عام ٢٠٠٧م جراحة لاستئصال الكلى اليمنى بمركز الكلى الدولي بالمنصورة.

وقال عكاشة عن تجربة المرض قبل وفاته بمدة وجيزة: «كانت أفكاري في غرفة العناية المركزة كلها تتمحور حول تفاهة ابن آدم الذي يملأ الدنيا صخباً وضجيجاً، ويخوض معارك وصراعات، ثم يقع مسطوحاً على فراش لا حول له ولا قوة، حتى نفسه لا يمكنه التحكم فيها؛ فهو يرتبط بجهاز إذا توقف انتهى الإنسان. شعرتُ وقتها أن الأقوى في الإنسان هو أفكاره.



لتحقيق أهداف معينة، ودعا إلى ضرورة تخلص المجتمع الغربي من التصور النمطي للإرهاب، وفهمه على نحو محايد؛ مما يساعد على معالجته، والتعامل معه بشكل واقعي.



أنطونيو لويجي باليسانو



محمد حسن قجة

وليست فؤاد الجسدية.

وكان الرئيس المصري محمد حسني مبارك قد أمر بعلاج عكاشة على نفقة الدولة بعد الأزمة الصحية التي ألمّت به، وتوفير كل أوجه الرعاية الطبية اللازمة له.

وُلد الفقيد في ٢٧ يوليو عام ١٩٤١م في مدينة طنطا بمحافظة الغربية، وتخرّج في قسم الدراسات النفسية والاجتماعية بكلية الآداب في جامعة عين شمس في عام ١٩٦٢م، ثم عمل مدرساً بالتربية والتعليم عام ١٩٦٣م، ثم أصبح عضواً فنياً في العلاقات العامة بديوان محافظة كفر الشيخ حتى عام ١٩٦٦م، كما عمل اختصاصياً اجتماعياً في جامعة الأزهر في المدة (١٩٦٦-١٩٨٢م).

ويعدّ عكاشة واحداً من أبرز المؤلفين وكتاب السيناريو في الدراما المصرية والعربية، وتعدّ أعماله التلفازية الأهم والأكثر متابعةً في مصر والعالم العربي، وله أكثر من عشرين مسلسلاً للتلفاز؛ منها: الراية البيضا، ولما التعلب فات، وعصفور النار، ورحلة أبو العلا البشري، وما زال النيل يجري، وضمير أبلة حكمت، والشهد والدموع، وليالي الحلمية، وأرابيسك، وزيزينيا، وامرأة من زمن الحب، وأميرة في عابدين، وكناريا وشركاه، وعفاريت السيالة، وأحلام في البوابة، والمصراوية، وقال البحر. وله خمسة سيناريوهات سينمائية، فضلاً عن عدد من المؤلفات؛ منها: خارج الدنيا (مجموعة قصصية) عام ١٩٦٧م، وأحلام في برج بابل (رواية) عام ١٩٨٤م، ومقاطع من أغنية قديمة (مجموعة قصصية) عام ١٩٨٨م، كما شارك في مؤتمر الإبداع العربي الأول بالمغرب في عام ١٩٨٨م، ونال شهادة تقدير عن مسلسل (ليالي الحلمية) في عيد الإعلاميين السابع في عام ١٩٩٠م، ومن مسرحياته: ولاد الذين، والليلة ١٤، وفي عزّ الضهر، والناس اللي في التالت.

وقد خاض أسامة أنور عكاشة معارك فكرية، واختلفت حوله الآراء، إلا أن الاتفاق كان على أنه فارس لا يشقّ له غبار في مجال الكتابة الدرامية، سواء للتلفاز أم للمسرح أم للسينما.



فنون

تنحدر الفنون التشكيلية من أسرة الفنون الجميلة، التي تضم – إضافةً إليها – كلاً من: العمارة، والشعر، والموسيقا، وبعض أنواع الرياضة. وينبثق من صلب الفنون التشكيلية: الرسم والتصوير بالألوان الزيتية أو المائية أو الترابية (الغواش)، والنحت، والحفر المطبوع، وفنون الكتاب والملصقات، وفنون الإعلان بشكل عام.

الخيال والإبداع

في الفنون التشكيلية

محمود أحمد شاهين

دمشق - سورية

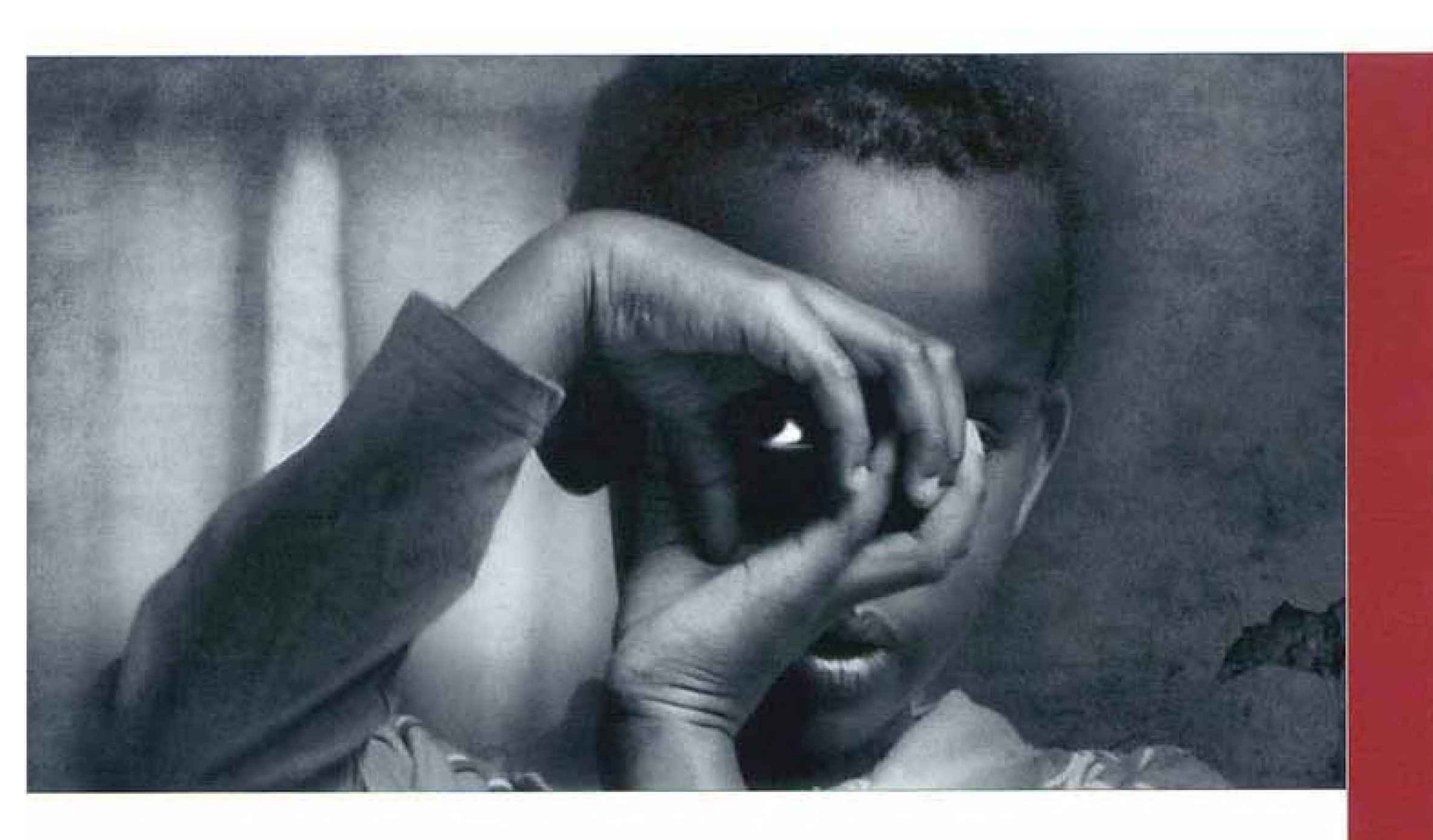
ولكلّ ضرب من هذه الفنون موادّ وخامات وتقانات ووسائل تعبير خاصة به، بدأت طبيعية بسيطة من اكتشاف مزاولها وتحضيره، ثم تطورت مع تطور الإنسان والآلة والتكنولوجيا وما أفرزته من مواد ومكتشفات علمية كثيرة ومتنوعة سرعان ما قام مزاول الفن التشكيلي باستغلالها وتوظيفها في منتجه البصري المسطح: كالرسوم، واللوحات، والمحفورات المطبوعة، والملصقات، والإعلانات الثابتة والمتحركة، أو المجسمة: كالمنحوتات الحجرية، والنصب التذكارية، والتكوينات الفراغية التزيينية؛ مما أسهم في تطورها وانتشارها واقتحامها ميادين جديدة في حياة الإنسان المعاصر. إلا أن نسبة استفادة الفنون التشكيلية المعاصرة من إفرازات التكنولوجيا الحديثة تباينت إلى حدّ بعيد من فن إلى آخر تبعاً لخصوصية هذا الفن وقابليته للتجاوب مع إفرازات التقانة الحديثة، وقدرته على تمثّلها والاستفادة منها من دون أن يتخلى عن ماهيته، أو يفقد قيمه ومهامه المضمونية والشكلية الأساسية.

وبمعنى آخر: تلقّفت بعض أجناس الفن التشكيلي المعاصرة عدداً من المواد والآلات والاختراعات العلمية والتقانية الجديدة، وقامت بالاستفادة منها وتوظيفها لتطوير بنيتها الشكلية والتعبيرية، بينما كان تفاعل بعضها الآخر وتجاوبه مع إفرازات التكنولوجيا محدودين وضعيفين؛ نتيجة عدة أسباب، أهمها وأبرزها: عدم قابليتها للتجاوب مع مواد جديدة، وكونها في الأساس محكومة بمجموعة من النظم والقوانين المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموهبة مزاولها، وقدراته وخبراته الذاتية، ثم طبيعة الفن الذي يزاوله.

بغض النظر عن طبيعة الفنون التشكيلية المسطحة (كالرسم، والتصوير، والحفر المطبوع، وفنون الإعلان) أو المجسمة (كالنحت النافر والغائر والكامل التجسيم) وأدواتها وموادها وخاماتها؛ فإن قرينة وجودها هي الخيال والإبداع والابتكار والتجديد، وهذه القرينة تحديداً هي التي تميزها من الفنون التطبيقية، والحرف، والمشغولات اليدوية التقليدية.

والحقيقة المؤكّدة أن الخيال كان - ولا يزال - قرينة الإبداع، وأبرز روافده وأهمها، ومن ثمّ فإن الإبداع أبرز مظاهر الفن وخصائصه وأهمها؛ إذ كثيراً ما نربط الفن بالخيال أو الحلم، فنقرّر أن كل مهمة الفن تنحصر في خلق عالم خيالي تكون وظيفته الأولى أن يجيء مخالفاً بوجه ما من الوجوه لهذا العالم الذي نحيا فيه، ولكننا نغفل عندئذ حقيقة مهمة، هي أن الخيال وحده لا يكون جوهر العالم الذي نحيا فيه[1].

في سياق هذا المعنى، وفي الأغلب، نغفل حقيقة مهمة ورئيسة تقول: إن الخيال وحده لا يكون الفن، وليس بمقدور العاطفة وحدها تفسير العمل الفني التشكيلي؛ لأن الفن لا يقتصر - من جانب آخر



- على الوجدان والعاطفة، أو الحلم والخيال، وإنما هو أيضاً خلق وصناعة، وإنتاج ومهارة. بمعنى آخر: من غير الممكن خلق الفن بمعزل عن وجود إمكانية وقدرة على تنظيم الأحلام وتجسّدها في منجز بصري تشكيلي؛ إذ لا بد للفن من أن يقترن بنشاط تركيبي إبداعي. وهذا النشاط تحديداً هو الأساس الذي ينهض عليه العمل الفني الذي اختلفت النظرة إلى ماهيته ووظيفته؛ فهناك من رآه تجسيداً للإحساس والعاطفة، أو فسّره اعتماداً على كونه مجرد لهو ولعب، أو عدّه نوعاً من عملية خلق للصور، أو تعبيراً عن الخيال، أو أنه حاضن لإلهام الفنان وانفعالاته ومزاجه وإحساسه بالقيم، وهناك من نظر إليه على أنه مجرد تعبير عن الماهيات. وعلى الرغم من تعدّد الآراء واختلافها حول ماهية الفن وغايته نستطيع تأكيد أن الفن ليس أحلاماً وخيالاً، وإنما هو امتلاك لناصية الأحلام، وتحقيق للخيال بهذا الشكل أو ذاك، وبهذه التقنية أو تلك. والإبداع الفني - كما يراه بعض علماء الجمال - «عملية بطيئة، لا مجرد إلهام مفاجئ؛ فالقانون الأسمى في عملية الابتكار البشري هو أننا لا نخترع شيئاً إلا بالعمل»[٢]. ويجزم هؤلاء بأن الفن يبقى صناعةً وعملاً أكثر مما هو حلم أو تخيّل؛ بدليل أن كثيراً من الفنانين لم يكونوا يتمتعون بخيال أكبر مما يتمتع به بعض العامة من الناس.

في المقابل، يؤكد آخرون أن الفنان «بغير البصيرة الغنية بالخيال إنما يرسم سطوحاً، قد تكون صورة بارعة سليمة من كل خطأ، مشحونة بأعنف العاطفة، وقد تحظى بأرفع المدح، ولكنها تبقى رسماً سطحياً. وكذلك شأن الرجل الذي ينظر إلى الرسم بدون الخيال لن يرى إلا سطوحاً، حتى لو نظر إلى الروائع»[٣]؛ لأن أقوى المخيلات تعجز أحياناً عن اختراق كنه الرائعة الفنية؛ لأنها امتزجت بالخيال والحلم والواقع معاً. والخيال الذي يعدّ أهم المقدرات، وأشدّها إنسانية، هو أيضاً مقدرة الفنان الخاصة، وذلك هو السبب الرئيس في عمق طرائق نظرة الفنانين إلى الأشياء وتنوّعها؛ هذه النظرة التي تشكلها عيون الجسد وعيون الخيال بنوع من التماهي الساحر الذي يصعب معه الفصل بينهما.

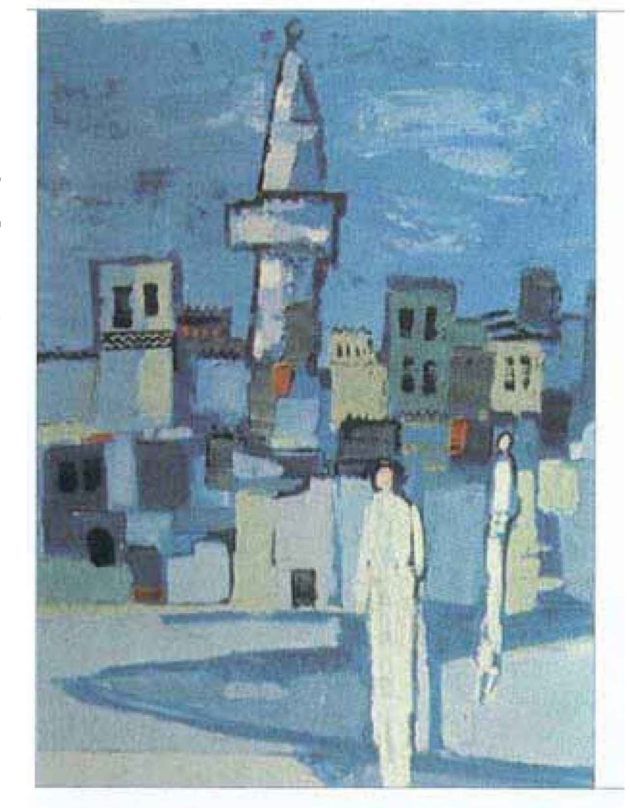
وحقيقةً، إن قوة التخيل الكبيرة هي التي تميّز العبقرية من

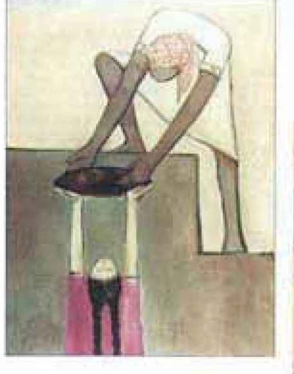
الموهبة. أما الوهم والتزيين فعنصران ضعيفان قد يطفوان على حفلي الأشياء. لكنهما لا يذهبان أبعد من القشرة. والخيال وحده يفعل ذلك: إذ يغوص بعمق إلى داخل الأشياء بحثاً وتنقيباً عن الجوهر. متنقلاً بين الذات والموضوع، ومسهماً - إلى حدّ كبير- في خلق ماهية الذهن وتركيبته. ومن خصائص الخيال: قيامه بالتجريد، وإسهامه في الموضوعات وهي مجسّدة. وبناءً عليه، فإن الأعمال الفنية العظيمة والمدهشة المتّسمة بخصب الخيال قد تكون حرة ومجردة وموضوعية معاً.

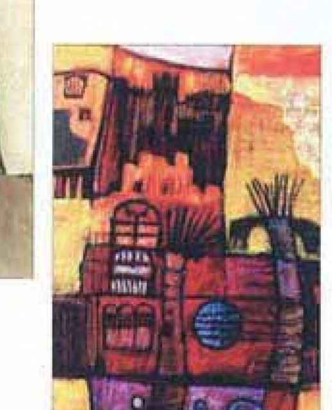
لكن هل يمكن للروح العلمية والتقانية هدم الخيال في الفنان أو إضعافه؟ أو بتعبير آخر: هل تتعارض معه؟ في الإجابة عن هذا السؤال تختلف الآراء ووجهات النظر. فيذهب بعض علماء الجمال والفلاسفة إلى تأكيد أن «نمو الروح العلمية سيوقف نمو الخيال، وأن عهد العلم الذي سيخلف عهد الأساطير والأديان سيكون عهد البرودة. غير أنهم يستدركون مؤكدين أن الفن نفسه ضرب من العلم العفوي. وليس الفن العظيم أحلاماً فارغة عقيمة إلى الأبد؛ فالأفكار العظيمة، التي تدور في خلد الفنانين، نوافذ تطلّ على الحاضر أو المستقبل، وما كان لها أن تحدث فينا أيّ تأثير لو أنها مجرد أحلام خيالية غريبة عن الواقع كل الغرابة»[1].

على هذا الأساس، لابد من تماهي الواقع بالخيال، وتآلف التقنية مع أدوات التعبير. في المنجز التشكيلي: ليصبح قادراً على التأثير في المتلقي.

بعض علماء الفن والجمال الآخرون يرون أن «الفاعلية الفنية فاعلية بديلة. وهي الأصل لجميع التخيلات التي يفرضها الواقع والثقافة: ذلك لأن الإنسان لا يحسن التخلي عن شيء، لا عن لعب الطفولة، ولا عن رغباته التي لم تكن مع ذلك أبداً موضوع إشباع إن لم يكن بصورة استيهامية: فالحلم والحلم المستثار واللعب والفن بدائل أصيلة. والخيال فاعلية بديلة ثانوية تعويضية عن الواقع عندما يصبح الواقع سيئاً. ولا بد لمفهوم الوسيط من أن يُفهم بالمعنى الزمني، وبمعنى التوسط بين مبدأي العمل الوظائفي النفسي اللذين يجدان نفسيهما موحّدين ومتصالحين على نحو ثانوي بفضل الخيال. على الرغم من أنهما منفصلان في البدء»[2]. لكنهم يؤكدون مستدركين أن للفن أسلوبه الخاص في التوفيق بين الواقع والخيال، والفنان في الأصل رجل يشيح بوجهه عن الواقع:



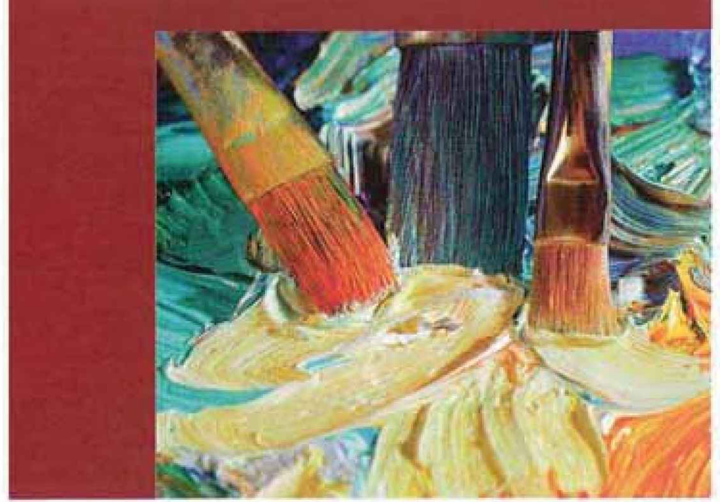




من الخطأ أن نفكر أو نعتقد أن الفنان عاطفي من أعماق روحه، وأن تهيّجه لا يحتاج إلى تغذية بالملاحظة الدائمة للواقع الحقيقي



> أكثر الصور الفنية خيالية هي تلك الصور التي تراءت فيها قوى الطبيعة الغامضة، ثم قوى اجتماعية غريبة تعادي الإنسان



الفن تجسيد لحكمة حياتية أم جموح خيال؟

لأنه ليس بوسعه أن يقبل التخلي عن الإشباع الدافعي الذي يقتضيه هذا الواقع أول الأمر.

في الجانب الآخر، يشير بعض العلماء إلى أن الفن ليس خيالاً «بمعنى أنه ليس نزوات هوجاء للمبدع، وإنما تجسيد لحكمة حياتية ضخمة، ولخبرة الشعب العظيمة، والأجيال الإنسانية التقدمية، وفي هذا سرّ سلطة الفن الحقيقي على الناس. إنه يرفع الإنسان ويقوّي روحه، ويوقظ أفكاره، وهو وسيلة جبارة لخلق كل ما هو إنساني حقاً في الإنسان»[١]. ويؤكدون في الوقت نفسه أن عاطفية الفنان مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقدرته الخارقة على الملاحظة، وأنه من الخطأ أن نفكر أو نعتقد أن الفنان عاطفي من أعماق روحه، وأن تهيّجه لا يحتاج إلى تغذية بالملاحظة الدائمة للواقع الحقيقي وليس المتخيل، بل على العكس، إن عاطفية الفنان وقدرته على الخيال والحدس لا تلتهبان في شعلة مضيئة ما لم تؤجّجهما شعلة الحياة!!.

بمعنى آخر: إن مقدرة الفنان على الملاحظة والمعاناة والتأثر تعني بالضرورة مقدرته على التأجيج بالمرئي، والتهيّج لرؤيته.

واجتذاب الخيال إلى عمله الإبداعي: لينفذ بصورة أعمق إلى جوهر الأشياء.

بناءً على ذلك، يرى بعض العلماء أن «خيال الفنان الإبداعي هو خيال إنسان عظيم العقل والقلب»[٦]. الخيال يسعف الفنان في عملية احتضانه موضوع منجزه الفني، ويوفّر له مساحة واسعة من الحرية للقيام بذلك، شريطة ألا يبقى في القشرة، وإنما عليه النفاذ بقوة وجرأة إلى أعمق الأعماق: بحثاً وتنقيباً عن الأشكال للتعبير عن مضمون هذا العمل ومعناه وفكرته، التي يجب أن تتوافق وتنسجم مع طبيعة هذا المضمون؛ أي لا بد من قيام حالة توافق قصوى بين الشكل والمضمون، وهي المعادلة الأساسية التي يجب أن تتحقق في كل عمل إبداعي ناجح على اختلاف أدوات تعبيره.

في المقابل، مهما بدت لنا الصورة الفنية المتخيَّلة بعيدة ومنعتقة عن الواقع لا بد أن تحتضن - بهذا الشكل أو ذاك - شيئاً منه؛ لأن أكثر الصور الفنية خيالية هي تلك الصور التي تراءت فيها قوى الطبيعة الغامضة، ثم قوى اجتماعية غريبة تعادي الإنسان، وهي صور انبثقت من خيال الفنان بتأثير جوانب العالم الموضوعي وصفاته التي أدركها بهذا النحو أو ذاك - بشكل مباشر أو غير مباشر - في أثناء تملّكه الواقع تملّكاً علمياً وموضوعياً، وهذا ما يدفعنا إلى التأكيد والجزم بأن نسيج الصور الفنية الواقعية وانبثاقها من وعي الفنان لا يتحققان إلا بواسطة الخيال القائم على الواقع!!.

من كلّ ما سبق ننتهي إلى حقيقة فحواها أن الإلهام الحقيقي لا ينتاب الفنان إلا عندما تستولي عليه الحياة بكل غنى مظاهرها وألوانها وأطيافها المتاحة دوماً عن الجديد الممتع والساحر، وبكل عمق محتواها الذي لا يغازل البصر فقط، وإنما يتغلغل عميقاً وبعيداً في البصيرة.

اقتران الخيال والواقع

يذهب بعض العلماء إلى أنه من السخف إنكار دور الخيال في أشد أنواع العلوم صرامة، وأن الخيال صفة ذات قيمة عظمى وضرورية في كل إبداع، وأن الخيال والاختلاف والتخيّل، بحكم كونها عنصراً مهماً في المعرفة الإنسانية عامة، فإنها تؤدي دوراً مهماً في عملية التعميم الفني الصادق للواقع: فالخيال الإبداعي للفنان الواقعي يعتمد على المعرفة الصادقة للواقع خلال عملية ملاحظته ودراسته، والعالم الواقعي هو أساسه، وعاطفية الفنان وملاحظته وغريزته وخياله أسس مهمة في عبقريته الإبداعية، ولكنها جميعاً موجهة نحو تملّك الواقع تملكاً أكمل وأعمق، وذلك أساس الأصالة الحقيقية للفنان الحق.

هيغل، فكرة الجمال، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، عام ١٩٧٨م.



المراجع

(١) مشكلة الفن- د. زكريا إبراهيم- مكتبة مصر.

(٢) تقسيم الفنون الجميلة- ألان.

(٣) آفاق الفن- ألكسندر إليوت، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، دار الكاتب العربي، عام ١٩٦٤م.

(٤) مسائل فلسفة الفن المعاصر، جان ماري جويو، ترجمة: الدكتور سامي الدروبي، دار اليقظة العربية، عام ١٩٤٨م.

(٥) مقولة الفن: تعبير علم الجمال الفرويدي- سارة كوفمان، ترجمة: وجيه أسعد- منشورات وزارة الثقافة السورية، عام ١٩٨٩م.

(٦) علم الجمال الماركسي اللينيني- الجزء الثاني، ترجمة: فؤاد مرعي.

(٧) هيغل، فكرة الجمال، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، عام ١٩٧٨م.

قال بخرافة العلمانية

د. يوسف زيدان: الروائي مبدع لا مجرم

حوار: حسين حسن حسين - هيئة التحرير

تصوير: عبدالرشيد شمس الدين



د. يوسف زيدان يحاضر في مركز الملك فيصل

الأستاذ الدكتور يوسف زيدان عاشق للفلسفة، ومحقق للتراث، تستهويه الكتابة الإبداعية، ونال من خلالها شهرة واسعة بعد أن ناوشته السهام، وحار في أمره العلمانيون والدينيون من مسلمين وأقباط. وكانت روايته (عزازيل) بأصدائها من دلائل أن العرب أمة لا تزال تقرأ، وأن الادعاء بأن الشباب لا يقدم إلا على الرواية مما تبثه وسائل الإعلام المختلفة واهٍ، ولا يستند إلى حقيقة. من هذا الحوار نحاول ملامسة فكر هذا المحقق الأديب وفلسفته. وقد جاءت ردوده على قصرها تحمل كثيرا بين السطور.

جانب من حضور محاضرته في مركز الملك فيصل



- روايتكم (عزازيل)، أهي ترجمة أمينة للفائف بالسريانية تعود إلى النصف الأول من القرن الخامس الميلادي كما تقول في مقدمتكم أم أن فيها خلطا بين الواقع والمتخيل؟

- يعتمد القالب الروائي في (عزازيل) على حيلة سردية ليست جديدة، بل هي معروفة جداً في الأدب الروائي العربي والعالمي، نراها بوضوح في أشهر رواية إسبانية (دون كيشوت) التي يبدؤها مؤلفها (سربانتس) بأنها أوراق مخطوطة وجدها في أحد المساجد. وهو ما نراه أيضاً في رواية (الزيني بركات) لجمال الغيطاني، التي يحكيها على لسان رحّالة إيطالي زار مصر في الزمن المملوكي. وفي رواية (اسم الوردة) لإمبرتو إيكو، وفي روايات كثيرة تدور أحداثها في قالب روائي يشابه ما نراه في (عزازيل) التي جاء على غلافها أنها (رواية). إذاً، لا توجد هناك لفائف ولا مخطوطات، وإنما هي تأليف أدبي خالص يتوسّل بحيلة سردية معتادة. لكن المهم هنا هو الوصول بالإيهام إلى أعلى درجة ممكنة؛ مما يجعل القارئ متورّطاً في النص، ومضطراً له، مدفوعاً بالسؤال: أهذه السيرة التي كتبها الراهب هيبا حقيقية وتاريخية أم هي أدبية خيالية؟. ولكن، لا توجد في (عزازيل) وقائع تاريخية غير صحيحة، وباستثناء الراهب هيبا وحبيبتيه أوكتافيا/ مارثا فإن جميع الشخصيات المذكورة باسمها في الرواية شخصيات حقيقية/ تاريخية، قمتُ بإعادة صياغتها روائياً بما يناسب حضورها الفعلي في التاريخ، وبما لا يتناقض مع طبيعة هذه الشخصيات. وهو مسلك صعب في التأليف الروائي؛ لأن الأسهل على الأديب أن يحلّق في الخيال بحرية، غير مرتبط ولا مرهون بوقائع التاريخ وشخصياته الفعلية.

- يتهمكم بعض النقاد بمحاولة إلصاق تهمة الإرهاب بالمسيحيين، مع تجاهل ما تعرضوا له من اضطهاد وقتل؟

- هذه اتهامات مجافية. لا أظن أن الذين قالوا بها قد قرؤوا الرواية أصلاً. وقد ردّ عليهم كثير من النقاد الآخرين الذين أكدوا أن (عزازيل) هي صيحة في مواجهة العنف الديني في كل الديانات.

- هل كانت روايتكم انتصارا للمسلمين الذين يتهمون اليوم بالإرهاب؟

- الرواية تنتصر للإنسان، أمسلماً كان أم غير مسلم، وأحداثها

تدور أساساً قبل الإسلام بقرنين من الزمان. وبعيداً من (عزازيل) فإنني أعتقد أن الإرهاب الديني يرتبط بأشخاص محددين وليس بدين محدد. الإرهاب فعل عرضي من أفعال (الدين)، وليس أصلاً من أصول (الدين)، وهو يسعى دوماً إلى غاية دنيوية لا دينية؛ فالذي يمارس الإرهاب في أيّ من الديانات إنما يفعل ذلك سعياً إلى السلطة لا إرضاءً للإله.

• ما مدى التوافق بين روايتكم ورواية دان براون (شفرة دافنشي)؛ فقد قال الأنبا بيشوي: إنهما خلطتا بين الأدب الروائي والتاريخ والعقيدة والشرح اللاهوتي؟

- هذا الأنبا ليس متخصّصاً في النقد الأدبي، ولا أظنُّه يقرأ الأدب الروائي، وهو معتاد إطلاق الأحكام العامة في كل المجالات وفي جميع المناسبات. وقد اعترف بأنه لم يقرأ قرابة تسعين صفحة من (عزازيل)، فكيف يجوز له أن يصدر أحكاماً بشأنها؟ وعلى كل حال، شفرة دافنشي رواية بوليسية شائقة مملوءة بالمغامرات، بينما (عزازيل) رواية فلسفية مملوءة بالقلق الإنساني وحيرة الذات الإنسانية تجاه الكون. الأولى رواية هوليودية كُتبت كي تصير فلماً سينمائياً، والأخرى نصّ روائي تؤدي فيه (اللغة) دور البطولة، فشتّان بين هذه وتلك.

• أنتم متّهمون بالدعوة إلى الإلحاد والوجودية وإنكار الأديان، بماذا تردّون؟

- كنت قبل قليل تقول: إنني متّهم بالانتصار للإسلام، والآن تقول اتهاماً مناقضاً، فكيف يستقيم هذا مع ذاك؟ ولماذا يجب أن نردّ على هذه المهاترات والاتهامات المجانية طوال الوقت، كأن الذي يكتب رواية يحتفي بها القراء قبل النقاد، وتنال جائزة دولية، وتحتفي بترجماتها اللغات المختلفة، عليه أن يدافع عن نفسه كأنه ارتكب جُرماً، ويدفع هذه الاتهامات المتناقضة فيما بينها.

• هل هناك ردود أفعال إيجابية بين الأقباط حول هذه الرواية؟

- الأقباط يقرؤون (عزازيل) بشغف شديد، ويبدون (سراً) إعجابهم بها، والذين يهاجمون الرواية لا يزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة، بينما الأكثرية من المسيحيين (بما فيهم الأقباط) سعداء بالرواية. وقد صدر قبل أيام كتاب عن (عزازيل) لمؤلف مسيحي قبطي، هو د. نبيل لوقا بباوي، يقول فيه: إن الحقائق العقائدية في (عزازيل) تطابق ما هو موجود في كتب البابا شنودة رأس الكنيسة المرقسية المسماة اليوم (القبطية).



(شفرة دافنشي) رواية هوليودية بوليسية شائقة مملوءة بالمغامرات، بينما (عزازيل) رواية فلسفية مملوءة بالقلق الإنساني وحيرة الذات الإنسانية تجاه الكون

كل شخصيات الرواية حقيقية/ تاريخية، قمت بإعادة صياغتها روائياً بما يناسب حضورها الفعلي في التاريخ، وهو مسلك صعب في التأليف الروائي؛ لأن الأسهل على الأديب أن يحلق في الخيال بحرية

جوائز

- حصل على جائزة الفقه الطبي وتحقيق التراث وفق أصول فن التحقيق من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، عام ١٩٩٤م.
- حصل على جائزة الإمام محمد ماضي أبو العزائم في مجال خدمة الإسلام، عام ١٩٩٥م.
- حصل على جائزة مؤسسة عبدالحميد شومان في مجال العلوم الاجتماعية، عام ١٩٩٦م.
- حصل على شهادة تقدير خاصة من الأكاديمية العالمية للتعليم، عام ١٩٩٦م.
- حصل على جائزة دولة الكويت في مجال التراث العلمي العربي والإسلامي من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، عام ٢٠٠٥م.
- حصل على الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر العربية)، عام ٢٠٠٩م.
- نال كثيراً من شهادات التقدير من مؤسسات حكومية وغير حكومية داخل مصر وخارجها.
- نُشرت دراسات كثيرة عن أعماله، منها: كتاب (عاشق المخطوطات: دراسة في أعمال يوسف زيدان التراثية)، تأليف: كرم أمين أبو كرم، وحاتم مصيلحي، دار الأمين، القاهرة، عام ٢٠٠١م. وتُرجمت بعض أعماله إلى لغات أجنبية.

• لماذا لم تتوقعوا حجم أصداء هذه الرواية؟

- لأنها لم تُكتب لعوام القرّاء، ولأن كثيرين يردّدون أن العرب لا يقرؤون، ولكن التجربة الفعلية أثبتت العكس.

• كيف أثرت فيكم هذه الأصداء؟

أنامُ ملءَ جفوني عن شواردها ... ويسهر الناس جرّاها ويختصمُ

• يبدو أنكم استهوتكم هذه الأصداء، وإلا كيف تفكرون في جعل عمرو بن العاص يقع في حب فتاة مصرية في رواية مقبلة، حسب ما ورد في خبر منشور عن إحدى ندواتكم؟

- هذا خبر غير صحيح. سوف يظهر عمرو بن العاص في أحد مشاهد روايتي القادمة (النبطي)، لكنه ظهور غير مرتبط بشيء مما نُشر منسوباً إليّ.

• إلى أي مدى يصح القول، إنكم تكتبون أعمالكم العلمية بروح أدبية وروائية تحديداً؟

- هذا رأي كثيرين من القراء والنقاد، والحمد لله أنه ليس (اتهاماً) كي أردّ عليه.

• تنكرون وجود ما يُعرف بمقارنة الأديان، ما حيثياتكم لهذا الإنكار؟

- لأن الأديان الثلاثة (اليهودية، والمسيحية، والإسلام) ديانة واحدة الجوهر، ولا يجوز أن يقارن بين تجلّياتها شخص يتبع هذا التجلّي أو ذاك، ثم ينصّب من نفسه حاكماً على بقية التجليات، وبعبارة أخرى: لأنه لا يمكن التجرد التام عند عمل هذه الكتابات المسماة مقارنة الأديان.

• أيصب هذا الإنكار في مصلحة الحوار بين أصحاب هذه الديانات أم أنه دعوة إلى القطيعة؟

- المهم هو فهم طبيعة الدين، والتفريق بين الدين والتديّن، وإدراك الخديعة في زعم هذا الشخص أو ذاك أنه الناطق باسم الإله في الأرض، كأن الله أعطاه الولاية على الخليقة كلها.

د. يوسف زيدان في سطور

- هو يوسف محمد أحمد طه زيدان، وُلد في ٣٠ يونيو/ حزيران عام ١٩٥٨م في مدينة سوهاج بصعيد مصر، وانتقل إلى الإسكندرية مع جده وهو طفل صغير، ودرس في مدارسها، ثم درس الفلسفة في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وحصل على الليسانس عام ١٩٨٠م.

- نال الماجستير في الفلسفة الإسلامية برسالته عن (الفكر الصوفي عند عبدالكريم الجيلي: دراسة وتحقيق لقصيدة النادرات العينية للجيلي مع شرح النابلسي). ثم حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية برسالته عن (الطريقة القادرية فكراً ومنهجاً وسلوكاً: دراسة وتحقيق لديوان عبد القادر الجيلاني) عام ١٩٨٩م. ونال درجة الأستاذية في الفلسفة وتاريخ العلوم عام ١٩٩٩م.

- يعمل حالياً مديراً لمركز المخطوطات في مكتبة الإسكندرية.

- تتوزّع أعماله على فروع التصوّف الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، وتاريخ العلوم العربية (وبخاصة الطب)، والأدب، وفهرسة المخطوطات العربية.

- من مؤلفاته وتحقيقاته في التصوّف: شعراء الصوفية المجهولون، والمتواليات: دراسات في التصوّف، والطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، وفوائح الجمال وفواتح الجلال، والمقدمة في التصوف، للسُّلمي، وديوان عبد القادر الجيلاني، وديوان عفيف الدين التلمساني (الجزء الأول)، والنادرات العينية مع شرح النابلسي.

- من مؤلفاته في الفلسفة الإسلامية: حي بن يقظان، والنصوص الأربعة ومبدعوها، واللاهوت العربي، وجذور العنف الديني.

- في تاريخ الطب العربي: تحقيق موسوعة (الشامل في الصناعة الطبية) لعلاء الدين بن النفيس، نُشرت في ثلاثين مجلداً ضمن إصدارات المجمع الثقافي في أبي ظبي، وله: شرح فصول أبقراط، ورسالة الأعضاء لابن النفيس، والمختار من الأغذية لابن النفيس، وعلاء الدين (ابن النفيس) القرشي: إعادة اكتشاف، ومقالة في النقرس لأبي بكر الرازي.

- قام بفهرسة ما يربو على ١٨٠٠٠ مخطوطة من المخطوطات المصرية، ومن هذه الفهارس: فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية (جزءان)، وفهرس مخطوطات مكتبة بلدية الإسكندرية (خمسة أجزاء)، وفهرس مخطوطات مكتبة رفاعة رافع الطهطاوي (ثلاثة أجزاء)، وفهرس مخطوطات أبي العباس المرسي (جزءان)، وفهرس مخطوطات رشيد ودمنهور، وفهرس مخطوطات المعهد الديني بسموحة (الجزء الأول)، وفهرس مكتبة الإسكوريال، وفهرس شبين الكوم.

- من رواياته: (ظلّ الأفعى) المنشورة في سلسلة روايات الهلال، و(عزازيل).

- له موقع إلكتروني خاصّ بالتراث والمخطوطات، عنوانه: www.ziedan.com.

• **كتابكم الجديد (اللاهوت العربي وأصول العنف الديني)، هل يريد تأكيد أن العنف له جذوره في جميع الأديان؟ وماذا يفيد إثبات ذلك؟**

- العنف صفة إنسانية فطرية، لكنه يصير مفزعاً عندما تتم ممارسته باسم الدين، وباسم الإله، وباسم اليقين الوحيد. هنا يصير العنف مأساوياً في نتائجه، وهذا ما أحذّر منه.

• **ما وجه اعتراضكم على وصف الأديان الثلاثة الرئيسة بالسماوية؟**

- لأنها في واقع الأمر ديانات (رسالية) أو (إبراهيمية)، أما صفة (السماوية) فهي لا تصح لغةً ومعنى، ولا نجدها في تراثنا أو في النصوص الأصيلة، هي وصف معاصر غير دقيق؛ لأن السماء في اللغة والمعنى هي «كل ما أظلّك وعلاك»؛ لذلك نقول: سماء الحجرة، وسماء القاعة، وسماء البيت، وهكذا. وكل دين يرفع معبوده إلى أفق أعلى من وجوده المحسوس، فيصيره سماوياً؛ بمعنى (الإعلاء) لهذا المعبود. وهذا يصدق على أيّ دين، حتى الديانات المسماة (البدائية). ومن ثَمّ فهو وصف لا يناسب - فيما أرى - الديانات التي اشتهر مؤخراً



لماذا يتحول من يكتب رواية يحتفي بها القراء قبل النقاد، وتنال جائزة دولية، وتحتفي بترجماتها اللغات المختلفة، إلى مجرم عليه أن يدافع عن نفسه؟!

أنها سماوية: (اليهودية، والمسيحية، والإسلام)، كأن بقية الديانات أرضية.

• ألم تخش أن يتم تأويل قولك: إن الطبيعة الأولية للسياسة جمعية، وللدين فردية، وأن تتهم بالعلمانية والدعوة إلى فصل الدين عن الدولة؟

- العلمانية خرافة ووهم كبير؛ لأنه لا يمكن تخيّل مجتمع تكون فيه السياسة بمنأى عن الدين أو بمعزل عنه سلباً أو إيجاباً، كما لا يمكن تخيّل دين لا يرتبط بالسياسة القائمة في المجتمع.

• من يقرأ كتابك يحار: أأنت علماني أم ديني أم أنك تختار الطريق الأصعب، وهو تعايش ما هو ديني مع ما هو سياسي؟ وهنا يبدو الطرح نظريا ومتفائلا، وفي كل الأحوال تظلّ الحيرة، ما رأيكم؟

- هذا رأيك، وأنت حرٌّ فيه.

• إقناع الغرب بسماحة الإسلام يبدو مستحيلاً حسب معطيات الواقع وتزايد مظاهر العداء للإسلام، هل تتفقون مع هذا الرأي؟

- هذا الرأي غير صحيح، ومن غير الصحيح أيضاً أن نقول (الغرب) كأنه شخص واحد أو مجموعة أشخاص كلهم على قلب رجل واحد. إن ما يُشار إليه بلفظ (الغرب) هو دول كثيرة، واتجاهات فكرية متخالفة، وسياسات داخلية وخارجية متعددة. وقد عرف كثيرون في (الغرب) الذي تشير إليه: فضل المسلمين وحضارتهم وإسهاماتهم في تاريخ الإنسانية؛ لذلك مثلاً تجدهم يطلقون على قاعات السربون أسماء مثل: الرازي، وابن سينا. وكثيرون من هذا (الغرب) يهتمون بالتراث العربي الإسلامي أكثر مما يهتم به العرب المسلمون المعاصرون.

• من التخصص في الفلسفة الإسلامية إلى الاهتمام بالمخطوطات نقلة تستحق وقفة، فماذا تقولون؟

- هناك انتقالات كثيرة غير هذه النقلة، وهذه طبيعة الحركة الفكرية الإنسانية؛ فالمهم ليس الحفر في أزهار الكتب، وإنما المهم استخلاص الرحيق منها.

• هل في ظنكم أن حفظ المخطوطات يمكن أن يتم بجهود متفرقة؟ لماذا لا تطرحون في مكتبة الإسكندرية رؤية لتوحيد الجهود؟

- نقوم في مركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية بكثير من الجهود في هذا الصدد، وهناك جهود أخرى تبذلها جهات أخرى عربية ودولية. لكن هذه المهمة ضخمة، وتحتاج إلى مزيد من الجهد؛ لأن بدايات العمل التراثي في بلادنا لم تكن تتّسم بالتنسيق. لكننا اليوم نسعى إلى تلافي هذا القصور، وتوحيد الجهود في

مجالات العمل التراثي: فهرسة المخطوطات، وتحقيق النصوص، والدراسات التراثية.

• ما أهم ما تعتزّون به من عمل قمتم به في مجال الحفاظ على المخطوطات؟

- عدة أشياء، منها فهرسة المجموعات المخطوطة المتناثرة في ربوع مصر (دمنهور، وشبين الكوم، وطنطا، وغيرها)؛ لأن هذه الفهرسة حفظتها من الضياع. أما أهم عمل تراثي قمت به، وأعتز به كثيراً، فهو تحقيقي موسوعة (الشامل في الصناعة الطبية)، وهو العمل الذي أنفقت فيه أكثر من خمسة عشر عاماً، وأنفقت عليه كثيراً حتى صدر في ثلاثين جزءاً عن المجمع الثقافي في أبو ظبي، وتم تكريمي عليه في أوربا قبل البلاد العربية، ثم حصل قبل خمس سنوات على جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

قالوا عن عزازيل

ما الذي أراد هيبا أن يقوله في هذا الرق؟ أو ماذا يريد يوسف زيدان أن يقوله؟ هل من الممكن أن تبلغ الوحشية والقسوة والدونية بأبناء الرب هذا المدى الذي وصفه هيبا وترجمه يوسف زيدان؟ هل يمكن أن يدفع التديّن - مهما بلغ صاحبه من تعصّب وجهل - إلى هذا المدى من القسوة والوحشية؟

وأتصوّر أن هذا المشهد في (عزازيل) يوسف زيدان يستحق أن نتوقف عنده، ونحاول أن نستكنه ما وراءه، وإن الذي وراءه لكثير.

ويل لهيبا وليوسف زيدان لو أن المؤسسات الدينية الرسمية قرأت ما خطّته يمين كلّ منهما.

د. يحيى الجمل

المصري اليوم: ٢١/٧/٢٠٠٨م

من حق القمص عبدالمسيح بسيط أن يعتبر تاريخ الكنيسة ورجالها تاريخاً مقدساً للملائكة وليس لبشر، وسوف يجد في عصرنا هذا من يصدقه. لكن من حق آخرين ألا يقتنعوا بهذا الكلام، وأن يصرّوا على أن أجدادنا كانوا بشراً، وأن تاريخهم تاريخ بشري، وأننا نستفيد من تدارس أخطائهم حتى لا نكرّرها.. من حقنا أن نرفض الاستمرار في العيش في مستنقع من الأكاذيب، حتى لو كانت أكاذيب وردية، فمن يحجم أو يجبن عن مواجهة ماضيه بشجاعة فلن يستطيع أبداً مواجهة حاضره.

انخرط جناب القمص في ردّه في استعراض لقضايا لاهوتية، مشهراً سيفاً خشبياً للدفاع عن العقيدة المسيحية، وكأن الرواية قد هدّدتها وهزّت أركانها. وأنا أقول له: هوّن على نفسك يا رجل؛

الأقباط يقرؤون (عزازيل) بشغف شديد، ويبدون سراً إعجابهم بها.. والذين يهاجمون الرواية لا يزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة

فالرواية لم تحمل على أحسن الفروض أو أسوأها - حسب وجهة نظرك - إلا دعوة للتساؤل، وحين يتساءل المرء عن عقيدته، خاصة في مسائل لاهوتية متخصّصة، فإنه لن يستمد عقيدته من عمل أدبي، بل سيعمد إلى المراجع المتخصّصة ليدرس ما شاء الدرس.. هو انغلاق الفكر إذاً الذي يؤدي إلى حالة هلع من مجرد التساؤل.

كمال غبريال

الحوار المتمدن، العدد ٢٣٨٤، ٢٥/٨/٢٠٠٨م

بنى (زيدان) الرواية بحرفية إبداعية واطّلاع كبير على التاريخ، مازجاً بين الخيال والتاريخ ضمن حبكة محكمة؛ حيث بدأت الرواية من حيث انتهت؛ لتتداخل شخصية الكاتب مع شخصية هيبا في لحظات، وتفترق عنها في لحظات أخرى، وتفسح المجال للخيال ضمن سياق المتن الروائي. حملت الرواية عدداً من المونولوجات الداخلية التي كتبت بطريقة لغوية متميزة لم تعتمد الإثارة بقدر ما اعتمدت الحبكة، وجاءت الخدعة التي اعتمدها الكاتب بالتواري خلف اسم المترجم الذي وقّع باسمه في مقدمه الرواية ليضفي صفة الحقيقة على الرواية، وتوحي للقارئ بأنه بصدد عمل يعتمد الوقائع الحقيقية والموجودة، ولكنه أشار في مقدمته إلى أن شخصيته الأساسية (هيبا) قد لا تكون حقيقية؛ ليكشف خدعته التي استخدمها ولكن بطريقة مبطنة. رواية يوسف زيدان (عزازيل) اعتمدت التكوين الفني والمعرفي معاً، ليس كما اعتمدت رواية أخرى على أحد الجانبين على حساب الآخر؛ كرواية (شفرة دافنشي) لدان براون، التي شبّهها الكثيرون برواية زيدان، ولكنه رفض هذا التشبيه بقوله: أرفض أن تكون عزازيل مشابهةً لـ(شيفرة دافنشي)؛ فحين ينشغل رجال الدين بالأدب فمن حقنا إصدار الفتوى.

غيث حمّور - شام لايف

موقع وزارة الثقافة السورية

http://www.moc.gov.sy/index.php?d=53&id=8520

يوضح الأنبا بيشوي في مقدمة (الرد على البهتان في رواية يوسف زيدان) أنه جاء ليواجه الحجة بالحجة، ودحض الأهداف التي وصفها بالـ(هدامة) في رواية الدكتور يوسف زيدان؛ حيث يرى أن الرد على هذه الادعاءات من صلب عمل رجال الدين المسيحي؛ لأنه استخدم شخصيات حقيقية في تاريخ المسيحية، ونسب إليها أقوالاً وأحداثاً «بهدف تشويه سمعة الكنيسة وعقائدها».

سكرتير (المجمع المقدس) أوضح أنه ارتبط بعلاقة طيبة مع زيدان، وتبادلا الهدايا، وكانت كتباً وأعمالاً تاريخية عن الكنيسة، ومنها بردية نادرة أهديت إلى زيدان تعود إلى القرن الثاني الميلادي، وتضم إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا، ولكنه - وفق بيشوي - «كتب أبشع كتاب عرفته المسيحية، استغلّ ما قدمناه إليه من كتب ومراجع وشروحات كوسيلة لمهاجمة كنيستنا وعقيدتنا المسيحية الأرثوذكسية»، مضيفاً أن الرواية ستعمل على تأجيج الفتنة الطائفية بمصر.

موقع محيط

http://www.moheet.com/show_news.aspx?nid=262773&pg=12

العنف صفة إنسانية فطرية، لكنه يصير مفزعاً عندما تتم ممارسته باسم الدين، وباسم الإله، وباسم اليقين الوحيد. هنا يصير العنف مأساويا في نتائجه

أسبوع الرياض يستعرض معالم حركتها الثقافية

أقام نادي الرياض الأدبي أسبوعاً ثقافياً عن الرياض للحديث عن وجهها الحضاري ومكانتها الثقافية والأدبية والوطنية. وكان ختامه بالعرضة النجدية، التي استمتع بها عدد كبير من الجمهور الذي تابع فعاليات الأسبوع وتفاعل معها.

وكان عدد من المثقفين العرب قد عبّروا عن طبيعة علاقتهم بالرياض في ندوة بعنوان: (الرياض في عيونهم). وهؤلاء المتحدثون هم: البروفيسور عز الدين عمر موسى (السودان)، ود. محمد خير البقاعي (سورية)، ود. محمود عبدالعزيز الفرحان (اليمن)، وليلى عساف (لبنان).

تحدث محمد خير البقاعي عن الرياض عندما وصلها سنة ١٤١٧هـ، فقال: إن الرياض لها جانب واقعي ومتخيَّل، والواقعي - وهذا ما يؤسف له - مازال يتجاوز المتخيَّل: فلم نجد رواية سعودية أو قصيدة تتحدث عن الرياض كما تحدث الكتّاب الكبار عن مدنهم.

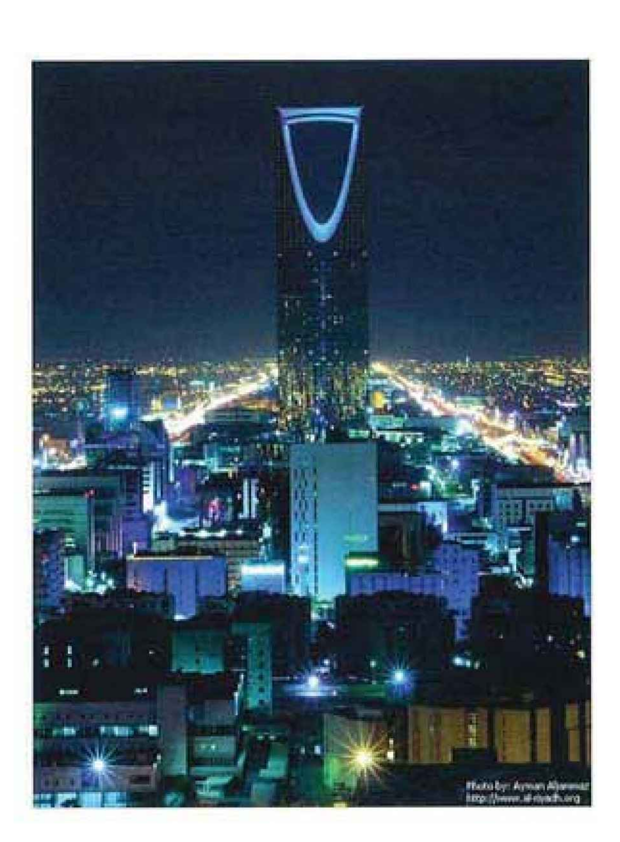
وتحدث الدكتور محمود عبدالعزيز عن التجربة الإذاعية في الرياض، فقال: إن وسائل الإعلام كانت قليلة، وإنه عاش في الرياض منذ سنة ١٣٩٨هـ؛ أي: قبل ٣٣ عاماً، مبيناً أنها تغيّرت تغيراً اجتماعياً كثيراً بعد الطرق الدائرية التي شُقّت فيها.

أما البروفيسور عز الدين موسى، فقد سرد مواقف طريفة مرّ بها عندما جاء إلى الرياض قبل ثلاثين عاماً، وأوضح كيف اندمج مع مجتمعها مع أنه لم يكن يظنّ أنه سيمكث فيها أكثر من عام، وتحدث عن منتديات الرياض الثقافية، وما فيها من حراك فكري. وأشار عز الدين موسى إلى تنقّله في العيش بين لبنان ونيجيريا حتى استقر في الرياض، التي قال إنها مدينة تطورت كثيراً؛ لأن فيها مجتمعاً وجد الموارد من جهة، والعزيمة من جهة ثانية، والرغبة في التطور من جهة ثالثة.

وقالت الشاعرة والتشكيلية اللبنانية ليلى عساف: إنها قضت حتى الآن ١٧ عاماً في الرياض، كانت كلها مفعمة بالأمن والأمان، مشيرةً إلى أن الرياض كلما كبرت توسّعت الخطى نحوها، مؤكدةً أن رائحة الرياض ستبقى في ذاكرتها عندما تغادرها يوماً ما.

وفي ندوة (الرياض في الرحلة والشعر والرواية)، التي أدارها الدكتور محمد بن عبدالرحمن الهدلق، تناول الدكتور عبدالعزيز الهلابي محور (الرياض في كتب الرحالة)، مخبراً في البداية عن أنه ترجم عدداً من الكتب التي أُلّفت عن الرياض، كما يعكف حالياً على ترجمة كتاب آخر. واستعرض الدكتور الهلابي ما كتبه عدد من الرحالين الغربيين، من أمثال بلجريف، وبيلي، ممن وصلوا إلى الرياض في أزمنة مختلفة، وكتبوا عنها.

أما ورقة الدكتور الحيدري، التي ألقاها نيابةً عنه الدكتور إبراهيم أبانمي، فتناولت محور (الرياض في عيون الشعراء)، وأشار فيها إلى أن الرياض كانت مجالاً رحباً لقصائد عدد من الشعراء، لافتاً



وفاة المفكر د. محمد عابد الجابري

رحل المفكر والفيلسوف المغربي محمد عابد الجابري عن عمر ناهز الخامسة والسبعين بعد عطاء فكري ثرّ.

وُلد الجابري في فكيك شرق المملكة المغربية عام ١٩٣٥م حيث بدأ تعليمه، ثم غادرها إلى الدار البيضاء حيث نال دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة عام ١٩٦٧م، ثم دكتوراه الدولة في الفلسفة عام ١٩٧٠م من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط، التي عمل بها أستاذاً للفلسفة والفكر العربي الإسلامي.

وتركز اهتمام الفقيد في التراث الإسلامي، والنشاط الفكري، وكان كتابه (نحن والتراث) بداية تعرّف القارئ العربي إليه، وهو يتضمّن قراءة معاصرة للتراث الفلسفي الإسلامي من خلال دراسة شخصيات فلسفية؛ مثل: ابن رشد، والفارابي، وغيرهما.

وأعاد الجابري قراءة فكر ابن خلدون، وأصدر (ثلاثية نقد العقل العربي)، التي تكوّنت من ثلاثة إصدارات رئيسة، هي: تكوين العقل العربي، وبنية العقل العربي، والعقل السياسي العربي. وقد أحدثت هذه الثلاثية هزة في الأوساط الفكرية العربية. وأصدر الكاتب اللبناني جورج طرابيشي كتاباً ناقداً لها سمّاه (نقد نقد العقل العربي) يردّ فيه على الجابري. وكان الجابري ناشطاً في خلايا العمل الوطني ضد الاستعمار الفرنسي للمغرب في بداية خمسينيات القرن الماضي، ثم انخرط في حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية اليساري أيام كان حزباً في المعارضة، وتعرّض مثل بقية المنتمين إلى هذا الحزب إلى الاعتقال في عهد العاهل المغربي الراحل الحسن الثاني، ثم اعتزل العمل السياسي ليتفرّغ لنشاطه الفكري والأكاديمي.

وحصل الجابري على عدة جوائز؛ منها: جائزة بغداد للثقافة العربية (اليونسكو)، وجائزة الدراسات الفكرية في العالم العربي.

إلى أن ذلك بلغ ذروته عام ٢٠٠٠م عندما أعلنت الرياض عاصمة للثقافة العربية. وقال الحيدري في ورقته: إن هيام بعض الشعراء بالرياض بلغ مبلغه عندما سمّوا قصائدهم باسم الرياض؛ مثل: غازي القصيبي، وخالد الخنين، وغيرهما.

وناقشت الروائية أميمة الخميس حضور الرياض في الأدب النسائي الروائي في ورقة عنونتها بـ(الرياض تلتهم بناتها)، وركزت فيها فيما تختزنه الرياض من أفكار ونصوص ومشاهد ثقافية، تتنوع في أفق الفضاء الثقافي بين نص مركزي، وآخر هامشي يتحول بدوره إلى نص مركزي، واستشهدت برواية (بنات الرياض) بوصفها نصاً (إنترنتياً) ونموذجاً موضوعياً أثار كثيراً من الجدل.

وقدّم الباحث الشعبي محمد القويعي دراسة عن العرضة. أوضح فيها أنها كانت تُقدم أصلاً قبل الحروب للتجمّع، وإثارة الحميّة، واستنهاض همم الرجال للذود عن الوطن وحمايته، كما يعبّر من خلالها المنتصر عن نشوته بتحقيق الغلبة. وعن تسمية هذه اللعبة الشعبية بالعرضة قال القويعي: لأن في أدائها تبختراً يشبه عرض الخيل. وأضاف: العرضة هي العيالة كما وردت في كتاب (أغاني الأعراس) في دولة الإمارات. ولفظة العيالة مشتقة من العيلان: أي: الهجوم.

وأوضح الدكتور عبدالله الوشمي - رئيس النادي الأدبي بالرياض - أن هذا الأسبوع هو الأول من نوعه الذي يعلنه النادي الأدبي بالرياض، ويأتي وفاءً لهذه الأرض وتاريخها ورجالاتها الكبار، خصوصاً أنها تمتلك عراقة ثقافية وتاريخية كبيرة ومتعددة. وقال الوشمي: أردنا في النادي أن نؤكد القيمة الثقافية للارتباط بهذا الإرث الثقافي الكبير للرياض المدينة، وللرياض العاصمة، وللرياض الثقافة. وتشارك معنا في هذه الفعالية دارة الملك عبدالعزيز بجهود معالي الأمين العام لها الدكتور فهد السماري من خلال معرض الصور القديمة للرياض، إلى جانب المعرض التشكيلي لمجموعة من الفنانين والفنانات بإشراف الزميلة منال الرويشد.

في المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني الإسلامي
الأمير سلطان بن سلمان: هذا التراث العظيم رمز لتفوق الحضارة الإسلامية

أكد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز - رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار - أن التراث العمراني الإسلامي العظيم يمثّل رمزاً لتفوّق الحضارة الإسلامية، وعناية المسلمين بعلوم العمران، ودليلاً على تقدمهم المعرفي والعلمي، وشاهداً حياً على تميّزهم في مجالات الفنون والحضارة، والعناية بالتراث العمراني في بلادنا بتنمية اقتصادية وبشرية متسارعة الخطى في ظلّ العولمة وتقاطع الحراك الحضاري والثقافي.

جاء ذلك في المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني الإسلامي، الذي أقيم برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في المدة ٩-١٤ جمادى الآخرة سنة ١٤٣١هـ/ ٢٣-٢٨ مايو الماضي.

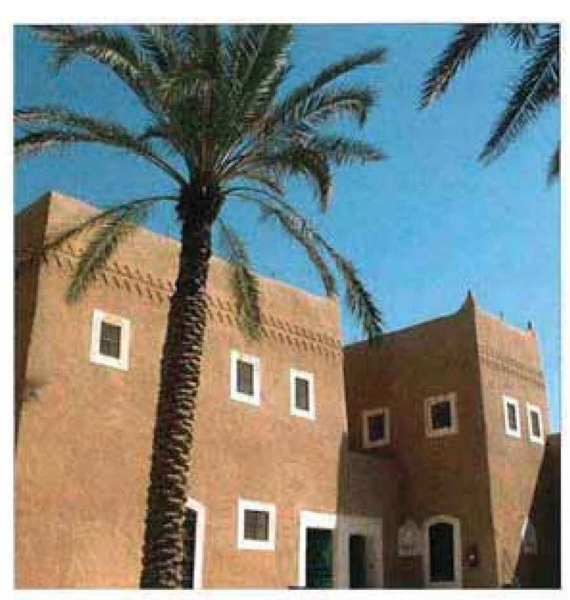
وأضاف سموه: نحن ننظر إلى هذه التظاهرة الكبرى على أنها مبادرة لتركيز الاهتمام في قضية التراث العمراني العريق في دولنا الإسلامية، وفرصة لإبراز دور ذلك التراث العظيم في التنمية الثقافية والاقتصادية، ورافد مهم من روافد التنمية والتحديث، ومصدر اعتزاز متجدّد.

وأكد الأمير سلطان أهمية الفهم العميق للتراث الإسلامي؛ لدوره المهم في صناعة المستقبل، مشيراً إلى أن المملكة تنظر بشكل خاص إلى التراث الوطني على أنه جزء لا يتجزأ من الاستعداد للمستقبل، ودافع لحركة التحديث المتسارعة التي تمرّ بها البلاد.

وافتتح الدكتور خالد آرن - مدير مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في تركيا (أرسيكا) - كلمته بشكر خادم الحرمين الشريفين على رعايته المؤتمر، مؤكداً أن مجتمعاتنا الإسلامية لها هوية خاصة تميّزها، شكّلت مكانتها بين الأمم على مرّ العصور. وذكر أن المخزون التراثي هو أساس الهوية والمرجع الذي تجب المحافظة عليه ورعايته، منوّهاً بتوطد العلاقة بين (أرسيكا) والمملكة العربية السعودية من خلال عدة مشروعات، قد يكون أبرزها وأهمها مشروع قاعدة البيانات التي أسّست بدعم من الأمير سلطان بن سلمان رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار.

ثم ألقى الدكتور فرانسيسكو باندرين - مدير مركز التراث العمراني بمنظمة اليونسكو - كلمة المنظمة نيابةً عن المدير العام أرينا بوكوفا، متوجهاً بالشكر إلى حكومة المملكة على الرعاية، ومؤكداً أن منظمة اليونسكو سعيدة بالمشاركة في هذا





المؤتمر، وأشار إلى أن المنظمة تحفل دائماً وتسعد بالمشاركة في مثل هذه الملتقيات الثقافية التي ترى المنظمة أنها مثمرة ومفيدة على صُعُد كثيرة.

أعقبت ذلك كلمة الدكتور كمال الدين إحسان أوغلو - الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي - وافتتحها بالحديث عن أهمية المؤتمر، وأهمية القضايا المطروحة للبحث فيه. وقال الدكتور أوغلو: لا شك في أن التراث العمراني الإسلامي يعكس عبقريةً فذةً ينفرد بها عن غيره جعلته يستحوذ على إعجاب الناظرين مهما اختلفت أجناسهم وثقافاتهم. وأشار أوغلو إلى أن الحفاظ على التراث العمراني ورعايته واجب محتّم على المواطن والمسؤول معاً، كما نوّه بدور المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني في الدول الإسلامية في دعم التراث العمراني ورعايته، سواء في المملكة أم في بقية دول العالم الإسلامي.

وقد أعرب البيان الختامي للمؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني بالدول الإسلامية الذي اختتم في الرياض يوم الأربعاء ١٣-٦-١٤٣١هـ عن قلقه من المخاطر التي تهدد التراث المعماري الإسلامي نتيجة للاعتداءات الجائرة عليه، خصوصاً الاعتداءات المتواصلة على المسجد الأقصى ومدينة القدس، وتغيير هويتها، وغيرها من الاعتداءات في أجزاء أخرى من البلدان الإسلامية. ونبّه البيان إلى المخاطر التي تواجه المباني التاريخية الإسلامية نتيجة توسع التنمية الحضرية، خصوصاً في عدد من المدن في الدول الإسلامية.

وأكد أهمية تبنّي مزيد من المبادرات الإيجابية في هذا الجانب: كمعالجة المباني الآيلة للسقوط لتكون آيلة للنمو والاستثمار. وتأهيل المباني التراثية وتحويلها إلى مراكز ثقافية ومتاحف ومرافق إيواء وضيافة بأسلوب يحافظ عليها ويجعلها مورداً اقتصادياً لملاكها.

وأمل المشاركون أن يثمر تطبيق نتائج المؤتمر وتوصياته في المستقبل القريب عن المحافظة على تراثنا العمراني، وتنميته بما يعود بالنفع على بلادنا ومجتمعاتنا.

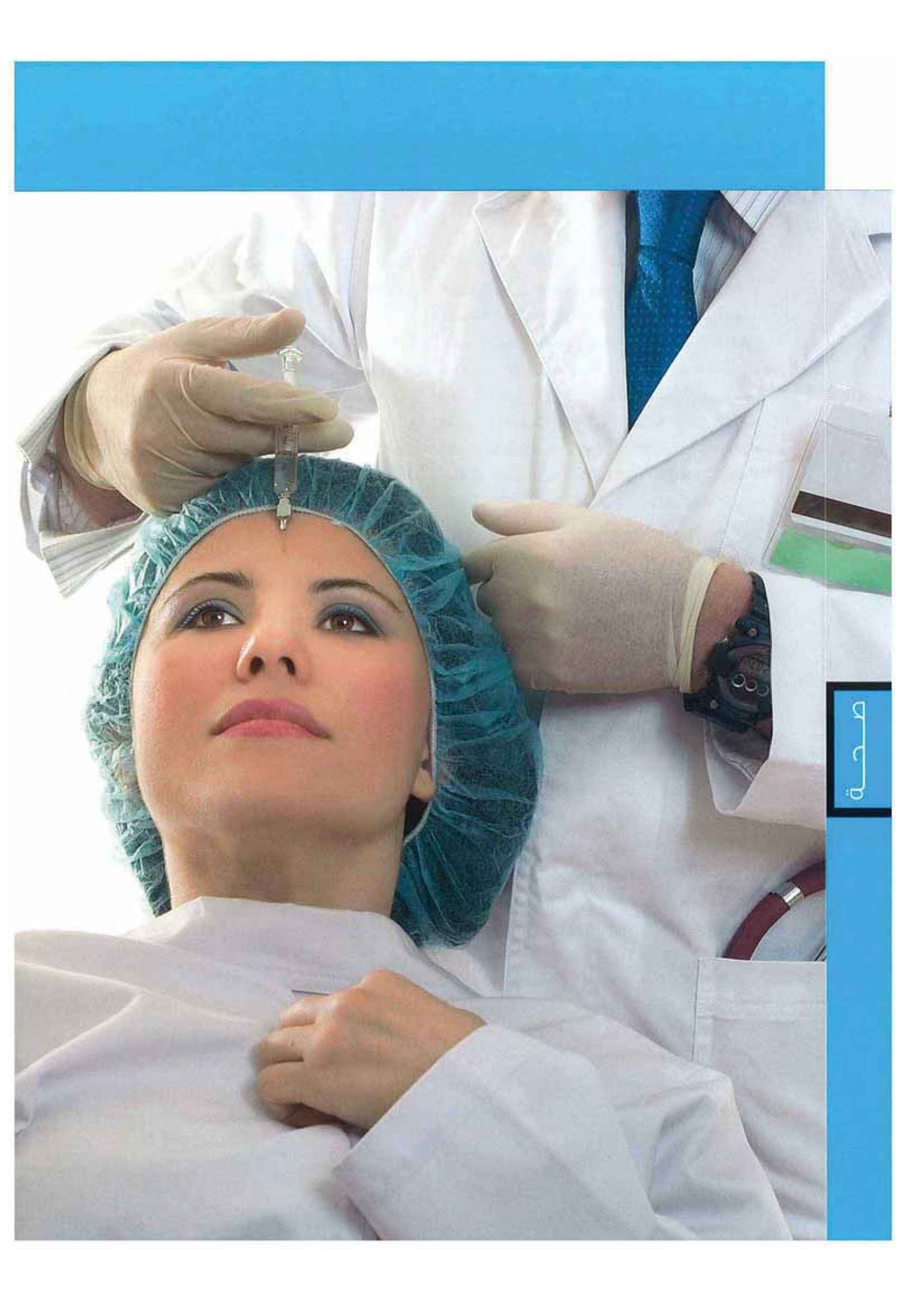
رحيل الولد الشقي

تُوفي الكاتب الصحافي الساخر محمود السعدني، الملقب بالولد الشقي، يوم ٢١ جمادى الأولى/ ٤ مايو الماضي عن عمر ناهز ٨٢ عاماً بعد صراع مع المرض.

ويُوصف الفقيد بأنه رائد الكتابة الساخرة في الصحافة العربية، وقد شارك في تحرير وتأسيس عدد كبير من الصحف والمجلات العربية في مصر وخارجها. وعمل السعدني بعد بداية الثورة بمدة في صحيفة (الجمهورية) التي أصدرها مجلس قيادة الثورة، وكان رئيس مجلس إدارتها أنور السادات، ورئيس تحريرها كامل الشناوي وآخرون. وتمّ فصله من الجمهورية بسبب نكتة أطلقها على السادات، ثم عمل بعد ذلك مديراً لتحرير مجلة (روز اليوسف) الأسبوعية، وكان يرى أن الحقبة التي قضاها فيها هي الأفضل في حياته.

وقد اتّهمه عبدالناصر بالشيوعية بعد رسالة سلّمها إليه من الحزب الشيوعي السوري تحمل تهديداً بالخروج عليه، وكان ذلك إبّان الوحدة بين مصر وسورية. كما ترأس السعدني تحرير مجلة (صباح الخير) المصرية في الستينيات، وسجن في عهد الرئيس أنور السادات، وقد اختار لندن منفى له، وأصدر وترأس هناك تحرير مجلة (٢٣ يوليو)، وعاد إلى مصر من منفاه الاختياري عام ١٩٨٢م بعد اغتيال السادات، واستقبله الرئيس مبارك، وكانت له علاقة مميزة بالرئيسين الليبي معمر القذافي والعراقي صدام حسين. وقد اعتزل العمل الصحفي والحياة العامة منذ عام ٢٠٠٦م بسبب المرض.

ومن مؤلفات السعدني الأخرى: (الولد الشقي في المنفى)، وهو مذكرات السنوات التي قضاها خارج مصر بعد مغادرته لها في أثناء مدة حكم الرئيس أنور السادات، و(رحلات ابن عطوطة)، و(أمريكا يا ويكا).


صحة



الشباب الدائم
الحلم الأزليّ للجميع

ضاحي عثمان

القاهرة - مصر

نسمع كثيرا عن مضادات الأكسدة أو موانعها، ونتحدث دوما عن الرغبة في (الحفاظ على الشباب الدائم)، وعن أحلام العلماء في العثور على ترياق لـ(تأخير الشيخوخة)، فماذا يعني كل هذا؟!

لأجل ذلك أقول: إن الوجه النضر الحالي من التجاعيد وقسمات الزمان، والروح المتفائلة، والنفس الملهمة، والعيون اللامعة، والنظرة المتألقة، والأفكار البراقة، والرؤية الواضحة؛ كلها أشياء تبرز معالم بستان الشباب وتضاريسه، وما بها من إقبال على الحياة الوارمة بكل أمل وسعادة ورضاء وتفاؤل.

خوف وقلق

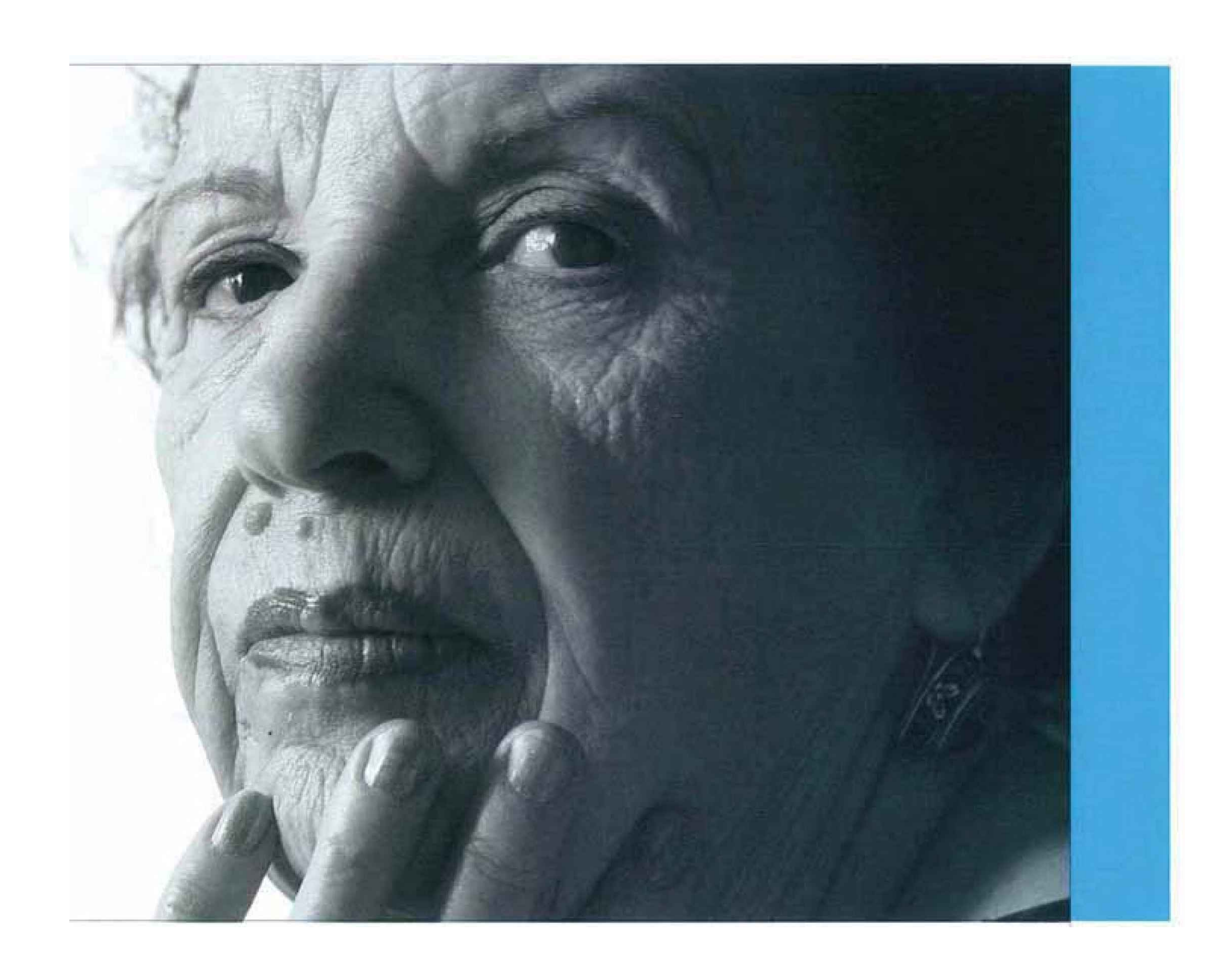
إن ذهاب ملامح الشباب، ومجيء قسمات الشيخوخة، وتجاعيد زمانها، وقسمات أيامها؛ أفكار تهدّد الجميع، وتزرع القلق في النفوس، وكلما كانت هذه الأفكار صعبةً ومرعبةً على المرء منا حفرت بقوة لنفسها روافد على بشرة الوجه والقلب والأفكار؛ فتقطر المزيد من الإحباط والقلق والاكتئاب، وهو ما يحرمنا من جنة الشباب الخضراء في الدنيا، ويبعد منا نور الصباح الذي نتمنى له أن يطول معنا، وأن ننعم معه في بحبوحة الأحلام، التي يتمنى كلّ إنسان بالطبع أن يرتع فيها؛ لنعيش في الدنيا، ونسعد بها كالطيور؛ نغردُ ونصدح؛ لنوقظ الكون من حولنا، وألا تسمع الأحلام منا إلا ما اعتدنا عليه من ترتيل الألحان الشجية، التي تجسّد لنا ملامح السعادة؛ ذلك الهدف الأصيل الذي نسعى إليه، ونراه رابضاً في مرمى البصر، وكلما اقتربنا منه خطوة بات أكثر وضوحاً، ونرقبه مضيئاً في الأفق البعيد، يهب الطبيعة سحرها، ويمنحها أبهى حلة يعجز عن تصوّرها من لا يحلم بالشباب الدائم، فالقمر الفاتن يمرح في صفحة السماء منذ الأزل، ويحتضن كل جمال، موحياً بلون من ألوان الجنة، التي وعد الله تعالى بها عباده، لكن الشعور بالجمال والشباب الدائم في هذه الحياة هو الحلم، وأجمل الأحلام هو حلم الحياة في ثوب الشباب طوال العمر، وهو بحق يضمن جنة الدنيا، وهو ما يتطلب من كل امرئ منا أن يعرف كيف يحفظ حيويته ونشاطه، لكن كيف؟!.

هذا هو السؤال الذي يجب أن نسأله أنفسنا: أنت وأنا دائماً، وهو ما سنحاول أن نجيب عنه الآن أيضاً؛ لنعرف حكاية مضادات الأكسدة.

ما حكاية مضادات الأكسدة؟

أثبتت الأبحاث العلمية العالمية أن ٩٠٪ من الأمراض التي تطارد البشرية، وتهدد وجودهم على وجه الأرض، مصدرها الغذاء، وهذا الغذاء هو كلّ ما نأكله ونشربه وما تصل إليه أيدينا، وهذا الأمر يتطلب منا حرصاً شديداً، ونظافة واعية، وثقافة علمية جيدة؛ حتى لا نقذف بأنفسنا في أحشاء المرض، وتغادرنا الصحة إلى حيث لا تعود ثانيةً.

لكن هناك شيء ما يجري في داخلنا؛ داخل أجسامنا، هذا الشيء يهدّدنا بمصادرة صحتنا وملامح الشباب من أيدينا، وإهداء الأمراض وقسمات الشيخوخة إلينا بدلاً منهما، هذا الشيء



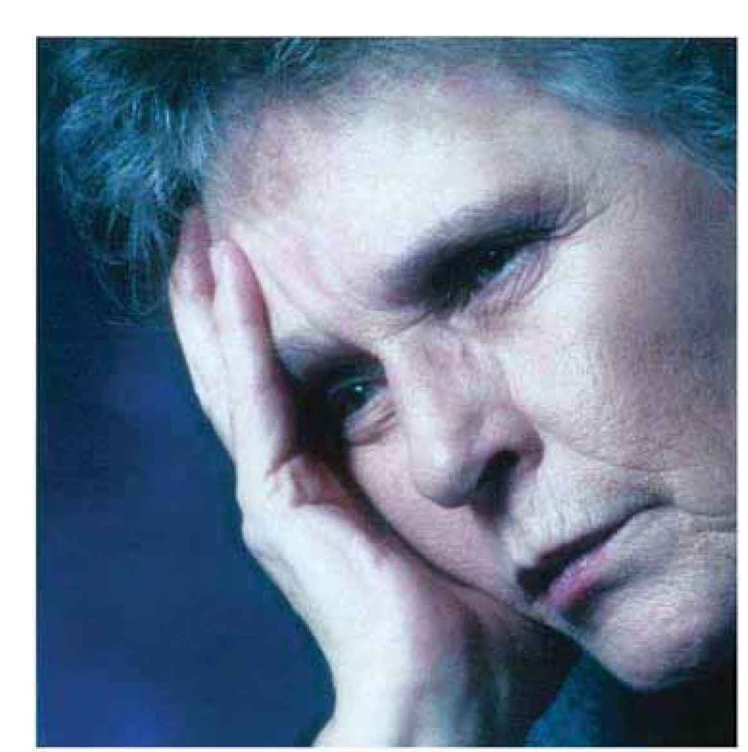
هو ما يُسمَّى (الشوارد الحرة Free Radicals)، وهي مكوّنات كيماوية تتولّد داخل جسم الإنسان نتيجة عملية التمثيل الغذائي: احتراق جميع المواد الداخلة إلى الجسم. وعلى الرغم من أهمية هذه المكونات لعملية الاحتراق إلا أن زيادتها تضرّ بالجسم. كيف؟!. لأن هذه الشوارد الحرة تنتج من تفاعل مواد الجسم مع أكسجين الهواء الجوي: أي: أكسدة. وقد سُمّيت (حرة) لأنها تحتوي على إلكترون (كهيرب) واحد حرّ طليق غير مزدوج. وهذا الأمر يجعل فاعليته الكيماوية شديدة وخطيرة؛ لأنه لا يستقر، ولا يمكنه الهدوء أبداً. ويسلك بحقّ سلوك المجانين بحثاً عن الاستقرار: لذلك نجده في هذه الحالة يتصرّف بعشوائية. ويكون شغله الشاغل العثور على ونيس له، والتخلص من هذه الوحدة والصورة المفردة له بكل الطرائق: أي أن هذا الكهيرب غير متوازن من ناحية الطاقة، ولابد له من العثور على إلكترون أو كهيرب آخر يحقق الألفة والازدواج، ثم الاستقرار.

هل لجنون الكهيرب من نهاية؟!

على الرغم من قصر عمر هذه الشوارد الحرة إلا أنها تتميّز

بنشاط كيماوي غير عادي؛ مما جعلني أصفها بالجنون. وهنا يكمن الخطر كله. لماذا؟! لأن هذا الإلكترون أو الكهيرب في أثناء بحثه عن الاستقرار والعثور على إلكترون مماثل يؤنس وحدته يرتكب أعمالاً مجنونة جداً، ويحدث هرجاً ومرجاً في هذه الأوساط؛ إذ لابد له من تحقيق الاتزان. فيسلك في سبيل ذلك سلوك الأنانية المفرطة. معلناً شعار (أنا ومن بعدي الطوفان)، عن طريق انتزاع إلكترون أو خطفه من أيّ مركّب كيماوي آخر. وقد نجده هنا يهاجم جزيئات شديدة الحساسية بالجسم كالهرمونات أو الإنزيمات أو الأحماض النووية، وهذا الأمر يقود إلى إحداث خلل في أدائها وظائفها الحساسة أيضاً؛ لأنها ستكون ناقصةً ذرّةً منها اختطفتها الشوارد من كل جزيء من جزيئاتها. وهنا يقع الخطر على الجسم؛ لأن هذا الخلل في الوظيفة يقود بالطبع إلى أمراض لا حصر لها للبشر: منها: السرطان، والقلب، وغيرهما. بل إنه بعد انتزاع الإلكترون أو خطفه من هذه الجزيئات

> الشعور بالجمال والشباب الدائم في هذه الحياة هو الحلم، وأجمل الأحلام هو حلم الحياة في ثوب الشباب طوال العمر



الحساسة تصبح هي الأخرى شاردةً جديدةً تتسبّب بإحداث هرج ومرج آخر في هذا الوسط، وهو ما يعني تسلسل هذه التفاعلات تأكسداً واختزالاً إلى ما لا نهاية، وهي كلها تنشأ من (أكسدة) مواد الجسم، سواء أكانت الأحماض النووية أم الإنزيمات أم الهرمونات؛ مما يحيلها إلى شوارد حرة في حدّ ذاتها، وهكذا يتسلسل الأمر، ويتضاعف الخطر الذي يهاجمنا من داخل الجسم.

الرسالة الهرمونية لا تحتمل التأخير

لمزيد من الوضوح، فإن الهرمونات مثلاً تتحكم في كلّ مظاهر حياة الإنسان في أدق ملامحها، وأخطر ظروفها، وتتجلى خطورة ما يمكن أن يصيبها من خلل بفعل الشوارد في أن الرسالة الهرمونية سريعة ولا تحتمل التأخير، ويفسدها التمهّل؛ لأن صحة الإنسان بحاجة إلى التوازن السريع. والترجمة الحرفية للفظ (هرمون) هي (رسول كيماوي). وعدد الهرمونات الكلي في جسم الإنسان ٣٦ هرموناً مختلفاً، تفرزها غدد صماء، بعضها له قنوات تنقل الهرمونات خلالها، وبعضها الآخر لا قنوي تصل إفرازاتها إلى الدم مباشرةً. ومن هنا، فإن الخلل الذي يصيبها بفعل الشوارد الحرة يمثّل كارثةً للجسم، وهو ما يفسّر الدور الشديد الحساسية للهرمونات في الجسم.

وتتكون الشوارد الحرة في جميع الخلايا الهوائية في أثناء الأيض أو التمثيل الغذائي واستخدام الأكسجين. ويشمل التمثيل الغذائي كل العمليات الجسدية أو الكيماوية في الجسم التي تخلق الطاقة وتستخدمها؛ مثل: هضم الطعام والمواد الغذائية، والتخلص من الفضلات من خلال البول والبراز، والتنفس، والدورة الدموية، وتنظيم درجة حرارة الجسم.

لماذا شوارد الأكسجين هي الأخطر؟

تعدّ شوارد الأكسجين هي الأهم؛ لأنها تتكون في جميع الخلايا الهوائية؛ بسبب صغر حجمها، ومن ثَمّ فهي تستطيع أن تخترق بسهولة كل الحواجز داخل الخلية. لذلك يمكنها أن تصل إلى أمكنة بعيدة عن أمكنة تكوينها، فيزداد الخطر، وتتسع الرقعة التي يحدث فيها آثاره الضارة. وهذا الأمر نؤكّد معه دور الشوارد الحرة المدمّر داخل الأنظمة الحية؛ إذ تبدو كأنها تنتقم

لنفسها من فقدانها الاتزان، فتحدث تلفاً في الجزيئات التركيبية للخلية يؤدي في النهاية إلى تدمير الأحماض الدهنية والمواد البروتينية الداخلة في جدران الخلايا، التي تعدّ من الأهداف المفضّلة للشوارد. وهذا الأمر يؤدي إلى موت هذه الخلايا؛ مما ينتج من ذلك موادّ ومركبات عالية السمية: (مركب الألدهيد) الذي ينتشر بسهولة بين أجزاء الخلية مسبباً عدداً من الأمراض: مثل: تصلّب الشرايين، والسكر، والسرطان، والشلل الرعاش، والالتهابات السمية الدوائية، ونقص المناعة المكتسب (الإيدز)، وأمرض الجهاز الهضمي، وأمراض الدم.

المخ أكثر عرضة لخطر الشوارد

لأن المخ يستهلك أكسجيناً أكثر من أيّ نسيج آخر في الجسم فإنه يكون أكثر الأنسجة الجسمية عرضةً لخطر الشوارد الحرة التي تهاجم الخلايا وتحطّمها. وهذا الأمر يمكن أن يؤدي إلى الفقد التدريجي في الذاكرة والتفكير مع تقدم العمر. وهو الخطر الأكبر. لماذا؟ لأن الحياة من دون المخ والذاكرة لا تساوي شيئاً. ومن نعم الله - عزّ وجلّ - علينا أنه زوّد أجسامنا بموادّ طبيعية تبطل هذه العمليات التأكسدية، إضافةً إلى الفيتامينات التي يحتويها الغذاء وتقوم بدور دفاعي جميل في هذا الشأن: أي: (مضادات الأكسدة): مثل: فيتامين (ج)، وفيتامين (د)، والبيتاكاروتين، وكثير من الكيماويات النباتية التي اكتشفت حديثاً في الخضراوات والفاكهة الملونة. وهنا يثور السؤال: كيف نحمي أنفسنا من خطر هذه الشوارد؟.

الجواب: ينبغي للوقاية من تأثير الشوارد الحرة الضارة عندما تتراكم في الجسم أن نزوّد أنفسنا بالمواد القادرة على توفير ذرّات الهيدروجين التي تحمل الإلكترون الوحيد الذي يبحث عنه الشارد الحر: مما يجعله يتفاعل معها ويشبع رغبتها، فلا ينقضّ على أيّ من مواد الجسم ومكوناته، وتسمى هذه المواد التي تشبع رغبة الشوارد الحرة (موانع الأكسدة أو مضاداتها).

مضادات رخيصة في المتناول

من حسن الحظ أنها توجد بكثرة في الخضراوات والفواكه: مثل: الجزر، والخيار، والتفاح، وهي تحتوي على نسب متفاوتة من موانع الأكسدة أو مضاداتها الطبيعية، التي تحمي الجسم من هجوم هذه الشوارد الحرة أو جنونها عندما تتولّد بكثرة داخل أجسامنا.

إضافة إلى ذلك، هناك فيتامين (ج)، الذي يعدّ خط الدفاع الأول ضد الشوارد الحرة، وهو من المضادات القوية لأكسدة الدهون. ويوجد فيتامين (ج) بكثرة في عدد من الفواكه والخضراوات: مثل: الليمون، والبرتقال، والطماطم، وهي بفضل الله تعالى متوافرة، ورخيصة الثمن، وفي متناول أيدينا: فقراء وأغنياء على حدّ سواء. وهناك كذلك فيتامين (هـ)، وأدوية كثيرة، أرخصها الإسبرين ومشتقاته، تستخدم مضادات للأكسدة بالجسم.

احرص في غذائك على الألوان

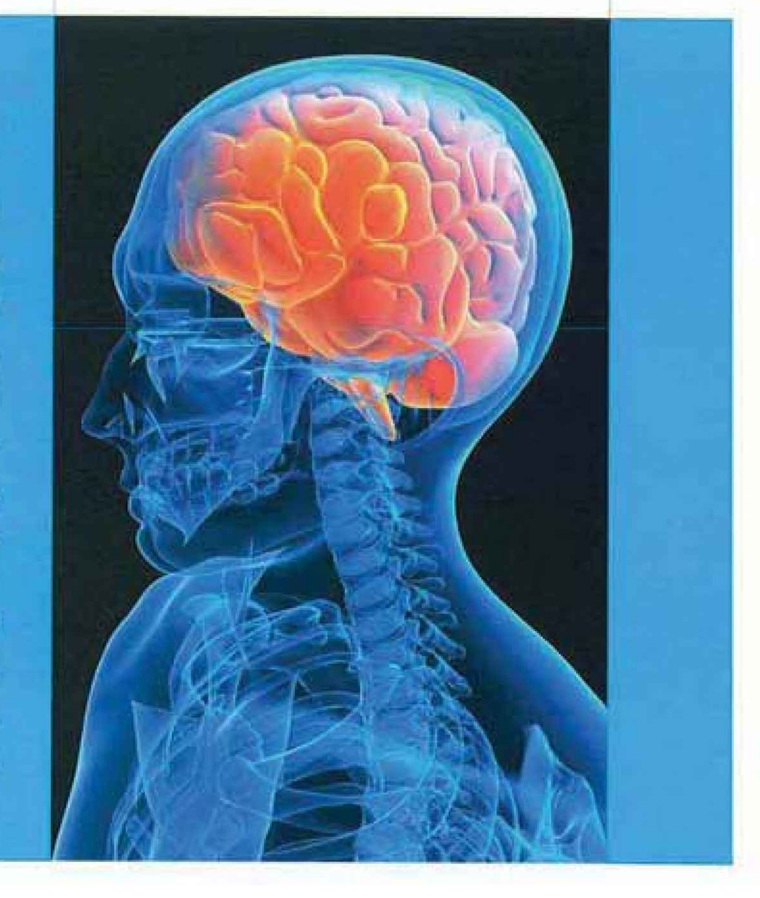
النصيحة هنا: احرص يومياً على الخضراوات والفاكهة الملونة في طعامك: لكي تجعل خطوط دفاعاتك قوية ضد الأكسدة التي تطيح بمعالم الشباب، وتبرز ملامح الشيخوخة.

أبرزت نتائج دراسة للمعهد القومي الأمريكي حول مرض ألزهايمر، الذي اكتشفه الطبيب الألماني ألبوس ألزهايمر عام ١٩٠٦م، وهو مرض (الخرف أو العته الذي يؤدي إلى تعطيل الذاكرة وتأخّر التفكير الاستدلالي والمنطقي)، أن إعطاء المرضى من ذوي الحالات المتوسطة جرعة كبيرة من فيتامين (هـ)، بلغت ٢٠٠٠ وحدة دولية يومياً لمدة سنتين، أدى إلى عدم تدهور حالاتهم نتيجة المرض، وأصبحوا قادرين على الاعتناء بأنفسهم مدةً أطول: كالاستحمام، والملبس، والوظائف الحياتية الأخرى، مقارنةً بمن لم يتناولوا هذا القدر من فيتامين (هـ). كما أوضحت دراسة أخرى أن ٦٠٪ من مرضى ألزهايمر يعانون نقصاً في هذا الفيتامين.

ما أجمل الموز للحفاظ على الشباب!

أثبتت دراسة علمية مصرية أن الموز مفيد جداً في محاربة

تعد شوارد الأكسجين هي الأهم؛ لأنها تتكون في جميع الخلايا الهوائية؛ بسبب صغر حجمها، ومن ثم فهي تستطيع أن تخترق بسهولة كل الحواجز داخل الخلية



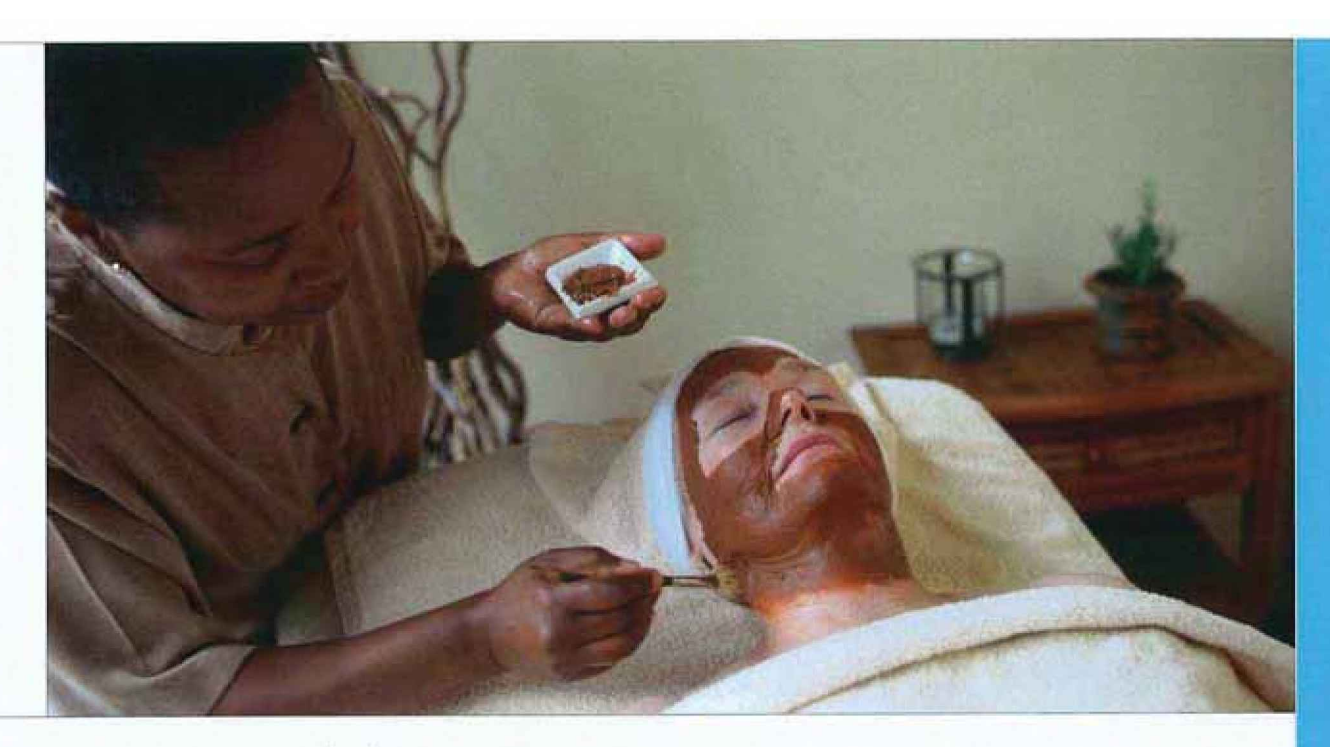
المخ أكثر عرضة لخطر الشوارد

لأن المخ يستهلك أكسجيناً أكثر من أيّ نسيج آخر في الجسم فإنه يكون أكثر الأنسجة الجسمية عرضةً لخطر الشوارد الحرة التي تهاجم الخلايا وتحطّمها. وهذا الأمر يمكن أن يؤدي إلى الفقد التدريجي في الذاكرة والتفكير مع تقدم العمر، وهو الخطر الأكبر. لماذا؟ لأن الحياة من دون المخ والذاكرة لا تساوي شيئاً. ومن نعم الله - عزّ وجلّ - علينا أنه زوّد أجسامنا بموادّ طبيعية تبطل هذه العمليات التأكسدية. إضافةً إلى الفيتامينات التي يحتويها الغذاء، وتقوم بدور دفاعي جميل في هذا الشأن؛ أي: (مضادات الأكسدة)؛ مثل: فيتامين (ج)، وفيتامين (د)، والبيتاكاروتين، وكثير من الكيماويات النباتية التي اكتُشفت حديثاً في الخضراوات والفاكهة الملونة. وهنا يثور السؤال: كيف نحمي أنفسنا من خطر هذه الشوارد؟

الجواب: ينبغي للوقاية من تأثير الشوارد الحرة الضارة عندما تتراكم في الجسم أن نزوّد أنفسنا بالمواد القادرة على توفير ذرّات الهيدروجين التي تحمل الإلكترون الوحيد الذي يبحث عنه الشارد الحر؛ مما يجعله يتفاعل معها ويشبع رغبتها، فلا ينقضّ على أيّ من مواد الجسم ومكوناته. وتسمى هذه المواد التي تشبع رغبة الشوارد الحرة (موانع الأكسدة أو مضاداتها).

الشيخوخة، والحفاظ على الشباب الدائم؛ فهرمون (الميلاتونين)، الذي أقام الدنيا ولم يقعدها عندما طُرح دواءً مضاداً للشيخوخة واستبقاء الحيوية والشباب عمراً أطول. كشفت دراسة علمية مصرية أن ثمار الموز هي الفاكهة التي يمكن الاعتماد عليها بديلاً لهذا الدواء؛ إذ تتميّز ثمار الموز بغناها بهذا الهرمون، بل إن ثمار الموز ليست غنية فقط بهذا الميلاتونين، الذي يعدّ ترياق الصحة والشباب؛ لأن ثمار الموز الناضجة تعدّ مصدراً غنياً بالمغذيات والسكريات السهلة الامتصاص، لذلك فهذه الثمار مولّدة للطاقة، وباعثة للحيوية، ويمكن الاعتماد عليها في النظم الغذائية الهادفة للحيوية ورشاقة الجسم.

كما أن مؤهلات ثمار الموز تسمح له بذلك وأكثر؛ بسبب احتوائه على فيتامين (ب٢)، وأنه ضروريّ لانطلاق الطاقة في خلايا الجسم من الدهون والكربوهيدرات والبروتين، وضروريّ أيضاً لامتصاص الحديد وبناء الهيموجلوبين الدموي. إضافةً إلى ذلك، فإن لفيتامين (ب٢) فوائد صحية للجلد والبصر. ويذكر الأطباء أن ثمار الموز سمّاها القدماء (طعام الفلاسفة)؛ لأنه كان غذاءً أساسياً عند علماء الهند وفلاسفتها القدامى. إضافةً إلى أن نشويات الموز لا نظير لها في الفواكه أو النشويات الأخرى؛ إذ ينفرد نشا ثمار الموز بأنه لا يتم تخزينه في الجسم، ومن ثَمّ فإن تناول الكثير منه لا يؤدي إلى أيّ زيادة في الوزن. ومن هذا المنطلق ظهرت الوصفات الغذائية التي تضمّن الموز عنصراً أساسياً لأيّ نظام غذائي لثبات وزن الجسم، والحفاظ على الرشاقة وصفاء الذهن، ولعلّ هذه الميزة التي تتمتع بها ثمار الموز لا مثيل لها في أيّ غذاء آخر، سوى درنات البطاطا، والفرق الوحيد أن الموز فاكهة، ودرنات البطاطا تنتسب إلى الخضراوات، فضلاً عن أنها درنات؛ أي: من جذور النبات.



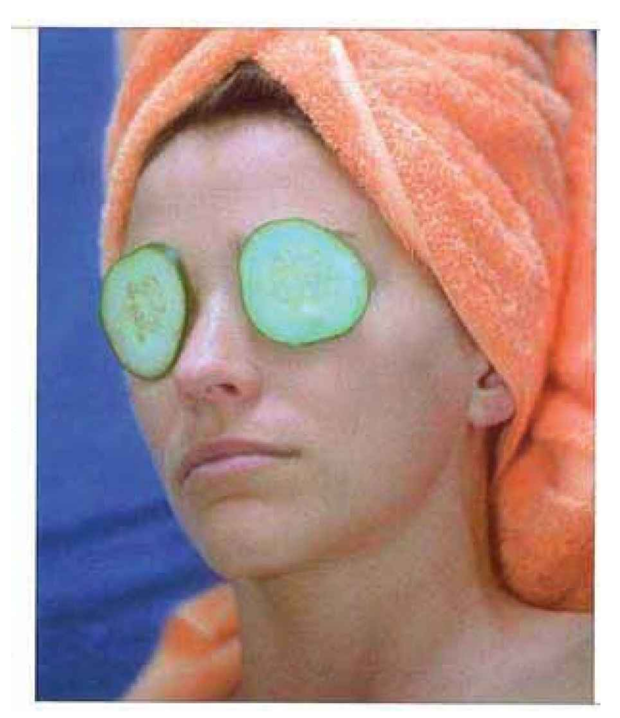
المرأة وتطلّع دائم إلى استمرارية الشباب والحيوية

ما حكاية الليمون؟

لا يتوقف الأمر للحفاظ على ملامح الشباب طبيعياً عند ثمار الموز فقط، بل إن إضافة الليمون إلى السبانخ تزيد فرص الاستفادة من الحديد ومضادات الأكسدة. ففي الوقت الذي تزدهر فيه (السبانخ) في فصل الشتاء كأهم الخضراوات الورقية ذات القيمة الغذائية أكدت دراسة علمية أن إضافة عصير الليمون أو حامض (الستريك) إليها يزيد من فرص استفادة الجسم من الحديد، ويجعلها تقوم بدور أكبر كمضادات للأكسدة ومحاربة الشوارد الحرة. معروف أن السبانخ غنية جداً بفيتامينات (ج) و(ب) المركّب والمعادن، خصوصاً الحديد؛ لذلك تعدّ من أكبر مصادر الحديد في سائر الأغذية النباتية، إلا أن مشكلة (السبانخ) تتمثّل في أن الحديد الموجود فيها يوجد في صورة عسيرة على الجسم أن يمتصّها بسهولة، ويرجع ذلك إلى غناها بمادة الأكسالات التي تجعل الحديد غير قابل تماماً للامتصاص في معظمه، وهذا الأمر تمّ إخضاعه لعدد من التجارب حتى تصبح السبانخ مصدراً بحقّ للحديد بين الأغذية النباتية. وتوصلت النتائج إلى أن إضافة بعض الأحماض العضوية **يرفع من درجات استفادة الجسم من حديد السبانخ بإضافة حمض** الستريك (الليمونيك)؛ أي: الليمون، أو حمض الأستيك (الخليك)؛ أي: الخل، أو حمض الأسكوربيك؛ أي: فيتامين (ج). وقد تمّ تأكيد هذه النتائج من خلال حيوانات التجارب؛ مما يعطي الفرصة للاستفادة التامة من حديد السبانخ الآن، على أن يضاف أيّ من هذه الأحماض بقدر مناسب للسبانخ عقب الطهي أو في أثنائه؛ لضمان الاستفادة من هذه الأغذية في موسم الشتاء.

حارب الشوارد بالسبانخ

كما أن إضافة أيّ من هذه الأحماض عقب الطهي مباشرةً كان له أبلغ الأثر في زيادة فرص الاستفادة من الحديد في الجسم بدرجات كبيرة، وهو ما يعطي بُعداً غذائياً كبيراً للسبانخ، التي تعطّل هجوم الشيخوخة على الإنسان، وتتيح مدة أطول للشباب؛ فإن السبانخ غنية بمواد أو مركبات تقوم بالاتحاد مع الشوارد الحرة داخل الجسم، أو المركبات الناتجة من التلوث البيئي أو التدخين، واتحادها مع هذه المواد يمنع الشوارد من إيقاع الضرر بالخلايا في الجسم؛ مما يقي الإنسان من بعض الآثار السلبية لها **أو الأمراض الخطيرة التي تقود إليها: مثل: السرطان، وأمراض**



البحث عن الشباب لا حدود له

ضغط الدم، وأمراض القلب والأوعية الدموية.

ولا تتوقف فوائد السبانخ عند هذا الحد، بل إن غناها بالألياف يجعلها من أهم الأغذية التي تفيد مرضى القلب والسكر، والوقاية من مرض سرطان القولون. إضافةً إلى فوائد أخرى كثيرة يمكن أن تظهر مع استمرار التجارب العلمية.

الخبز الأسمر هو الحل

أثبتت دراسات مصرية أخرى أن الخبز البلدي يتفوّق على جميع الأغذية الأخرى في محتوى عنصر السيلينيوم المضاد للأكسدة والسرطان؛ ففي الوقت الذي يؤدي فيه هذا السيلينيوم دوراً مهماً للإنسان؛ إذ يدخل في تركيب الإنزيمات المضادة للأكسدة، ويعمل مع فيتامين (هـ) على تقليل تكوين الشوارد أو الجذور الحرة في الجسم؛ فقد أثبتت هذه الدراسة العلمية المصرية أن محتوى الأغذية منه يتراوح بين ٠،٢ و٣٦٤ ميكروجراماً. وأكدت النتائج أن نسبة عنصر السيلينيوم في الخبز البلدي المصري يتفوق على سائر الأغذية الأخرى؛ إذ يحتوي الكيلوجرام الواحد منه على ٣٦٤ ميكروجرام سيلينيوم، ومن ثمّ فإن كلّ مئة جرام من هذا الخبز تغطّي ٤٧،٣٪ من الاحتياجات اليومية للشخص البالغ؛ إذ يحتاج الرجال إلى ٧٠ ميكروجراماً من السيلينيوم يومياً. أما الإناث فيحتجن إلى نحو ٥٥ ميكروجراماً يومياً.

كما أن الخبز الشامي يحتوي الكيلوجرام منه على ٢٤١ ميكروجرام سيلينيوم، والمئة جرام من هذا الخبز تغطي ٣١،٣٪ من الاحتياجات اليومية للإنسان، والكيلوجرام الواحد من الثوم يحتوي على ٢١٢ ميكروجرام سيلينيوم، والمئة جرام ثوم تغطّي ٢٧،٥٪ من الاحتياجات اليومية، والكيلوجرام الواحد من الشعير يحتوي على ١٣٥ ميكروجراماً من العنصر، والمئة جرام شعير تغطّي ١٧،٥٪ من الاحتياجات اليومية من السيلينيوم للفرد، والكيلوجرام الواحد من الفطر (عيش الغراب) به ١١٥ ميكروجرام سيلينيوم، والمئة جرام منه تغطّي ١٥٪ من الاحتياجات اليومية للفرد.

وأوضحت نتائج الدراسة اختلاف نسبة السيلينيوم في الخبز باختلاف نوع الدقيق ما بين محلّي أو مستورد، وكذلك درجة الطحن، ونسبة الاستخلاص سواء أكانت ٧٢٪ أم ٨٥٪. وتراوح نسبة هذا العنصر بين ٠،٢ و٣٦٤ ميكروجراماً في الأغذية الطازجة والمصنعة؛ مثل: بعض أنواع الخضراوات، والفاكهة، والحبوب، والبذور، ومنتجات الألبان، والبيض، والدواجن، والسمك، وعيش الغراب، وبعض أغذية الأطفال.

كما أثبتت الدراسة أن السيلينيوم يتعرّض للفقد بفعل الحرارة؛ لأن عملية الخبز تؤدّي إلى فقدان يراوح مقداره بين ٧ و٢٣٪ من السيلينيوم، والسلق يؤدي إلى فقد مقداره يراوح بين ٣٦ و٤٦٪ من السيلينيوم، بخلاف ما يفقد في عمليات الطحن؛ إذ تختلف نسبة هذا العنصر بين الخبز الأبيض الذي يحتوي على ٠،٢٥ ميكروجرام لكل جرام والخبز الأسمر الذي يحتوي على ٠،٣٣ ميكروجرام لكل جرام.

وحذّرت الدراسة في الوقت ذاته من المبالغة في تناول هذا العنصر؛ إذ ثبت أن زيادة نسبة هذا السيلينيوم اليومية تؤدي إلى ظهور رائحة الثوم في الأنف والفم، كما يحدث تغييرات في شكل الأظافر ولونها، وظهور التهابات جلدية في أنحاء مختلفة من الجسم.

تفاعلات التلهي بالشوارد

إن تفاعلات الأكسدة التي تحدث داخل جسم الإنسان كما



الألم لا يهم مادام هناك أمل في عودة الشباب

ذكرنا يتسبّب بها جزيء الأكسجين الذي يبدأ - في حضور عوامل أكسدة أخرى - بمهاجمة الجزيئات الحيوية الكبيرة المكونة للجدران الواقية للخلايا الحية، وذلك بأكسدتها عن طريق انتزاع إلكترون منفرد منها، وتحويلها إلى شوارد حرة نشيطة جداً، تبدأ بدورها في مهاجمة الخلايا الحيوية الأخرى؛ سعياً إلى ازدواج الإلكترونات المنفردة عليها، وذلك من خلال تكوين رابطة مع جدران هذه الخلايا. وبذلك يحدث نوع من التغيير في خواصّ هذه الخلايا، ثم في وظائفها الحيوية. وحينما تتكثّف هذه التفاعلات في بعض مناطق الجسم يحدث ضعف في الجهاز المناعي، وتتحول حصونه المتمثلة في جدران الخلايا الواقية إلى قوى معادية لهذا الجهاز، وتستمر في مهاجمته بضراوة. وتبدأ القوى الحيوية للعضو المموّن من هذه الخلايا بالطبع بالانهيار، خصوصاً حينما تكون هذه الخلايا غير قادرة على التجدّد، فتبدأ بالانحلال.

فيتامين (هـ) بطل الأبطال

لحسن الحظ، جسم الإنسان مزوّد بوسائل الدفاع ضد عمليات الأكسدة؛ مثل: فيتامين (هـ)، المعروف بقوته المضادة للأكسدة؛ إذ ثبت أن خلايا الدم الحمراء التي بها نقص في هذا الفيتامين تشيخ بمعدل أسرع بكثير من الخلايا الطبيعية التي لا تعاني نقصاً في هذا الفيتامين. إلا أن تناول جرعات كبيرة من فيتامين (هـ) كمضادّ للأكسدة لم يأت بنتائج عملية واضحة، وهذا الأمر دفع إلى الاستفادة ببعض سلالات الطحالب؛ مثل: الدونالييلا، والسندرمس.

الشوارد مكونات كيماوية تتولّد داخل جسم الإنسان نتيجة عملية التمثيل الغذائي، وعلى الرغم من أهمية هذه المكونات لعملية الاحتراق إلا أن زيادتها تضر بالجسم

والكلوريللا. بعد اكتشاف زيادة محتوى هذه الطحالب من المواد المضادة للأكسدة، وذلك عن طريق التحكم في ظروف التربية التي تنمو فيها، وإنتاج بعض الطفرات أيضاً. ثم دراسة تأثير مستخلصاتها كمضادات للأكسدة.

ما حكاية طحلب الدوناليلا؟

أثبتت الدراسات أن هناك من الطحالب ما يجدّد شباب الإنسان عن طريق القضاء على الأكسدة، ويعدّ مستخلص طحلب (الدوناليلا) أكبر مصدر للمركبات المضادة للأكسدة؛ مما يمكّنه من تأدية دور مهم في الحفاظ على شباب الإنسان وريعانه وحيويته.

وكشفت النتائج أن أعلى مصدر للمركبات المضادة للأكسدة يوجد في هذا الطحلب (الدوناليلا)؛ إذ وصل تركيز الكاروتينات أو فيتامين (أ) إلى أكثر من ١٣٪، والتوكوفيرول أو فيتامين (د) إلى ما يزيد على ١٪، وحامض الإسكوربيك أو فيتامين (ج) إلى ما يزيد على ٢٫٠٥٪، وأن هذه الفيتامينات الموجودة في سلالة طحلب (الدوناليلا) قادرة على تثبيط المركبات المؤكسدة، ومحاربة عملياتها التي تحدث داخل جسم الإنسان، التي تنتج منها الشوارد الحرة التي تؤدي إلى كثير من الأمراض، من أهمها: السرطان، وإنتاج الطفرات، وأكسدة الأحماض الدهنية، والكوليسترول، التي تؤدي إلى تصلّب الشرايين، والبول السكري، وهي في مجموعها تعجّل بظهور علامات الشيخوخة، وظهور الأمراض المختلفة المصاحبة لهذه المرحلة؛ مثل: الروماتويد، وآلام المفاصل، وضعف العضلات.

كما أن تأثير مستخلصات طحلب (الدوناليلا) يصل إلى تثبيط الأكسدة لمستخلص كبد حيوانات التجارب المحضر باستخدام أنظمة أكسدة كثيرة؛ إذ أظهر مستخلص هذا الطحلب أعلى نشاط مضاد للأكسدة في جميع نظم الأكسدة مقارنةً بباقي السلالات، وكذلك أعلى من مضادات الأكسدة الصناعية. وهذا الأمر يؤكد قدرة مستخلصات فيتامينات الطحالب كمواد مضادة للسرطان. وبديهي أن تأثير هذه المركبات المستخلصة من الطحالب، وعلى رأسها طحلب (الدوناليلا)، يفوق تأثير كلّ مركب على حدة من ناحية تأثيرها كمضادات للأكسدة، والحفاظ على شباب الإنسان وحيويته، وتقليل الإصابة بالأمراض المختلفة، أبرزها السرطان.

الهوامش والمراجع

١- حوار للكاتب مع د. أحمدي عبدالعزيز ياسين: أستاذ الكيمياء في كلية العلوم بجامعة القاهرة.

٢ حوار للكاتب مع د. محمود المرزباني: رئيس قسم بيولوجيا الأورام في معهد الأورام القومي بجامعة القاهرة.

٣- مجلة (عالم الكيمياء)، العدد السابع، أكتوبر عام ١٩٩٨م، ص٥٤، ٥٥.

٤- د. سينوت حليم دوس، الهرمونات بين الطب والقانون، منشأة المعارف بالإسكندرية.

٥ د. مسعد شتيوي، المخ والذاكرة، مجلة أسيوط للدراسات البيئية، العدد الخامس، يوليو عام ٢٠٠٣م.

٦- حوار للكاتب مع الدكتور محمود درويش - الباحث المصري بجامعة المنصورة - في صحيفة (الشرق الأوسط)، العدد ٨٩١٩، في ٣٠-٤-٢٠٠٣م، صفحة (علوم).

٧- حوار للكاتب مع الدكتور عمرو حسين - رئيس المعهد القومي للأغذية المصري الأسبق - في صحيفة (الشرق الأوسط)، العدد ٩٥٥٠، في ٢٠ ١ ٢٠٠٥م، صفحة (صحة).

٨- حوار للكاتب مع الدكتور محمد محمود - أستاذ التصنيع الزراعي بمعهد بحوث الصحراء التابع لوزارة الزراعة المصرية - في صحيفة (الشرق الأوسط)، العدد ٩٧٠٠، في ٩ ٦ ٢٠٠٥م، صفحة (علوم).

٩- حوار للكاتب مع الدكتور فاروق كامل في صحيفة (الشرق الأوسط)، العدد ٨٤٦٤، في ٣٠-٩-٢٠٠٥م، صفحة (صحة).

احرص يومياً على الخضراوات والفاكهة الملونة في طعامك؛ لكي تجعل خطوط دفاعاتك قوية ضد الأكسدة التي تطيح بمعالم الشباب، وتبرز ملامح الشيخوخة

قصة



وليد إبراهيم قصاب

الرياض - السعودية

خرجتُ من البيت معتكر المزاج بعد مشاجرة معها. صارت مشاجراتنا شبه دائمة، كادت تصبح جزءاً من حياتنا اليومية. وفي كلّ مرة يتّهم أحدنا الآخر بأنه هو المسؤول عن (مناكفة الدّيكة) هذه التي لا تكاد تنتهي.

هي تقول لي:

- أنت أصبحت غضوباً.. حادّ الطباع.. تغيّرت مشاعرك نحوي.. لم تعُدْ تحتمل مني هفوةً.. واقف لي وقوف الشوكة في الحلق.. وأصبحت فضولياً (كثير الغلبة). تتدخّل فيما يعنيك وما لا يعنيك..

وأنا أردّ لها الصاع صاعين، فأقول:

- بل أنت أصبحت مهملةً كسولاً.. قليلة الاهتمام بشؤون البيت والأولاد.. معظم وقتك أمام هذا الجنّي.. سارق الوقت والعمر.. هذا الجهاز الذي لا يكفّ عن الثرثرة.. وأنت تتفرجين على كلّ شيء فيه وكأنه يتحدّث عنك..

ثم أضيف لأكيدها وأغيظها:

- وها أنت ذي تذهبين في العرض.. لو نظرت إلى شكلك في المرآة لرأيت أنك لم تعودي تلك الرشيقة الخفيفة التي كانت تخطر كالغزال..

يسوؤها مني هذا الكلام كثيراً؛ فهو يمسّ أنوثتها، توشك - في كثير من الأحيان - الدموعُ أن تقفز من عينيها، وتقول مبتسمة ابتساماً حقيقياً:

- تعني يا باسم أنك لم تعُدْ تحبني مثل أيام زمان؟

تأخذني الرأفة.. أحسّ أني جرحت مشاعرها بكلام لا يؤلم المرأة مثله، فأقول مترفّقاً محاولاً إصلاح ما بدر مني:

- ما قصدتُ هذا.. ولكن قصدتُ أن أنبّهك على أمر ذي بال.. إن رشاقة المرأة كنز الجمال.. وقلة الحركة تغتال هذا الكنز.

***

تطوّرت (مناكفة الدّيكة) اليوم بيني وبينها إلى أكثر من المعتاد، وخرجت من فم كلّ منا كلمات أخشن من المألوف. شعر كلّ منا بعدها بالندم، ولكنّ كبرياءه أبت عليه أن يعتذر أو يعترف. دخلت هي إلى غرفتها غضبى باكية، وخرجت أنا من البيت حانقاً، فصفقت من خلفي الباب صفقاً عنيفاً بلغ مسامع الجيران، فأطلّت رؤوس فضولية تستطلع الخبر.

ظللت أمشي على غير هدى حتى وصلت إلى مقهى بعيد لم أتعود أن أذهب إليه إلا نادراً. قصدت طاولة منعزلة، وطلبت فنجاناً من القهوة التركية، ورحتُ أرشفها بهدوء وتلذّذ.

كانت الأفكار تشرّق بي وتغرّب. لماذا أضحت حياتي معها على هذه الشاكلة؟. كان يُضرب بنا المثل في الودّ والتفاهم. سارت حياتنا في أولها سمناً على عسل. أنجبنا بنات وبنين يفقأ كل منهم عين أيّ حسود.

منذ سنوات فقط بدأت مشاجراتنا، مشاجرات تافهة، لم تكن

ندري كيف بدأت، وما سببها على وجه التحديد؟. كان يركب العناد كلاً منا، فيتشبّث برأيه، يأبى أن يتنازل عنه. كانت زوجتي تعدّها أمراً عادياً، لاسيما أنها كانت تنقشع بسرعة مثل سحابة دخان، أو رغوة صابون، ثم نعود بسرعة كالأطفال إلى التصالح والوئام. لكنني – وأنا الذي أحمّلها كثيراً على حدّ تعبير زوجتي – أنزعج، وأتمنى لو لم تحدث. تقول زوجتي عندما نتصافح بأسرع مما يتصافح الأطفال:

– هذه أشياء عادية في حياة كل زوجين.. هذه ملح الطعام، لا بدّ منها في كل بيت.

أقول لها معترضاً:

– لا أحبّ هذا الملح.. أنا مصاب بضغط الدم.. وأنت تعرفين أن الملح يضرّني.

تضحك، وتهزّ رأسها ملاطفةً، وتقول:

– حاضر يا حبيبي.. سأحاول ألا يدخل الملح بيتنا بعد اليوم..

نضحك معاً.. ولكن لا بدّ في البيت من ملح..

***

وأنا أرتشف قهوتي، شارداً مع خواطري، حانت مني التفاتة، فوقعت عيناي على فتاة جالسة إلى إحدى الطاولات في زاوية بعيدة من المقهى، تسمرّ طرفي عندها.. أهذا معقول؟ إنعام؟!. يا سبحان الله! بعد هذا الزمن؟ كم سنة مرّت؟ خمس وعشرون؟ أجل خمس وعشرون، وربما أكثر.. كانت زميلتي في كلية الآداب، كم فتنتني واستهوتني! كم حلمتُ بها! ولكن كان كل شيء يومذاك يغلق الطرق إليها. تعذّبت طويلاً من هوى مكتوم لم يعلم به إلا الله، ولم أرَ بداً من التجلّد والمثابرة. فقصصتُ أجنحة الأحلام يوماً بعد يوم، واكتفيتُ بزمالتها، وباحترام متبادل ووقور، حتى تخرّجنا، ومضى كل منا في سبيل. ثم لم أعد أراها من يومذاك. إنعام؟ يا إلهي! ما الذي جمعنا بعد هذا الزمن الطويل؟ كنت أحدّق فيها تحديقاً طويلاً يلفت الأنظار. والتقت عيوننا أكثر من مرة، ولكنها كانت تغضّ طرفها بسرعة.. حييّةٌ إنعام.. خجولةٌ.. كالعهد بها.. ولكن إغضاءها زائد على الحدّ.. إغضاء من لم تعرفني أو تتذكرني قط.. معقول أنها لم تعرفني؟ معقول، لم لا؟ هذه خمس وعشرون سنة قد مرّت.. لا سنة، ولا اثنتان، ولا ثلاث.. وأنت قد تغيّر فيك كلّ شيء.. كانت زوجتي عندما أقول لها:

– ترهّلت.. وسمنت.. لم تعودي الغزالة الرشيقة التي عرفتها..

تقول لي على الفور:

– وأنت أيها العزيز الحبيب.. أتحسب أنك لا تزال ذلك الشاب الوسيم الرشيق الذي كنته.. أبقيت فيك يا ابن الخمسين شعرة سوداء.. إنه حكم الزمن يا زوجي.. واقع تحته أنت وأنا وكلّ أحد..



يغيظني كلامها فأقول مكابرا

- ولكنك ترهلت كثيرا بسبب قلة الحركة.

فتجيب معتصمة غيظي بهدوئها المعهود:

بل بسبب الحمل والولادة.. وأنت يا كثير الحركة.. قف أمام المرآة.. وانظر إلى حجم كرشك المستدير مثل كرة القدم.

وأنظر إلى المرآة فلا املك إلا الصمت.. وعندما تشعر اني استاءت تقول مداعبة متحببة:

- لكل سنّ جماله يا زوجي العزيز.. إنك عندي اجمل مما كنت.. أنا أحبّ كرشك ورأسك الأبيض كثلج الشتاء.

***

كيف ستعرفني إنعام إذا؟ كنت ما أزال احدّق اليها، وفي رأسي تطوف آلاف الصور. وجدتها تقوم من مكانها، وتتّجه إلى الهاتف الذي في المقهى لتجري مكالمة. مرّت من أمام طاولتي، فاستدرت أحدّق فيها بجرأة أكثر علّها تعرفني. عبرت من غير أن تعيرني ادنى التفات. عجبتُ وانا أصعّد نظراتي فيها من اعلى إلى اسفل. إنها لا تزال فتّانة جذّابة.. لا تزال غصن بان.. بل لا تزال شابة.. كأنها هي التي عرفتها من خمس وعشرين سنة.. كيف لم يُحدث الزمن فيها ما يحدثه في النساء خاصة؟ زوجتك مثلاً؟ أنت تعرف أن إنعام كانت تمارس الرياضة. كانت عضوا في فريق كرة السلة النسائي.. هذه ثمرة الرياضة اذا؟ كم نصحت زوجتك أن تمارس الرياضة لتحافظ على رشاقتها.. لو كانت زوجتك الآن مثل انعام! ولكنها اعتادت الكسل. وأسرها هذا الجفني اسارق الوقت والعمر).

تطيل التحديق إلى إنعام مُعجبا غير مصدّق. تلتقي عيناك بعينيها، ولكنها تغضّ طرفها مباشرة في كل مرة. انها لم تعرفك على وجه اليقين. وإلا لكانت هزّت رأسها لك محيّية على الأقل.. كنتما زميلين أربع سنوات.. استعارت منك المذكرات اكثر من مرة.. واستفسرت منك عن بعض الأمور اكثر من مرة.. وقرأت قوائم الناجحين قبلك أكثر من مرة.. فبشّرتك وهنأتك.

ولكن لا تنس أبدا أنك تغيّرت كثيرا.. لم تعد مثل أيام زمان.. تماما كما تقول زوجتك.

ولكن.. لماذا لم تتغيّر انعام؟

عادت انعام إلى طاولتها. وانشغلت بقراءة صحيفة كانت معها.. وانشغلت انت بالذكريات والمقارنات.. إنعام وزوجتك.

***

فجأة دخلت الى المقهى امرأة بادية الكهولة. مترهّلة. شديدة البدانة. متحجّبة حجابا محكما.. ولكنها مكشوفة الوجه.. اتجهت الى طاولة إنعام وجلست. وراحت المرأتان تتبادلان الحديث. عندما نظرت اليهما بفضول أدركت على الفور الشبه الكبير بينهما.. قامت المرأتان لتنصرفا.

حانت فجأة من المرأة البدينة الكهلة التفاتة. فوقعت عيناها عليك. وجدت وجهها يشرق بابتسامة عريضة. ثم تتجه اليك:

- استاذ باسم.. السلام عليكم.

ادركت وانت تنظر اليها الشبه الكبير بينها وبين الفتاة. أذهلتك المفاجأة.. من هذه المرأة؟ نظرت إليها متسائلا مأخوذا.. لم تحتمل حيرتك تطول. قالت لك على الفور:

- انا انعام.. لا شك أنك نسيتني.. مرّت خمس وعشرون سنة مذ كنا زميلين في الجامعة.. انا أتابع كتاباتك.. وأرى صورك في الصحف والمجلات.

ثم التفتت إلى الفتاة الشابة:

- امل.. امل.. تعالي أعرّفك إلى الأستاذ باسم الكاتب المعروف الذي حدثتك عنه اكثر من مرة.. كنا زميلين في كلية الآداب. اقتربت الفتاة حيّية خجولا.. قالت إنعام الحقيقية معرّفة:

- ابنتي أمل.. طالبة في السنة الأخيرة في كلية العلوم.. يقولون: إنها صورة طبق الأصل مني عندما كنتُ في مثل سنّها.

اخرستك المفاجأة. فما قدرت على لسانك كلمة تقولها.. سلّمت المرأتان. وانطلقتا خارجتين.. قمت تجرّ قدميك الى المنزل. وانت تحسّ أنك أكثر رضا من زوجتك.



بعض من ملامح الوطن

صبحه بغورة

بومرداس - الجزائر

أسمع صخباً في حنايا القرى

غضباً في سفوح المدن

ما الذي أوقد الشمس..

غير جراحات هذا الوطن؟

ما الذي مزّق الليل والغيمة المقفرة

غير عشق النسور

لتلك الذرى؟

أسمع صخباً عاليا

يتدحرج سيله في الحنجرة

أيها الملك الحق

للشمس.. للقمح.. للأرض

أعرف الآن وجهك

حينما تبرق رعدته الزاحفة

أعرف حمم العاصفة

أعرف كيف تقيم السماوات

تقعدها ممطرة

كيف تلهو الحجارات

بالدمية الحائرة

أسمع همهمة الأرض

للمرة الألف

أسمع دمدمة المقبرة

انظروا كيف تخترق الأفق..؟

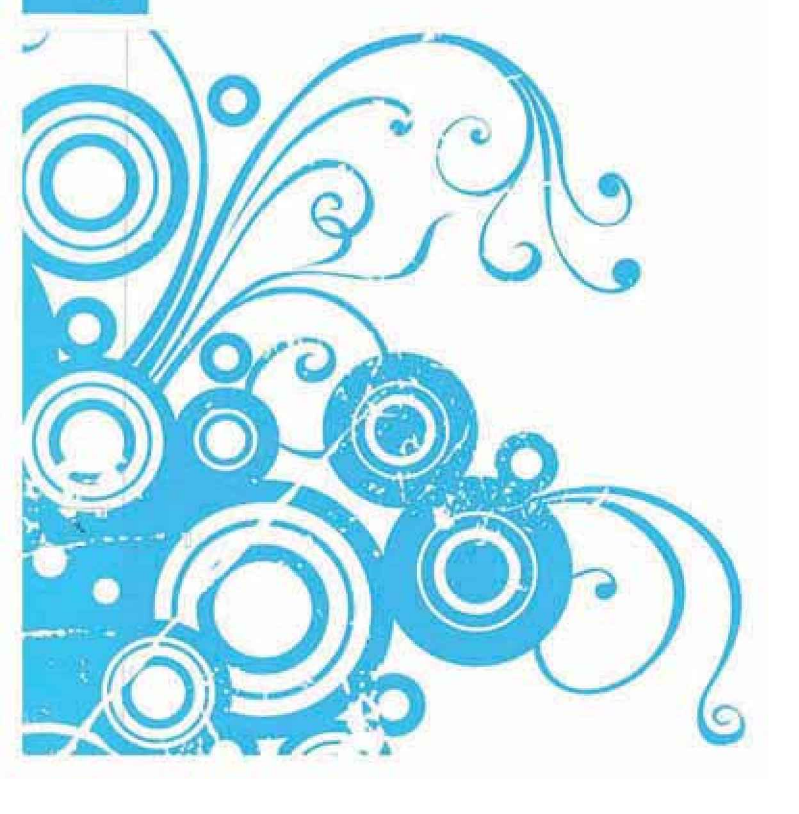
قامات هذي الصبايا

كيف تمسك أيدي الصبايا

عناقيد هذا الزمن

كيف يرتسم الرفض

أغنيةً للوطن



بدرويش توفي ألف شاعر

كمال طيب الأسماء

تورنتو - كندا

قالوا [illegible]

لعمرك ما الرزية فقدُ مالٍ ... ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حرٍّ ... يموت لموته بشر كثير

أنت يا درويش أصلب المهاجر

بين [illegible] الثورة الحمراء

والإنسان

والأرض السليبة

وسماء وأحزان يسجنون [illegible]

***

وطالت العمر تُهدي إصابات الشعر تترى

لأجل الوطن المجروح تعدو وتسافر

في أتون القصيد المجنون

تشدو وتغني بعض حين

ثم حيناً تتباكى

ثم حيناً تتجاسرْ

بسيوف الشعر حطّمتَ المعابرْ

واخترقتَ السور حقاً وحقيقةْ

شاعر الخلود

مساء وحواجز

وجعلت الراية الخضراء تعلو

وهتفت

فوق لهيب الحناجر

***

هاتفت الأعداء سحرا

هادنت الأعداء جهرا

هاتفت الأعداء قهرا

وصداك صوتك هادر

***

في تراب الأرض يوما لم تسامح

في تراب الأرض يوما لم تصالح

وسكبتَ الشعر من حرفٍ ودمْ

فوق ساحات المذابح

كنت بالحرف سياطاً من جحيم

غيّرت كل الملامحْ

وأغاظت كل جائر

***

قصيدة



أنت يا درويش أدمنت الكتابةْ
في عيون الوطن المجروح
في يافا وحَيْفا والخليل
كنت مثل الشبح المارد في وجه العصابةْ
لم تكن تأبه يوماً لأساطين الرقابةْ
أنت أفهمت شعوب الأرض غصبا
أن للشعر مهابةْ
قلتَ للعالم زهوا
إن للحرف صلابةْ
***
قلبك المملوء حباً وحنيناً ومآثر
خلّد الأرض إباءً وانتفاضاً ومجازر
***
ثم أوهى عزْمَهُ الجبّارَ داءٌ
والطبيب الفذّ حائر
قالها والناس تأسو
قلب درويش يموت

غير أني جدُّ حائر
أهو قلب مثل قلب الناس لحم؟
إنني ألفيتُ ناراً وسهاماً وشظايا وخناجر
وحجارةْ
إنني ألفيتُ شعراً ويراعاً ودروعاً
ومنابر
كلها في قلب درويش تجيش
وهي مازالت تثور
بشّروهم
بشّروا الأرض التراب
بشّروا أحضان يافا
بشّروا القدس وحيفا والخليل
بشّروا تلك المعابر
بشّروا هذي المقابر
فبدرويش توفي ألف ثائر
وبدرويش توفي ألف شاعر



تربية

التربية

في العالم العربي بين الإحباط والأمل

سالم بن مستهيل شماس

صلالة - عمان

تشكل ثقافة المجتمع ضغطا على الأفراد في تقمّص أدوار أو فعل أمور هي في حسّهم حسنة، كما تكرههم أو تضطرهم إلى فعل أمور أو القيام بأدوار هي في نظر العقل الجمعي خطأ. ومثل هذه المعاني والتجريدات النظرية بحاجة إلى وقفة تأمل، خصوصا عندما يصبح هذا الخطأ معوقا للتنمية أو العمل الجاد. ولأن التعليم نسق ثقافي فعليه يقع تأصيل الذاتية الثقافية للمجتمع، ومن ثم يضمن المجتمع استمرار وجوده، وتواصل أجياله.

ويتطلب تأصيل الذاتية الثقافية انتفاء التبعية الثقافية، وانتفاء الانبهار الثقافي الذي يدفع إلى المحاكاة والتقليد، ويعني في الوقت نفسه ألا ننغلق على ثقافتنا دون التعامل مع الثقافات الأخرى، وأن يركّز النظام التعليمي خلال مراحله المختلفة ومناهجه المتنوعة في ثقافة الأمل، بدلاً من التركيز في ثقافة الإحباط التي تفتتن بالماضي وتديم النظر إليه، وتتجاهل ما سواه، أو تفتتن بالمتغيرات الثقافية في المجتمع وفقاً للتحديات التي يفرضها التطور العلمي والتكنولوجي[١].

وبعد عشرات السنين من خطط التنمية، وممارسات الإصلاح التربوي، أصبحنا نجد أنفسنا كعالم عربي يزداد تخلّفاً عن إيقاع الحياة ومتغيراتها من حولنا. ولا ريب أن ذلك يرجع إلى إبعاد التنمية الثقافية من بناء الإنسان في مراحل تعليمه الأساسي؛ مما ترتب عليه تدهور الوضع الثقافي، وتنامي قيم التقليد الأعمى لكلّ ما هو أجنبي، وسادت عادات الارتجال والخفة واللامبالاة في مواجهة أمور الحياة ومتطلباتها الآنية والمستقبلية[٢].

وقد أثّرت نوعية التعليم القائم على التلقين والعقاب في العالم العربي في الفرد كاستثمار، وفي المجتمع كمستفيد من هذا الاستثمار، وبدا ذلك واضحاً في انخفاض المردود من العملية التعليمية، وضعف تغذية العقل، وضآلة إطلاق العنان للخيال، وقمع روح الفكر النقدي. معنى ذلك أن ثقافة الإحباط التي تلازمت مع نظامنا التعليمي في العالم العربي عجزت عن إيجاد مواطن يتمتع بروح المغامرة، ومبادرة التجريب والتساؤل، والقدرة على التفاعل الخلاّق.

مفهوم الثقافة وخصائصها

جاءت كلمة ثقافة في معجمات اللغة العربية تحت معانٍ متعددة، وهي مأخوذة من الفعل (ثقف)، ومن هذه المعاني ما يأتي:

- الحذق والفطنة: فيقال: ثَقُفَ الرجلُ؛ أي: أصبح حذقاً وفطناً.
- سرعة أخذ العلم وفهمه: فيقال: ثَقِفَ الطالبُ العلمَ؛ أي: فهمه بسرعة.
- التهذيب والتأديب: فيقال: ثَقَّفَ المعلمُ الطالبَ؛ أي: هذّبه وأدّبه.
- تقويم المعوجّ من الأشياء: فيقال: ثقف الصانع الرمح؛ أي: سوّى اعوجاجه[٣].
- إدراك الشيء أو الحصول عليه: قال تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ

ثقفتموهم﴾ (البقرة: ١٩١، والنساء: ٩١): أي أن ثقف في الآية الكريمة تدلّ على الأسر والظفر: بمعنى أنكم - أي: المسلمين - تأسرون وتغلبون العدو، بل تقدرون عليه.

وقد استعلمت الثقافة في بعض الأحيان للدلالة على العلوم الإنسانية التي تخصّ أمةً من الأمم: كعلوم الدين، واللغة، والآداب التي تميّز اتجاهها، وتعكس فلسفتها[٤]. واستخدمت الكلمة نفسها في أحيان أخرى للدلالة على الفنون غير العملية، وغير الطبيعية[٥]، وفي أحيان ثالثة أصبحت الثقافة تدلّ على الآداب والفنون[٦]. وجاءت الثقافة في أدبيات علم الاجتماع لتعبّر عن طريقة الحياة الكلية للمجتمع بجوانبها الفكرية والمادية[٧]. وعلى هذا، فإن الثقافة تختلف من مجتمع إلى آخر، ويحاول كلّ مجتمع أن يستخدم ثقافته ليحافظ على كيانه، ويضمن لنفسه الاستقرار والتقدّم.

وتتحدّد خصائص الثقافة في كونها قابلةً للانتقال عبر الأجيال المتلاحقة، وتوفّر نوعاً من التوافق والوحدة والانسجام في الأفكار والمشاعر بين الأفراد، كما أنها تنمو باستمرار، وتتغيّر على الدوام، إضافةً إلى كونها تمثّل تراثاً اجتماعياً؛ لأنها تكتسب من البيئة[٨].

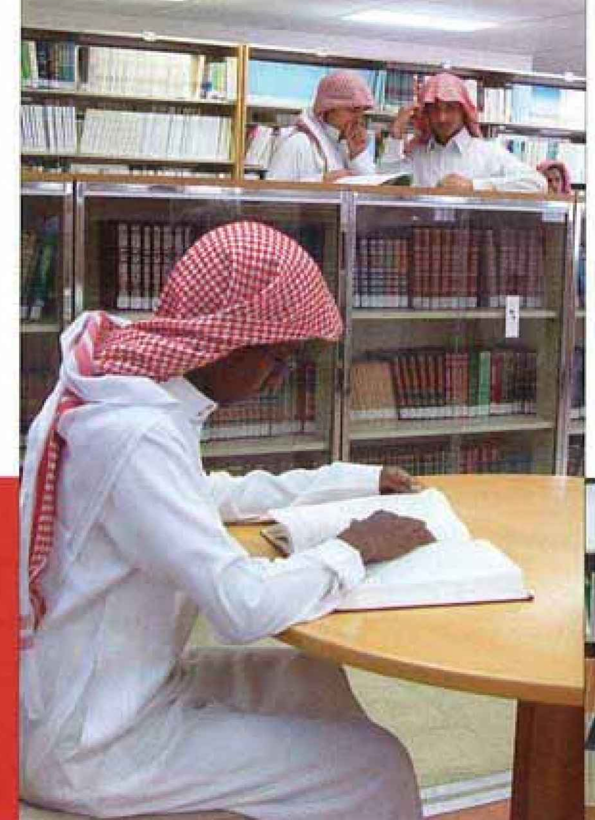
ومن المؤسف أن التاريخ لا يعيد نفسه إلا في بلادنا العربية؛ فهو في كلّ الدنيا نهر متدفّق، وعندنا بحيرة راكدة متداخلة الدائرة، وها نحن نعاود اكتشاف أن السبب في فشل كل خطط التنمية الوطنية هو أيضاً تخلّف العملية التعليمية والتربوية على الرغم من توافر الكوادر والإمكانات والنوايا المخلصة. وبطبيعة الحال، يرجع ذلك إلى قصور المناهج، واعتمادها على التلقين، وبُعدها من المضمون الفكري والثقافي: أي: تركيزها في ثقافة الإحباط، وإهمالها ثقافة الأمل.

مكوّنات الثقافة وعناصرها

تتكوّن الثقافة من المكوّن البشري، الذي يتعلّق بكل ما له صلة بالإنسان: لأنه صانع الثقافة، ويشمل: طبيعة الأفراد، ودرجة تحضّر المجتمع، واللغة السائدة فيه، والدين، وغيرها. أما المكوّن المادي، فيتعلّق بالأدوات، والمسكن، والملبس، ووسائل الاتصال، وغيرها من مقتضيات استمرار المجتمع وتقدّمه[٩].

أما عناصر الثقافة، فتشمل العموميات، والخصوصيات، والبدائل: فالأولى تعني اشتراك معظم أبناء المجتمع فيها، ومن ثَمّ فهي أكثر انتشاراً واستمراراً، ومن خلالها يتوحّد النمط الثقافي

لا وجود للثقافة من دون التربية





> **إذا كانت الثقافة هي مصدر التغيير والإبداع والحرية، والعملية التربوية هي المنطلق لتحقيق عملية التغيير وبناء المجتمع، فإننا في حاجة ماسة إلى نظام تربوي وتعليمي متميز**

للمجتمع، وتتقارب طرائق تفكير الأفراد، إضافةً إلى أنها تؤدي إلى التماسك الاجتماعي الذي يضمن بقاء المجتمع واستمراره.

أما الثانية (الخصوصيات)، ففيها يشترك جزء من المجتمع دون غيره، أو مجموعة منه دون غيرها، وهذا يعني أنها تتمثّل في مجموعة الأنماط السلوكية، والعادات والتقاليد التي تتصل بجماعة معينة في المجتمع. وتتمثّل الثالثة (البدائل) في الأنماط السلوكية التي يشترك فيها عدد قليل من الأفراد، وعادةً تنتج من الاحتكاك مع ثقافة أخرى، وهي دائماً متغيّرة ومتجدّدة، ومن ثَمّ فهي تظلّ في حالة تجريب حتى تحظى بالقبول من المجتمع[١٠].

وعلى أي حال، فإن الحديث عن الثقافة يجعلنا نقف مع واقعنا، وننظر إلى مستقبلنا، خصوصاً أننا على عتبة عصر جديد لا مكان فيه للضعفاء أو المحبطين؛ لأن الضعفاء سوف تسحقهم أقدام العمالقة الذين يسوسون العالم اليوم، أما المحبطون فسوف تسخرهم الكتل الكبرى لتحقيق مصالحها.

هذا إضافةً إلى أن العصر الذي نعيشه الآن تحتدم فيه المواجهة الثقافية بين الغرب الأوربي والأمريكي والشرق العربي والإسلامي، الذي بدأ يصحو من كبوته، ويبحث عن ذاته، يملؤه اعتزازه المتنامي بانتمائه إلى ثقافته الذاتية، وتوْقه العميق نحو استعادة دوره الحضاري، وصياغة مستقبله بنفسه.

وفي ضوء كلّ ما سبق، فإنه أصبح على العاملين في حقول الثقافة أن يهتموا بإعداد الإنسان العربي، وبناء ثقافته، وتفجير طاقاته الإبداعية، وإعداده لمواجهة تحديات المستقبل، ومن ثَمّ يستطيع أن يسهم في هندسة هذا المستقبل. وحتى نستثبت هذا الإنسان فعلينا أن نربّيه على ثقافة الأمل، التي تحمل في طيّاتها حبّ قيم البذل والعطاء والانتماء.

> **إن كانت هناك مؤامرة على الأمة العربية فإن ثقافة الإحباط هي المؤامرة الحقيقية؛ إذ يمنع انتشارها الأمة من استيعاب ما يجري حولها، ويمنعها أيضاً من التفكير في المستجدات**

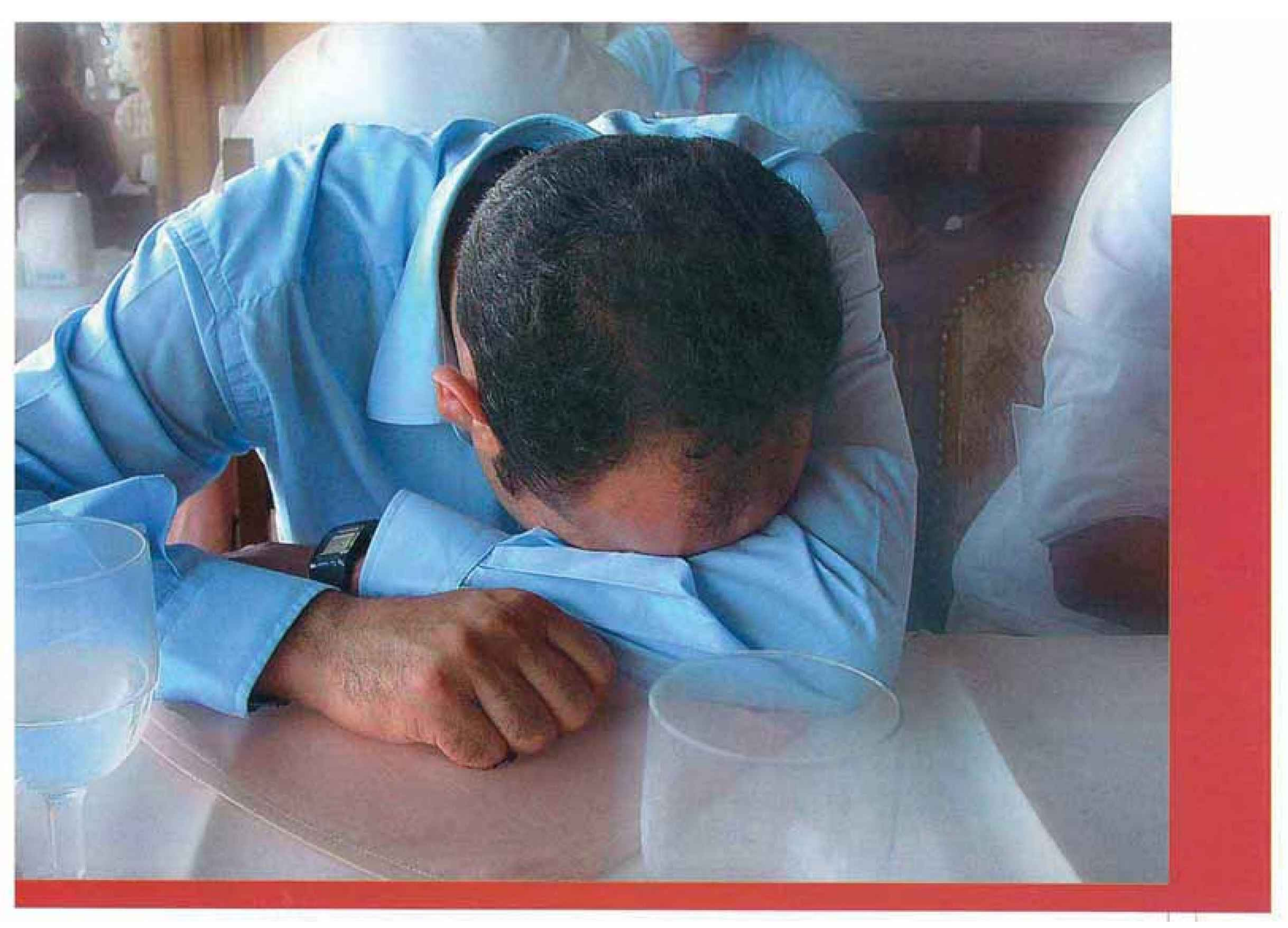
أطر العلاقة بين التربية والثقافة

تعدّ التربية وسيلةً من وسائل نشر الثقافة وتعزيزها وبقائها، وتتفاعل مع ثقافة المجتمع كي تطبع الإنسان بطابع جماعته، وتصقله بقالب ثقافته. وإذا كانت التربية هي الأساس الذي يقوم عليه استمرار الثقافة، وانتقالها عبر الأجيال المتلاحقة، فإن أطر العلاقة بين التربية والثقافة هي:

- تعدّ التربية الوعاء الذي يحتوي على المضمون الثقافي للمجتمع.
- تقوم التربية بعامل النوعية في المجتمع بناءً على ما لدى المجتمع من تراث ثقافي.
- تساعد التربية على التغيير الثقافي بإضافة مخترعات حضارية جديدة.
- تعدّ العملية التربوية أحد العناصر الثقافية، أو هي ذلك الجزء المصقول من ثقافة شعب معيّن.
- تعدّ المؤسسة التربوية عاملاً من عوامل التثقيف الرسمية لنقل التراث الثقافي، وتعزيز جوانبه[١١].

وعلى هذا، فإن التربية هي الوسيلة الأساسية التي تحقق بها الثقافة وظائفها، المتمثلة في المحافظة على التراث الثقافي، وتعزيزه أو تجديده؛ لأنه من خلال المحافظة يتحقق الاستقرار الثقافي، وتثبت الثقافة أصالتها، وبالتجديد يتحقق للثقافة استمرارها؛ أي: قدرتها على مواجهة الظروف المتغيّرة والاستجابة لها، ومن ثَمّ قدرتها على أن تجدّد نفسها بنفسها، فيكتب لها البقاء.

وتحافظ التربية على الثقافة عن طريق تأكيد عناصرها في نفوس أبناء المجتمع، وتنمية النظرة النقدية تجاهها. وقد قامت التربية بدور التثقيف منذ أقدم العصور عن طريق المشاركة والتقليد، إلا أن تضخم الثقافة التدريجي في الحجم والاتساع والعمق، وعدم إمكانية نقله إلى الأبناء، إضافةً إلى انشغال الأبوين: كلّ ذلك أوجب الحاجة إلى طائفة متخصّصة في تنظيم التراث



الإحباط سمة الشعوب الضعيفة

الثقافي ونقله إلى الأجيال الناشئة. فأصبح المعلمون هم المندوبين الوكلاء عن المجتمع في تعليم الأجيال الناشئة التراث الثقافي[١٢]. وإذا كانت الثقافة بالنسبة إلى الفرد مرادفة لشخصيته، وبالنسبة إلى المجتمع مرادفة للشخصية القومية. فمعنى ذلك أنه لا وجود للثقافة من دون التربية. ومن خلال التربية يتشرّب الفرد ثقافة مجتمعه؛ فالتربية هي وسيلة المجتمع لتحقيق فردية المواطن وجماعيته؛ فهي تعمل على تنمية قدرات الفرد. وإكسابه مهارات عامة، وتهذيب ميوله. وصقل فطرته للعيش والتكيّف مع البيئة المحيطة.

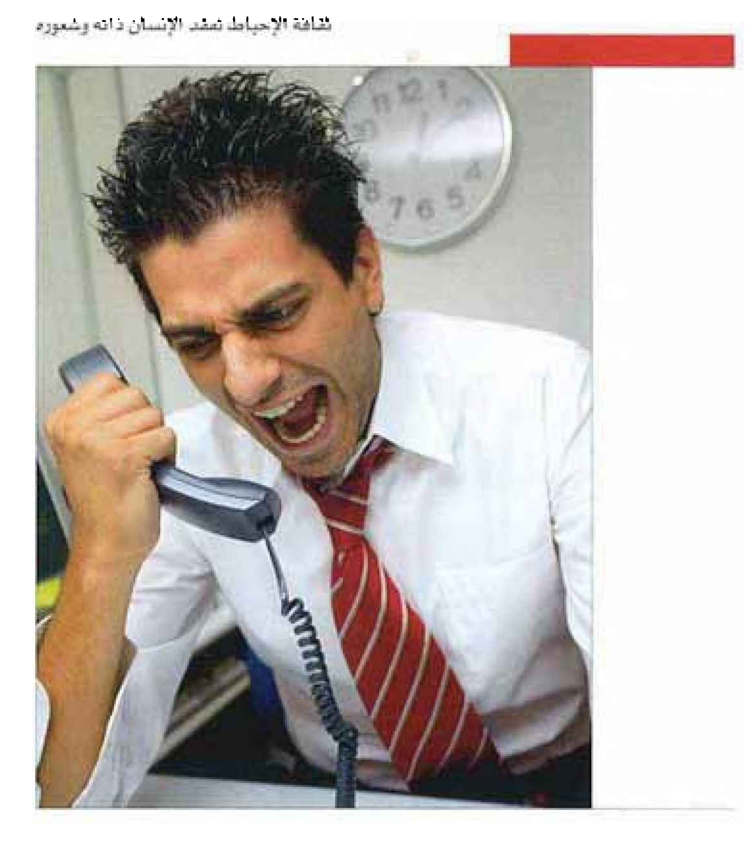
وإذا كانت الثقافة هي مصدر التغيير والإبداع والحرية. والعملية التربوية هي المنطلق لتحقيق عملية التغيير، وبناء المجتمع، وصياغة الإنسان؛ أي أن كلاً منهما يكمل الآخر؛ لذا فإننا في حاجة ماسة إلى نظام تربوي وتعليمي متميّز يستطيع مواجهة الآثار المترتبة في عالمنا العربي من جرّاء ثقافة الإحباط. ولعل الطريق إلى ذلك يكمن في الحفاظ على شخصية الأمة ومكانتها، وتعزيز الهوية، وغرس القيم الإسلامية.

ملامح الثقافة في المجتمع الدولي

على الرغم من التقدم العلمي، وتوفير وسائل الاتصال، والتأثير المتبادل بين الدول والشعوب، الذي حقق تقارباً بين بني الإنسان في كل مكان، إلا أنه مازال الاختلاف قائماً في الشخصية الفردية والقومية بين المجتمعات؛ فتقوم الثقافة الغربية على المنافسة والصراع من أجل الكسب والربح والحياة الأفضل، وإذكاء الروح الفردية، وتنمية الشخصية المستقلة. بينما تقوم الثقافة في بلاد الشرق الشيوعي على سيطرة الدولة واحتكارها، والتعاون في سبيل دعم الجماعة، وتذويب الروح الفردية، وسيطرة

الجماعة على الأفراد. في حين تقوم الثقافة في العالم العربي على التخبّط بين القديم والحديث، والشرق والغرب، والتقدّم والتخلّف، والفوضى والنظام. ولا شك أن هذه الثقافة وليدة ظروف التطور التي مرّت بها بلدان العالم العربي وفرضت عليها أن تعيش اليوم في القرن الحادي والعشرين بروح القرون السابقة: بسبب ما فُرض عليها من تخلّف في عصر التوسّع الاستعماري، فلما تحرّرت منه أرادت أن تنهض، ولكن من دون إقامة توازن بين آمالها وطموحاتها من جانب، وإمكاناتها وواقعها من جانب آخر[illegible].

وهنا جاءت ثقافة الإحباط، التي غذّتها التربية، حيث المعاهد القديمة والحديثة معاً، وحيث طرائق التدريس العتيقة مع العصرية، والتربية القومية جنباً إلى جنب مع التربية الأجنبية المستوردة: مما ترتّب عليه وجود صراع داخل كلّ فرد بين القديم والحديث، وصراع آخر بين ثقافة الفرد الأصيلة التي تشرّبها منذ



ثقافة الإحباط تفقد الإنسان ذاته وشعوره

صغره والثقافة الوافدة التي تفرض نفسها عليه من خلال التقدم العلمي والتكنولوجي ووسائل الإعلام المختلفة.

وفي الوقت الحاضر ربما تكون العولمة مقلقةً بعض الشيء؛ لأنها تتضمن جوانب سلبية، خصوصاً فيما يتعلق بزيادة فقر الفقراء، وزيادة البطالة بين العمال، وزيادة تلوث البيئة، وانفراد أمريكا بالشأن العالمي، وزيادة نفوذ المؤسسات الاقتصادية والتجارية والمالية الدولية وسيطرتها، وتهميش دور الدولة الوطنية، وطمس الهوية، وإلغاء الخصوصية الثقافية[illegible].

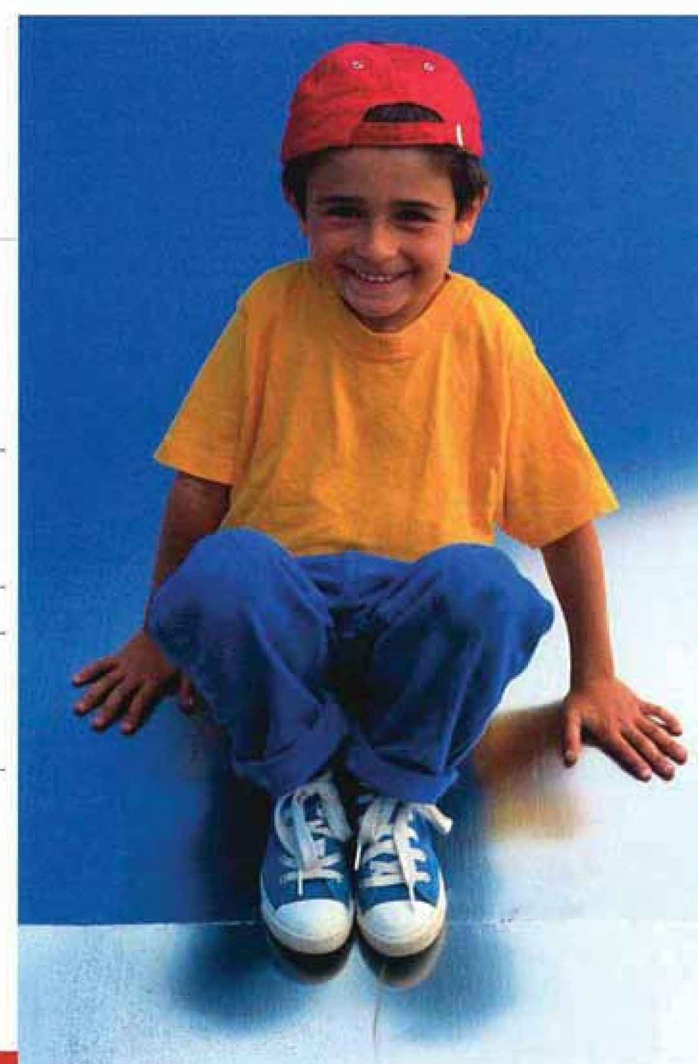
وترتّب على كلّ ذلك انتشار ثقافة الإحباط. وإن كانت هناك مؤامرة على الأمة العربية فإن ثقافة الإحباط هي المؤامرة الحقيقية: إذ يمنع انتشارها الأمة من استيعاب ما يجري حولها، ويمنعها أيضاً من التفكير في المستجدات العالمية. إضافةً إلى أن انتشار مثل هذه الثقافة - ثقافة الإحباط - يحدّ من فهم المعطيات المعاصرة، وفهم اتجاهاتها، بل يعيق تقدّم الأمة، ويعطّلها عن تحقيق مشروعها الحضاري الذي طال انتظاره.

ولعل أهم الأسباب التي أدّت إلى انتشار ثقافة الإحباط في عالمنا العربي تتمثّل في:

- الانسلاخ عن الهوية: بمعنى التنكّر للأصول والمقومات الحضارية التي تتبنى عليها الأمة العربية.
- التبعية العمياء للغرب: وتعني استيراد ثقافة جاهزة من الغرب، ومحاولة استنباتها في بيئة تختلف عن بيئة الغرب.
- الانسلاخ من الأخلاق: ويعني نبذ القيم، ونشر ثقافة المجون والفجور.
- القدوة السيئة: وتعني اتخاذ شبابنا نماذج غربية قدوةً لهم.
- محاربة الإسلام وأهله: وتتمثّل في الطعن والتشكيك والتحريف في مقومات الحضارة الإسلامية.
- الاستبداد والتسلّط: ويعني التشدّق بالحرية واحترام حقوق الإنسان، وإهمال ممارستها[illegible].

مفهوم ثقافة الإحباط وخصائصها وانعكاساتها

هناك من يرى أن ثقافة الإحباط تعني «فقدان الإنسان لذاته وشعوره بالعزلة بالرغم من وجود وسائل وأساليب الرفاهية»[illegible]. وينظر إليها آخر على أنها تعني «فقدان الإنسان للمسؤولية



الاجتماعية، وضعف الولاء، وقلة الانتماء، في وجود الاختراق الثقافي، وتهميش الضعفاء»[17]. وثالث يرى أنها «التقليد الأعمى الذي يسدّ منافذ التفكير، ويجعل المرء مجرّد تابع لغيره، لا يستطيع أن يبني رأيه بناءً صحيحاً، ومن ثَمّ يمكن أن يقتنع بالشيء ونقيضه في آن واحد»[18].

وفي ضوء المفاهيم السابقة لثقافة الإحباط يمكن أن نصل إلى كونها: **الاكتفاء بالنظر إلى ظواهر الأمور المجردة، والتعلّق بقشورها القريبة، من دون النفاذ إلى أعماقها، أو النظر إلى أبعادها ومقاصدها؛ مما يؤدي إلى الاغترار بالشكل على حساب المضمون.**

وتتمثّل خصائص ثقافة الإحباط في:

- **الجهل، وقلة البضاعة: فكم جرّ الجهل على أصحابه من المهالك والمفاسد. والجهل درجات، بعضها أسوأ من بعض. وكلما ازداد المرء جهلاً ازداد تهالكاً وانحرافاً، ولم يقدر على** إدراك حقائق الأشياء ومقاصدها، ولم يستطع قراءة الواقع، واستشراف المستقبل.
- الرتابة في التفكير ورؤية المسائل، والاعتماد على المألوف المعتاد، الذي يجعل الإنسان أسيراً في بيت مغلق لا يقوى على الإبداع أو التجديد.
- النظرة الجزئية الضيقة للأمور التي تشوّه الحقيقة.
- الخلط في تقدير المصالح والمفاسد، والجهل في ترتيب الأولويات، والتعلّق بالمصلحة العاجلة، وتقديم المصالح المفضولة على حساب المصالح الفاضلة.
- تجويف المجتمع من المعنى والالتزام، فأصبح يدير علاقاته عن طريق النظم والقوانين والعقوبات، وكلها تتّسم بالقصور الذاتي، وتشمل مساحات واسعة للاستغلال والتفسير الخاطئ، ومن ثَمّ جاءت البطولات خارج القانون، وبعدت من

التربية وسيلة لنشر ثقافة التفاؤل



أصبح على العاملين في حقول الثقافة أن يهتموا بإعداد الإنسان العربي، وبناء ثقافته، وتفجير طاقاته الإبداعية، وإعداده لمواجهة تحديات المستقبل

فلسفة الحق والخير والمنطق والجمال.

- الشعور بالشلل الإرادي: إذ انتقلت السيطرة من الإنسان إلى الأشياء؛ مما ترتّب عليه ضعف إحساس البشر بالهدف الأسمى[19].
- اندماج البشر في حضارة لم يدخلوها إلا من باب الاستهلاك. فاستهلكتهم، وجعلت منهم مخلوقات عجيبة، تفخر بالتبعية، وتفرح بانتصارات لم تخُضْ معاركها.
- وجود فراغات في الحياة الاجتماعية من جرّاء النظم والقوانين جعلت الناس يملكون حسن المحافظة على المكاسب، ويملؤون الفراغات القانونية والعرفية بالقهر والتهديد والعنف[20].

وتنعكس ثقافة الإحباط على المجتمع العربي المعاصر سلبياً، والدليل على ذلك هو:

- على الرغم من تعدّد الجمعيات الثقافية والمنظمات النقابية إلا أن علاقاتها تتميّز بالتوتر والصراع والتطاحن من أجل تحقيق مكاسب مادية ومعنوية واجتماعية.
- تبنّي المذاهب الغربية المادية انعكس بشكل سلبي على الشباب؛ مما جعلهم يعيشون في تيه فكري، وفراغ روحي، وانحراف سلوكي وخلقي.
- تمكين العلمانية من الثقافة العربية جعلها مهدّدةً في عقر دارها بالتشويه أو التغيير[21].

أساليب التربية في مواجهة ثقافة الإحباط

يحتاج الإنسان العربي إلى تربية قادرة على تنمية قدراته وطاقاته؛ حتى يستطيع مواجهة تحديات ثقافة الإحباط، ولعل ذلك يتأتى من خلال الاهتمام بالأساليب الآتية:

- أسلوب البناء: ويعني أن تعمل التربية على بناء الثقافة الذاتية للإنسان العربي، وتعميق خط الأصالة الحضارية في وجدانه وشخصيته من الداخل في وجه الثقافات الوافدة.
- أسلوب الإحياء: ويعني إحياء التراث العربي الإسلامي، الذي يحمل أصولنا الثقافية، وملامحنا الحضارية المميزة، والإحياء الذي نريده هنا هو إحياء يجعل الماضي دافعاً وحافزاً إلى مواجهة الحاضر وصناعة المستقبل.
- أسلوب التوازي: ويعني تحويل التراث إلى شحنة محرّكة تدفع الإنسان العربي نحو مستقبله بعلم ووعي وعزم؛ حتى يعيد إلى أمته سيرتها الحضارية الأولى. وهذا الأمر يفرض عليه البعد من التعصب والانغلاق، والأخذ بالطريقة العلمية التي تساعده على التوازي مع المعاصرة.
- أسلوب الانتقاء: ويعني تعميق العموميات الثقافية في نفس الإنسان العربي، وتنحية الخصوصيات الثقافية السالبة، واختيار الأبدال الثقافية المنسجمة مع أصولنا الثقافية، والحذر من التعامل مع الأبدال الثقافية الوافدة التي لم نحدد موقفنا الثقافي منها، أو التي لم نتّفق بشأنها بعد؛ حتى لا تشوّش الثقافة الذاتية للإنسان العربي، وتزجّ به في أجواء الضياع الثقافي الذي مازال يشكّل السمة البارزة للحياة المعاصرة.
- أسلوب التكامل: ويعني تنمية روح الفريق، وتعزيز قيم التعاون والمحبة والتسامح بين البشر في العالم العربي؛ حتى يستطيع مواجهة الأخطار التي تعترضه.
- أسلوب الدفاع: ويعني ضبط مواد الاتصال المستوردة، والدقة في الاختيار والتعبير، وغرس التوعية في نفوس أولادنا تجاه بعض أنواع الاتصال الأجنبي.
- أسلوب الارتقاء: ويعني السعي نحو إيجاد صيغة جديدة يتعاون من خلالها البيت والمدرسة ووسائل الاتصال من أجل الارتقاء بثقافة الإنسان العربي.

مفهوم ثقافة الأمل وخصائصها

ما أروع الأمل، وما أجمله من فلسفة، فإذا ساد بين أفراد المجتمع خيّمت عليه السكينة، وانتشرت الألفة والمحبة بين جنباته، وبه يصبح المجتمع كالبستان المثمر، ينعم في ظلّه بالأمن والسكينة،

إننا بحاجة إلى ترميم ثقافة الإنسان العربي، وحمايتها من التشويه والتناقض، وتركيزها في الآمال والطموحات، بدلا من تركيزها في التقليد والإحباط



ويظهر فيه الاهتمام بالعمل الجاد، وعلى هذا، فإن ثقافة الأمل تعني تشجيع الإنسان العربي على الثقة بنفسه، والثقة بأمته وحضارته، وحثه على الإبداع والعطاء والكشف والابتكار من خلال إحياء التراث العلمي العربي بطريقة هندسة الأفكار التي تستوعب العصر الجديد[**].

وتتمثّل خصائص ثقافة الأمل في كونها:

- ثقافة تنموية: أي أنها تركّز في مجموعة الأفكار والقيم والاتجاهات والسلوكيات التي يجب أن يتعلّمها الإنسان العربي حتى يصبح أكثر وعياً وإدراكاً لمشكلات مجتمعه، وأقدر على تجاوز هذه المشكلات، وإيجاد الحلول الإبداعية لمواجهتها.
- ثقافة عملية: أي أنها تركّز في غرس حبّ العمل في نفوس كلّ البشر، وكيفية استغلال الوقت واستثمار الفرص، وتبصير الفرد بدوره الاجتماعي، وإقناعه بأهمية التعاون مع الآخرين من أجل تقديم منافع للمجتمع.
- ثقافة مهنية: أي أنها تركّز في تنمية احترام الإنسان أصحاب المهن المختلفة: مثل: العامل، والفلاح، وإكبار دورهما في حياة المجتمع، ولا بد من الاحتكاك بهؤلاء الجنود المجهولين الذين يبنون المجتمع.
- ثقافة مهارية: أي أنها تركّز في تعليم الإنسان العربي مهارات عملية مختلفة تشعره بقيمة العمل ومتعته، وتشجّعه على هذه المهارات من خلال عمل المعارض أو المسابقات، وهنا دعوة إلى إحياء الصناعات الشعبية التقليدية التي تشكّل إحدى ثرواتنا الوطنية.
- ثقافة تحريضية: أي أنها تحرّض الإنسان العربي على الإنتاج والإبداع: حتى تستطيع الأمة مواجهة تحديات المستقبل، ومضاعفة الجهود، خصوصاً أننا مضطرّون إلى إعادة النظر في قائمة الأبطال الذين يصنعون مجد البلاد.
- ثقافة وقائية: أي أنها تسعى نحو تحديد ملامح الخطر، ووضع

ثقافة الإحباط هي الاكتفاء بالنظر إلى ظواهر الأمور المجردة، والتعلق بقشورها الغريبة، من دون النفاذ إلى أعماقها، أو النظر إلى أبعادها ومقاصدها

أهمية الثقافة للفرد والمجتمع

تُوجد علاقة عضوية دينامية بين الفرد والثقافة؛ لأن الثقافة من صُنع الأفراد؛ فهي توجد في عقولهم، وتظهر صريحةً في سلوكهم خلال قيامهم بالأنشطة المختلفة في مجالات الحياة. وعلى هذا، فإن أهمية الثقافة للفرد والمجتمع هي:

- تكسب الثقافة أفراد المجتمع شعوراً بالوحدة، وتهيّئ لهم سبل العيش والعمل دون إعاقة أو اضطراب.
- تمدّ الثقافة الأفراد بمجموعة من الأنماط السلوكية فيما يتعلق بإشباع حاجاتهم البيولوجية.
- تعطي الثقافة الأفراد مجموعةً من القوانين والأنظمة التي تتيح لهم سبل التعاون، والتكيف مع المواقف الحياتية، وتيسّر سبل التفاعل الاجتماعي.
- تقدّم الثقافة الحلول المناسبة للمشكلات التي تواجه الفرد في حياته، ومن ثَمّ فهي توفّر عليه الجهد والوقت في البحث عن هذه الحلول.
- تقدّم الثقافة المعاني والمعايير التي يميّز بها الأفراد بين الأشياء والأحداث، إضافةً إلى أنها تحدّد عاداتهم وتقاليدهم، وتنمي لديهم الشعور بالانتماء إلى المجتمع*.

* عبدالله الرشدان، نعيم جعنيني، المدخل إلى التربية والتعليم، دار الفرقان، عمان، عام ١٩٩٩م، ص٢٠٦-٢٠٨.

تعدّ التربية وسيلة من وسائل نشر الثقافة وتعزيزها وبقائها، وتتفاعل مع ثقافة المجتمع كي تطبع الإنسان بطابع جماعته، وتصقله بقالب ثقافته

الأبدال الوقائية له، خصوصاً أننا بصدد حرب الاتصال وصراع الثقافة، وهي أشدّ خطراً من حرب المدافع، وصراع الصواريخ، وهذا الأمر يتطلّب استنفاراً ثقافياً وحضارياً يحمي الذاتية الثقافية للأمة العربية من التمييع، أو الذوبان، أو التطبيع المؤدّي إلى التبعية والاستسلام"[illegible].

وتنعكس ثقافة الأمل على المجتمع العربي المعاصر إيجابياً، والدليل على ذلك هو:

- الاهتمام بالواقعية: ويعني الانشغال بالوقائع الملمّة بالناس، ومن ثَمّ تحدث تنمية حقيقية في كلّ مجالات المجتمع.
- ربط الفكر بالتطبيق: ويعني بناء جسور الثقة بين المنظّرين والممارسين في كلّ مجالات المجتمع، ومن هنا يوجد الوسط الخصب لتنمية الفرد والجماعة، وإطلاق طاقات الإبداع عند الجميع.
- التواصل الجيد: ويعني تمكين كل جيل ومساعدته على أن يستفيد من الذي قبله، ويفيد الذي بعده، وهنا تتولد فكرة تواصل الأجيال على طريق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن - معاشر الأنبياء - أُمرنا أن ننزل بالناس منازلهم، ونكلّمهم على قدر عقولهم»[illegible].
- الاهتمام بالمسؤولية الاجتماعية: وتعني تعزيز الهوية، والحفاظ عليها، وغرس الانتماء والولاء للأمة والوطن، وتعزيز شعور البشر بالمسؤولية الاجتماعية وتنميته، من خلال تنمية حسّ الفرد، وتأكيد شعوره ودوره ومسؤوليته تجاه المجتمع؛ لأن المسؤولية الذاتية تحرّك الفرد وتدفعه إلى البذل والعطاء.
- الترابط والتكامل: ويعني تعزيز المشاعر والعلاقات، وتدعيم المصالح بين الناس، مع تأكيد القواسم المشتركة والتكامل والتساند والتآزر بين أبناء الأمة"[illegible]. ولأن هاجس المستقبل أصبح يمثّل رهبةً نشعر بها، بل تحوّل إلى كابوس حقيقي يؤرّق شعوب العالم الثالث، وهي تشعر بالعجز عن اللحاق بركب الحضارة، فهنا يأتي دور الثقافة في كونها تستطيع أن تجعل الإنسان العربي يفكر بطريقة يستطيع من خلالها قراءة حركة المستقبل، والتهيّؤ لمواجهة متغيّراته القادمة.

وعلى هذا، فإننا بحاجة إلى ترميم ثقافة الإنسان العربي، وحمايتها من التشويه والتناقض، وتركيزها في الآمال والطموحات،

بدلاً من تركيزها في التقليد والإحباط. وحتى نكون في حجم التحدي فإنه لا مناص من حشد الإمكانات والقدرات وتنظيمها؛ حتى نستطيع إيجاد جيل قادر على حماية الوجود الحضاري والبناء الثقافي للأمة.

أساليب التربية في تدعيم ثقافة الأمل

تُوجد مجموعة من الأساليب التي يمكن أن تستخدمها التربية من أجل تدعيم ثقافة الأمل، ومن هذه الأساليب ما يأتي:

- أسلوب الانطلاق: ويعني الاهتمام بالمنهجية في تحصيل العلم من خلال حرصها على أن نجعل المتعلم يكون له في كلّ مجال طلب، وفي كل علم قدم، ويأخذ من كل باب بقدر أهميته، إضافةً إلى الاهتمام بوضع العلم في إطار من الهيبة والوقار، والتوازن بين مذاكرته واستمرار عطائه، مع الاطلاع على العلوم الأساسية وأحدث التطورات المحلية والعالمية؛ حتى تتعمق الأفهام، وتنشط العقول.
- أسلوب الإتقان: ويعني الاهتمام بقدرات المتعلمين ومهاراتهم، ومحاولة فهمها وتحليلها؛ حتى يتسنّى رعايتها والعناية بها، مع ضرورة الاهتمام بالميول والفروق الفردية بين المتعلمين، مع التنوع في أساليب التعليم؛ من أسلوب الحكايات إلى أسلوب ضرب الأمثال، إلى أسلوب افتعال المواقف والحثّ على السؤال وفتح المجال له، على أن يتم ذلك في ضوء إذكاء روح التنافس من أجل تنمية المواهب.
- أسلوب الاستمرار: ويعني استمرار التربية في محاولة التأثير في سلوك المتعلم؛ حتى يستطيع مواجهة الصعوبات التي تعترضه في مجالات الحياة، وليكن أمام الأعين قول الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ (الكهف: ٢٨). وهذا الأمر يعني مداومة البذل، والصبر عليه، مع مجاهدة النفس، وتحمّل المعاناة، والتضحية في سبيل صناعة جيل يخدم الأمة.
- أسلوب التوازن: ويعني اهتمام التربية بالتوازن في العلاقات بين المجتمع وأفراده من خلال حسن التعامل مع الجميع، وضرورة الالتزام بالقول والعمل والعلم والأخلاق والصفات والأفعال، وحثّ المتعلم على ذلك، كما أن هذا الأسلوب يفرض على التربية أن تسعى نحو إنماء كل جوانب الشخصية الإنسانية بوصفها كلاً متكاملاً من دون أن يطغى جانب على آخر.
- أسلوب التكيّف: ويعني ضرورة اهتمام التربية بأن تعلّم الأفراد للتأقلم والتكيّف مع المتغيرات الثقافية والاجتماعية من خلال تزويدهم بمهارات التفكير المنظّم، وأساليب فهم المشكلات، وطرائق علاجها، وإكسابهم المعارف الفنية والتقنية ومهارات التعلم الذاتي؛ حتى نحصل على جيل يعرف كيف يتجاوب مع التغيرات الثقافية والتحولات الاجتماعية[٦].

وفي النهاية، إذا أردنا أن نقف على التحديات الحضارية المعاصرة أو المستقبلية فلا بد من وقفة نراجع من خلالها ونقوّم مؤسساتنا الثقافية، نصحح فيها مراكز الثقافة وأدواتها وقدراتها وطاقاتها لمواجهة التغيرات، فنبيّن عناصر الإيجاب التي اكتسبتها، وننبّه على أوجه السلب والقصور وبيان أسبابها، في محاولة للخروج منها، وتصحيحها وتقويمها لتعتدل وتستقيم في وجه التحديات المتتالية، مع إعادة النظر في التنظيمات التربوية القائمة في عالمنا العربي بما يجعلها أكثر قدرةً على مواجهة هذه التحديات.

التربية تحقق التوازن في العلاقات بين أفراد المجتمع



المراجع والهوامش

١- محمد سليم العوا، رؤى في الإدارة التربوية، مجلة المعرفة، ع٥٧، وزارة المعارف، السعودية، ذو الحجة سنة ١٤٢٠هـ/ مارس عام ٢٠٠٠م، ص٩٣، ٩٤.

٢- سليمان إبراهيم العسكري، التعليم والثقافة: العلاقة الغائبة، مجلة العربي، ع٤٩٤، وزارة الإعلام، الكويت، سبتمبر عام ١٩٩٩م، ص٢١، ٢٢.

٣- راجع في ذلك

- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة بيروت، لبنان، د. ت، ص٢٥٢، ٢٥٥.

المنجد في اللغة والأعلام، باب الثاء، مكتبة الشروق، بيروت، لبنان، د. ت، ص٧١.

- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، عام ١٩٩٧، ص٨٣.

٤- صالح هندي وآخرون، أسس التربية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، د. ت، ص٩٠، ٩١.

٥- عبدالله الرشدان، علم الاجتماع التربوي، دار عمار، عمان، عام ١٩٩٣م، ص٣٤.

٦- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، بيروت، د. ت، ص١٢.

٧- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ت، ص١٠٥.

٨- صالح هندي، دراسات في الثقافة الإسلامية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، د. ت، ص٩، ١٠.

٩- ميكل تومبسون وآخرون، نظرية الثقافة، عالم المعرفة، ع٢٢٣، ترجمة: علي الصاوي، مراجعة وتقديم: الفاروق زكي يونس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، صفر سنة ١٤١٨هـ/ يوليو عام ١٩٩٧م، ص٣١، ٣٢.

١٠- محمود عبدالرازق وآخرون، التربية المعاصرة: طبيعتها وأبعادها الأساسية، ط٥، دار القلم، الكويت، عام ١٩٨٩م، ص٣٦-٣٨.

١١- إبراهيم ناصر، التربية وثقافة المجتمع، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت، ص٩٥-٩٨.

١٢- محمد منير مرسي، أصول التربية، عالم الكتب، القاهرة، عام ١٩٩٧م، ص١٨١، ١٨٢.

١٣- محمد الهادي عفيفي، في أصول التربية: الأصول الثقافية للتربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ت، ص١٤٧-١٥٠.

١٤- بربر علوي، العولمة طريق الهيمنة، مجلة الوعي الإسلامي، ع٤٠٩، س٣٦، وزارة الأوقاف، الكويت، ديسمبر عام ١٩٩٩م - يناير عام ٢٠٠٠م/ رمضان سنة ١٤٢٠هـ، ص٦٠، ٦١.

١٥- عمر الرماش، أزمة الفكر العربي، مجلة الوعي الإسلامي، ع٤٠٧، س٣٦، وزارة الأوقاف، الكويت، أكتوبر - نوفمبر عام ١٩٩٩م، رجب سنة ١٤٢٠هـ، ص٣٦، ٣٧.

١٦- عبدالكريم بكار، حضارة أم مدنية؟، مجلة المعرفة، ع٥٢، وزارة المعارف، السعودية، رجب سنة ١٤٢٠هـ/ أكتوبر عام ١٩٩٩م، ص٦٦.

١٧- إبراهيم محمد آل عبدالله، التعليم والأمن في عصر العولمة، مجلة المعرفة، ع٥٣، وزارة المعارف، السعودية، شعبان سنة ١٤٢٠هـ/ نوفمبر عام ١٩٩٩م، ص١٠٤، ١٠٥.

١٨- أحمد عبدالرحمن الصويان، ضيق الأفق، مجلة البيان، ع١٤٦، س١٤، المنتدى الإسلامي، السعودية، جمادى الأولى سنة ١٤٢٠هـ/ سبتمبر عام ١٩٩٩م، ص٨٤.

١٩- راجع في ذلك:

- خالد عبدالعزيز الشريدة، ثقافة العيب، مجلة المعرفة، ع٥٢، وزارة المعارف، السعودية، رجب سنة ١٤٢٠هـ/ أكتوبر عام ١٩٩٩م، ص٩٢، ٩٣.

- عبدالقادر محمود، الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، عام ١٩٩٢م، ص٩٥-٩٨.

محمد عمارة، الإسلام وقضايا العصر، دار الوحدة، بيروت، عام ١٩٩٤م، ص٢٣-٢٥.

- عبدالخالق عبدالله، العولمة وثقافة الخوف، صحيفة الخليج، ع٧٦٢٥، ٢٩ من ذي الحجة سنة ١٤٢٠هـ/ ٤ إبريل عام ٢٠٠٠م، ص١٢.

٢٠- عبدالسميع سيد أحمد، الأيديولوجيا والتربية، مجلة دراسات تربوية، ج٢، عالم الكتب، القاهرة، مارس عام ١٩٨٦م، ص٧٦-٨٢.

٢١- محمد عمارة، العلمانية ونهضتنا الحديثة، دار الشروق، القاهرة، عام ١٩٨٦م، ص٤٢-٤٧.

٢٢- السيد عبدالستار المليجي، الأستاذ الجامعي: الواقع والأمل، مطابع الوفاء، المنصورة، مصر، عام ١٩٨٨م، ص٧١-٧٤.

٢٣ راجع في ذلك:

- عرفات عبدالعزيز سليمان، ديناميكية التربية في المجتمعات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ت، ص٦٣-٧٨.

- محمد الهادي عفيفي، التربية والتغير الثقافي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ت، ص٨٦-٩٧.

٢٤- رواه الترمذي، وابن ماجه، وأبو داود.

٢٥- راجع في ذلك

إبراهيم مطاوع، أصول التربية، دار الشروق، جدة، عام ١٩٨٢م، ص١٧٦-١٧٩.

- السيد عبدالستار المليجي، الأستاذ الجامعي الواقع والأمل، مطابع الوفاء، المنصورة، مصر، عام ١٩٨٨م، ص٨٦-٩٦.

- سليمان إبراهيم العسكري، التعليم والثقافة: أبعاد جديدة في علاقة غائبة، مجلة العربي، ع٤٩٧، وزارة الإعلام، الكويت، إبريل عام ٢٠٠٠م، ص٨-١٣.

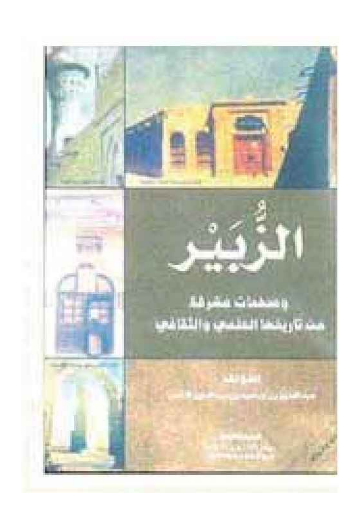
٢٦- راجع في ذلك:

أحمد فهمي، صمات المربي: دراسة تحليلية، مجلة البيان، ع١٤٣، ١٤٤، س١٤، المنتدى الإسلامي، السعودية، رجب سنة ١٤٢٠هـ/ نوفمبر عام ١٩٩٩م، ص٣٦-٤٥، شعبان سنة ١٤٢٠هـ، نوفمبر - ديسمبر عام ١٩٩٩م، ص٣٨-٤٥.

- مصطفى نبيل، الثقافة الأمريكية وثقافة العالم، كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة، أكتوبر عام ١٩٩٩م، ص٥٨-٦٥.

- محمد مورو، حضارتنا وحضارتهم: تشريح جثة الاستعمار، كتاب المختار، القاهرة، د. ت، ص١-٢٢.

- عبدالله الشرقاوي، خطوات في طلب العلم، مجلة البيان، ع١٤١، س١٤، المنتدى الإسلامي، السعودية، جمادى الأولى سنة ١٤٢٠هـ/ سبتمبر عام ١٩٩٩م، ص٦٦-٦٩.



الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي

كتاب جليل القدر، عظيم الفائدة، جمع فيه مؤلفه عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبدالعزيز الناصر كلّ ما كُتب عن مدينة الزبير منذ نشأتها حتى الآن واستوعبه.

بُدئ الكتاب بسيرة موجزة عن حياة المؤلف، ثم تقديم للكتاب خطّه براعة المستشار عبدالله بن عقيل بن سليمان العقيل - الأمين العام المساعد لشؤون المساجد في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة - وبتقديم آخر للأديب أحمد بن عثمان بن سعود البسام، أوجزا فيه مضمون الكتاب، وأشادا به وبمؤلفه، ثم جاءت مقدمة المؤلف التي تحدث فيها عن الجهد الكبير الذي بذله لإعداد هذا الكتاب وإخراجه بهذه الصورة المشرقة.

وقد انبسط الكتاب في اثني عشر فصلاً، تناول الفصل الأول الأسباب الرئيسة التي أدّت إلى هجرة المهاجرين من أهل نجد إلى بلدة الزبير، وهي العامل الاقتصادي، والأمني، والسياسي، والاجتماعي، والعلمي، وناقش كلّ ذلك بالتفصيل. وتحدث المؤلف في الفصل الثاني عن نشأة بلدة الزبير، وسبب تسميتها، وموقعها، وفي الفصل الثالث تكلّم على تأسيس المهاجرين من أهل نجد بلدة الزبير، واختيار موقعها، وإن مربد مدينة البصرة وقع معظمه فيها، مع قسم من مدينة البصرة القديمة، كما تناول طبيعة أرضها، ومناخها، ومياهها.

أما الفصل الرابع، فقد خصّصه المؤلف لذكر معالم بلدة الزبير، ومنها: الدريهمية، وسفوان، وجبل سنام، وأم القصر، والشعيبة، والبرجسية، وتحدّث عن سورها وقصورها، وأفرد الفصل الخامس لزراعتها، وصناعتها، وتجارتها، منوّهاً بموقعها التجاري، ذاكراً أهم مزارعها، وبعض المصنوعات التي تصنع فيها.

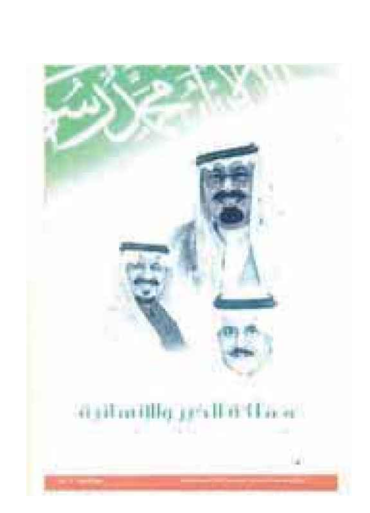
وتناول في الفصل السادس طرق مواصلاتها البرية والمائية والحديدية، وفي الفصل السابع عدد سكانها، وفي الفصل الثامن الأحوال السياسية، وتطور الحكم فيها، والأسر التي حكمتها، والمشايخ الذين تناوبوا على الحكم فيها.

ويتحدث المؤلف في الفصل التاسع، وهو أهمّ فصول الكتاب وأكبرها، عن الحركة العلمية والثقافية في الزبير، وبدأه بتوطئة للتقدم العلمي والثقافي في الزبير، والمناهج العلمية والثقافية فيها، ثم أفاض في الحديث عن علماء الزبير، ذاكراً جميع أسماء علماء الزبير ومشايخها، ومتحدثاً عنهم وعن مؤلفاتهم ومشايخهم وتلاميذهم وأعمالهم الجليلة، ويكاد يكون هذا الفصل كتاباً قائماً برأسه في التراجم، كما تحدث عن المدارس في الزبير، وأنواعها من أهلية ونظامية حكومية وكتاتيب وغيرها، وذكر أسماء المدرسين الذين درّسوا في هذه المدارس والطلاب، وكلّ ما يتعلق بهذه المدارس من مناهج وأنظمة وغير ذلك، ثم تحدث عن المكتبات العامة والخاصة في الزبير، وعن الشعر والشعراء فيها، ذاكراً بعض أشعارهم ودواوينهم، كما تحدث عن أشهر بيوتات الزبير ووجهائها، وخصّص مساحةً صغيرةً للأمثال الشعبية فيها، وأفرد بحثاً للصحافة والصحافيين، وأشار إلى بعض المسارح الفنية في البلدة، وترجم لبعض الشخصيات الفذة التي دعمت الحركة العلمية والثقافية فيها، كما أفرد بحثاً صغيراً عن الطب والأطباء، والعلاج والطب الشعبي في الزبير، كما تناول علاقة الزبير بالعراق، ونجد، والحجاز، والبحرين، والكويت، وغيرها من البلاد العربية.

وخصص الفصل العاشر للحديث عن المساجد في بلدة الزبير. ذاكرا اسماء جميع المساجد، واسماء من بنوها، وائمتها. وفصل القول في الفصل الحادي عشر عن الجمعيات الخيرية في الزبير. ذاكرا اسماءها، واعضاءها، وأعمالها. وفي الفصل العاشر والأخير تناول صفحات مشرقة من تاريخ الدعوة الاسلامية في الزبير.

وختم المؤلف كتابه بخاتمة موجزة لخص فيها عمله فيه. والحق في الكتاب ملحقا جمع فيه كثيرا من صور العلماء والسياسيين والمدرسين، وصور بعض المساجد والمدارس والمنازل المشهورة في الزبير. وذكر المصادر والمراجع التي رجع اليها، واستفاد منها. كما ذكر جدولا بأسماء الرواة من اهل الزبير. ثم فهرسا تفصيليا لموضوعات الكتاب.

والحقيقة أن الكتاب يعدّ موسوعة كاملة عن كل ما كُتب عن بلدة الزبير. وبذل فيه مؤلفه جهداً كبيراً استغرق زمنا طويلا جدا. وهو جدير بالقراءة لما فيه من فوائد ومعلومات قيّمة. وقد بلغ عدد صفحاته ٧٦٦ صفحة من القطع الكبير.



صدور كتاب مملكة الخير والإنسانية

صدر حديثاً عن دار الراية الشرقية للنشر والتوزيع كتاب «مملكة الخير والإنسانية: إنجازات واقعية حقيقية» برعاية صاحبة السمو الملكي الاميرة عادلة بنت عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، رئيسة مجلس إدارة جمعية سند الخيرية لدعم الأطفال المرضى بالسرطان. والكتاب للأستاذ سعيد محمد العماري، الباحث والمهتم بالعمل الانساني الخيري في المملكة العربية السعودية.

وتقوم الدار بتخصيص العائد من ريع هذا الكتاب لمصلحة أعمال جمعية سند الخيرية وأنشطتها؛ لمساندة الأنشطة والبرامج التي تتولاها الجمعيات الخيرية والإنسانية لتحقيق أهدافها النبيلة.

ويرصد الكتاب معلومات موثقة عن إستراتيجية تنظيم الخير في حقب مختلفة من تاريخ المملكة، وهو مرجع كامل مفصّل البيانات عن الخدمات الجليلة والأعمال الخيرية الرائدة التي قامت بها قيادة المملكة منذ عهد الملك عبدالعزيز، الذي يعدّ الأساس والقدوة والنموذج، حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز رائد الخير وملك الإنسانية.

ويتضمن الكتاب تعريفا بجهود جامعة الملك عبدالله بن عبدالعزيز للعلوم والتقنية حلم ملك الإنسانية منذ ثلاثة عقود، ومؤسسة الملك عبدالله بن عبدالعزيز لوالديه للإسكان التنموي؛ تلك المؤسسة الإسكانية الخيرية الفعالة في مساعدة المواطنين المحتاجين، وجهود سمو ولي العهد الامير سلطان بن عبدالعزيز، وهو مؤسسة خيرية بذاته، الى جانب الأعمال الانسانية لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، ومؤسسة الملك خالد الخيرية، ومؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية؛ ذلك الصرح الخيري الرائع في خدمة المجتمع، والجمعية الخيرية لرعاية الأيتام بمنطقة الرياض (إنسان)، التي يرعاها سمو أمير منطقة الرياض الأمير سلمان بن عبدالعزيز رئيس مجلس الادارة، والقاسم المشترك لكل أعمال الخير والوقفات الانسانية.


30e
SALON
DU LIVRE
DE PARIS
26 au 31 mars 2010
SALONDULIVREPARIS.COM
Livre
MAIRIE DE PARIS
ENTRÉE

معرض باريس الدولي يستقبل مليوناً و٥٠٠ ألف زائر

باريس: خاص - مجلة الفيصل

تميّز معرض الكتاب الدولي في دورته الثلاثين، المنعقد في قصر المعارض ببوابة فرساي بباريس، بمشاركة عربية ضعيفة وجدل كبير في الأوساط العربية المسلمة لاستضافة صاحب (آيات شيطانية). واستقبل بهذه المناسبة ما يزيد على مليون ونصف مليون زائر، وما يزيد على ٩٠ كاتباً من مختلف البلدان، من بينهم: سلمان رشدي، وأمبرتو إيكو، وبول أوستر.

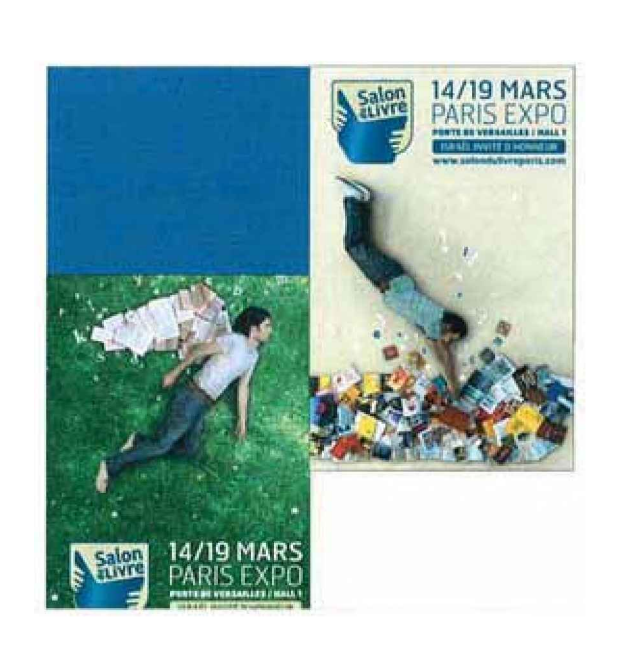
شارك في الدورة الثلاثين لمعرض الكتاب الدولي ببوابة فرساي ٩٠٠ ناشر، من بينهم ١٥٠ دار نشر صغيرة، وكانت المشاركة العربية هزيلة جداً، اختصرت في مشاركة ثلاثة بلدان مغاربية ولبنان. كما شارك في المعرض ١٥٠ منتجاً سينمائياً، و٨٠ مخرجاً، اجتمعوا للمرة الأولى من أجل التباحث في (حقوق النشر).

هذا المعرض، الذي فتح أبوابه منذ ٢٦ مارس الماضي حتى ٣١ من الشهر نفسه لجمهور يتقن فن التعامل مع الكتاب، عرف هذه السنة ثورة في النشر الإلكتروني، في وقت يرى فيه بعض المتابعين صعوبة هذا النوع من النشر مع أن الناشرين قدّموا حتى اليوم ٣٥٠ ألف عنوان أدبي بطبعة رقمية، معظمها ليست متوافرة إلا باللغة الإنجليزية. وقال بيار مونيه - مدير المركز الإلكتروني للنشر المفتوح - لمجلة (الفيصل): «إنها دائرة مغلقة: فالناشر الفرنسي لم ينفتح بعد على هذه النوعية من النشر: مما جعلها حتى الآن هشة في فرنسا، ويمكن أن نقول عنها: حديثة، في الوقت الذي يتقدم فيه محرك البحث جوجل، أتصور أنه على الناشرين الفرنسيين التحرك الآن».

ومع أن المعرض في احتفاله بسنته الثلاثين ضمّ مختلف البلدان من العالم، إلا أن الوجود العربي كان ضعيفاً جداً، بل يكاد يكون مختزلاً في بلدان المغرب العربي التي حضرت بأجنحة كبيرة كانت نافذةً للقارئ الفرنسي على المغرب العربي والإسلام، في وقت ينطلق فيه الفرد الفرنسي من أحكام مطلقة غذّتها السياسة والنخبة الفرنسية التي لا تريد أن تتقبل الإسلام في مختلف صوره، التي كثيراً ما تعدّها إهانة للمرأة، وعلى رأسها النقاب الذي توعّد الرئيس نيكولا ساركوزي في خطابه الأخير باقتلاعه من جذوره، ومنعه بأي شكل من الأشكال.

وتحدث محمد مستيري - مدير المعهد العالمي للفكر الإسلامي بفرنسا - لمجلة (الفيصل) عن الجمهور الذي يزور جناحه في هذا المعرض قائلاً: «المعهد العالمي للفكر الإسلامي كان أول معهد بطابع إسلامي يرخّص للمشاركة في معرض باريس منذ خمسة أعوام. ومن روّادنا عامةً أهل التخصّص من العرب والمسلمين. أما الأقلية الفرنسية التي تزورنا خلال أيام المعرض منذ خمس سنوات فهي أقلية تحمل آراء سلبية جداً عن الإسلام والمسلمين، خصوصاً بعد تنامي الإسلامفوبيا في فرنسا، ويسألوننا عن مواقف الإسلام، وعن الشبهات عن الإرهاب. وهناك من أهل الفضول من يسألنا عن علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، خصوصاً بعد الحملة اليومية ضد الإسلام والمسلمين التي تؤثّر في الجمهور الفرنسي عامةً. وأرى أن وجودنا في هذا المعرض أكثر من مهم، وأن الجناح لا يزوره إلا الأقلية».

ومن جهة أخرى، قال ألن فوريس - مدير دار المنار للنشر - وهي دار نشر فرنسية نشأت في الدار البيضاء عام ١٩٧٧م، وبدأت بالنشر المشترك بين المغرب وباريس عام ١٩٩٥م، وهي تهتم بالشعر والإبداع العربي المكتوب بالفرنسية، أو العربية ومترجم إلى الفرنسية: الإقبال كبير جداً من الفرنسيين الذي يرغبون في قراءة الآخر: هذا العربي الذي كثيراً ما يرتبط في ذهن الأوروبي عامةً بالإرهاب والتعسف ورفض الآخر والانغلاق على الثقافات الأخرى. ويمكنني أن أجزم أن العناوين الأدبية التي أحضرناها ستنال رضا القارئ ككل سنة؛ لأننا بوابة على المغرب العربي بالدرجة الأولى والعالم العربي أيضاً. وكانت المغرب حاضرةً بجناح ضمّ عشر دور نشر، تنوع إنتاجها بين الأدبي والتاريخي وكتب الأطفال التي نالت إعجاب الزائرين، خصوصاً أن اليوم الأول خصّص أيضاً لزيارة تلاميذ المدارس الفرنسية. وقالت فيرونيك دوبوا - تلميذة بمدرسة



باريسية -: إنها تحب كتب الأطفال المغربية، ومتعوّدة على شرائها؛ لأنها تفتح لها آفاقاً للحلم المشترك بينها وبين الأطفال في المغرب العربي، خصوصاً أنها تدرس مع كثير من المغربيات والتونسيات والجزائريات اللواتي يشاركنها في كل شيء، وتودّ هي مشاركتهم في الحلم الطفولي.

وذكرت الأستاذة العلوي الهاشمي أمينة - مديرة دار ينبع - أنها راهنت منذ الدورة الأولى لمعرض الكتاب منذ ٣٠ سنة على كتاب الطفل ذي المرجعية التراثية، وعاهدت نفسي على إيصال التراث المغاربي إلى أطفال أوربا، خصوصاً أن كتاب الطفل الأوربي عامةً، والفرنسي خاصةً، يصل إلى أطفالنا بشكل دائم؛ لذلك أحببت إيصال كتبنا إلى الآخر بشكل يكون بعيداً من طابع الدين؛ لكيلا نوضع في دائرة الاتهام بالمتاجرة بكتاب الطفل، وإنما إيصال التراث المغاربي إلى الطفل المغترب والطفل الفرنسي على وجه الخصوص».

من جهتها شاركت لبنان بجناح ضم ١٢ ناشراً من لبنان وسورية، تفرّد بنشر المصحف الناطق بخمس لغات المرفق بقلم إلكتروني، الذي يضم عدة مزايا: التحفيظ، والتسجيل، والمقارنة بالنص القرآني الأصلي، والتصنيفات، وأحكام التجويد، وإعراب القرآن، والقراءات، وأسباب النزول، واستخراج الأحاديث المرتبطة بالآية المقروءة، وحظي المصحف بإقبال كبير من الجالية العربية المقيمة في فرنسا حسبما قال محمد هشام الحسن المشرف على الجناح.

وشاركت تونس بدار الكتب التي أحضرت مزيجاً ثرياً متنوعاً من الأدبيات التونسية، وكتب الفكر الإسلامي التي تتحدث عن الحسبة والقضاء ودور المرأة في المجتمعات الإسلامية.

وحضرت الجزائر بـ٤٠٠٠ عنوان متنوع بين الأدب والتاريخ وأدب الطفل والفكر والقانون، وجاءت الكتب كما قالت حميدة زيوي - من المؤسسة الجزائرية للفنون المطبعية - من إصدارات أعوام ٢٠٠٨، و٢٠٠٩، و٢٠١٠م، وسيشهد الجناح الجزائري البيع بالإهداء لأكثر من ٢٠ كاتباً وإعلامياً جزائرياً.

كما شهد هذا المعرض مشاركة ٩٠ كاتباً من العالم في ورشات حضرها الجمهور في فضاء الكلمة المفتوح، ومن بين أهم الندوات التي نظّمها المعرض ندوة دار غاليمار الفرنسية للنشر؛ إذ أدلى أنطوني غاليمار - المدير العام للدار - بتصريحات زادت من الضغط على محرّك البحث جوجل: لتُضاف غاليمار إلى مجموعة مارتنير ومؤسسة أهل الأدب والنقابة الفرنسية للنشر التي تحارب محرّك البحث الذي يقوم برقمنة الكتب من دون إذن أصحابها. فقد قال أنطوني غاليمار في هذا الصدد: «في بداية السنة جمعنا بجوجل اتصالات جعلتنا نتفاءل بتطور ملموس فيما يتعلق بملف الرقمنة غير الشرعية للكتب، ولكن لم يتغير شيء في النهاية». ولم يعد الناشر يخفي استنكاره لما تقوم به المجموعة الأمريكية التي ترقمن كل إنتاجها من دون موافقة أصحاب الحقوق؛ فخلال السنوات الست الأخيرة قامت المؤسسة الأمريكية برقمنة ما يزيد على ١٢ مليون عنوان بالاتفاق مع المكتبات الجامعية وناشرين من كل دول العالم حسبما صرّحت به. وبعد سنوات، وفي ١٨ ديسمبر عام ٢٠٠٩م، أصدرت محكمة باريس حكماً ضد مجموعة جوجل، ودعت إلى وقف عمليات الرقمنة غير الشرعية، وسحب الكتب التي قامت برقمنتها من دون اتفاق مسبق مع دور النشر أو أصحاب المؤلفات.

وجاءت مطالبة غاليمار ودور النشر الأخرى بوقف عملية الرقمنة، وسحب المؤلفات التي لم يُستأذن أصحابها ورُقمنت عن طريق القرصنة، في وقت يعدّ محرجاً جداً لجوجل: بقصد الوصول إلى حلّ سريع مع المجموعة، في الوقت الذي أعلنت فيه المجموعة في أمريكا انطلاق مشروع (أيباد أبل)، الذي يمكنه تحميل أيّ كتاب قامت جوجل برقمنته وتصنيفه ضمن قائمة كتبها الرقمية.

ومن جهته، قال سرج إيرول - رئيس نقابة الناشرين الفرنسية المتابعة القضائية للمجموعة الأمريكية -: «النقابة الفرنسية للناشرين تودّ أن ينضم ناشرون آخرون إلى هذه الحملة ضد الرقمنة غير الشرعية».

وقالت أصوات في النقاش: إن وزارة الثقافة الفرنسية يمكنها القيام بدورها: للإسهام في المتابعة القضائية لجوجل التي رقمنت الكتب الصادرة عنها من دون إذن منها، لكن هناك من رفع نداء الحوار مع جوجل، رافضاً ما سمّاه بحلول الجبر أو القوة؛ أمثال فردريك متيران.

إضافةً إلى الفائدة التي قد تجنيها دور النشر الفرنسية من المجموعة الأمريكية، رأى بعض المتابعين أنها فرصة ذهبية جمعت الناشرين في فرنسا في وقت عصيب تمرّ به نقابتهم، التي لم يتّفق المنتمون إليها حتى على من يكون رئيساً لها.



د. سعيد عبدالفتاح عاشور

شيخ المؤرّخين العرب كما عرفته

فراج عطا سالم
الرياض - السعودية

عرفتُ بالمصادفة البحتة من خلال أحد الأصدقاء القادمين من القاهرة بوفاة شيخ المؤرِّخين وعميدهم، وفارس دراسات تاريخ العصور الوسطى بلا منازع، أستاذي وأستاذ الجيل الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور؛ رئيس اتحاد المؤرخين العرب السابق، وأستاذ كرسيّ تاريخ العصور الوسطى بجامعة القاهرة، وتلميذ الدكتور محمد مصطفى زيادة رحمه الله، وأستاذ ورئيس لجنة تحقيق التراث العربي والإسلامي بمركز تحقيق التراث القومي ونشره بدار الكتب المصرية، ورئيس الجمعية التاريخية السابق بمصر، وأحد من وُكلت إليهم إعادة كتابة تاريخ ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م، وغير ذلك من المناصب والمراكز التي شغلها، وعشرات المؤتمرات التي حضرها رحمه الله تعالى.

بداية علاقتي به

كانت بيني وبين د. سعيد عبدالفتاح عاشور علاقة قوية أفخر بها، وأظلّ أذكرها متشرِّفاً بها، واضعاً إيّاها نصب عيني وفي ذاكرتي وذكرياتي؛ فهي تمثِّل عندي حظّاً طيباً، ومنّة من الله تعالى عليّ وعلى أمثالي ممن عرفوا وتشرفوا بمعرفة هذا العالم الجليل الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور رحمه الله.

بدأت صلتي به - رحمه الله تعالى - في سبعينيات القرن الميلادي الماضي، فبعد أن تخرّجت في كلية الآداب بجامعة عين شمس التحقتُ طالباً في عام ١٩٦٨م بمعهد إحياء التراث القومي ونشره بدار الكتب المصرية، التابع لوزارة الثقافة المصرية حينذاك، ثم عُيِّنت للعمل مساعد باحث في المركز. فذهبتُ حينذاك إلى أستاذي الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور. وكان قد سبقني إلى العمل معه أخي الأستاذ عبدالعزيز محمود عبدالدايم شفاه الله، وقد رحّب بي - رحمه الله - وطلب أن يعرف خطي، فكتبت له (بسم الله الرحمن الرحيم)، فأعجبه خطي، وبدأتُ في نسخ الجزأين الثالث والرابع من كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزي. وهما تتمة الجزأين الأول والثاني من الكتاب الذي حقّقه أستاذه الدكتور محمد مصطفى زيادة رحمه الله.

علاقته بتلاميذه

أما عن علاقته بتلاميذه، فقد أوكل إلى الدكتور حسنين محمد ربيع، الذي كان قادماً الآن من لندن بعد حصوله على الدكتوراه، تحقيق كتاب (مفرِّج الكروب في أخبار بني أيوب)، ورشّحنا أنا والاخوة عبدالعزيز محمود عبدالدايم ولبيبة إبراهيم مصطفى ويحيى محمود الحديني للعمل في لجنته. إضافة إلى تكليفه تلميذه الدكتور محمد محمد أمين بتحقيق كتاب (تذكرة النبيه في أخبار المنصور وبنيه)، واستمررنا معه أيضاً مساعدين باحثين. وهكذا تعلّمنا التحقيق وأصوله على يد أستاذنا الدكتور سعيد عاشور وتلميذيه.

خصاله الحميدة

كانت من خصاله الحميدة التي لا ينكرها أحد من تلاميذه حبّه إياهم حبّ الأب أبناءه، ورعايته لهم، والأخذ بأيديهم وتشجيعهم لنيل الدرجات العلمية من الماجستير والدكتوراه، بل سعي إلى تعيينهم في الجامعات والكليات المصرية. وكنا دائماً نُدعى إلى حضور تلك المناقشات في جامعة القاهرة وغيرها. وقد ظلّت صلتي به - رحمه الله - حتى سافرتُ إلى المملكة العربية السعودية للعمل محاضراً بجامعة أم القرى (الملك عبدالعزيز سابقاً). ولم تنقطع تلك العلاقة قط: فقد كنت دائم السؤال عنه رحمه الله.

جائزة الملك فيصل العالمية

منذ ثلاثة أعوام أعلنت مؤسسة الملك فيصل الخيرية عن الترشيح لجائزة الملك فيصل العالمية في موضوع الحروب الصليبية. وقد تحمّست - بفضل الله تعالى - للموضوع، واتّصلت بزملائي في دار الكتب المصرية ومركز تحقيق التراث الذي رشحه لنيل هذه الجائزة الى جانب ترشيح جامعتي القاهرة والأزهر. ولكن - بكل أسف - لم يحظ أستاذنا رحمه الله بنيلها.

وهذه قائمة بأسماء بعض كتبه التي امتلأت بها المكتبة العربية. والتي تعدّ مراجع أساسية في تاريخ العصور الوسطى: أوربا العصور الوسطى، والأيوبيون والمماليك في مصر والشام، وبحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، والجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين (تحقيق)، والجامعات الأوربية في العصور الوسطى، والحركة الصليبية (جزءان)، والحصار الاقتصادي على مصر زمن الحروب الصليبية، وسلطنة المماليك ومملكة أرمنيا الصغرى، والسلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ج٣، ٤ (تحقيق)، وشخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية، والعصر المماليكي في مصر والشام، وغاية الأماني في أخبار القطر اليماني، وقبرص والحروب الصليبية، والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، والمدنية الإسلامية و آثارها في الحضارة الأوربية، ومصر في عصر دولة المماليك البحرية، ومصر في العصور الوسطى بالاشتراك مع عبدالرحمن الرافعي، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، ج٢٢ (تحقيق).

رحم الله أستاذنا وأستاذ الجيل وفارس تاريخ العصور الوسطى، وجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.



أجرها الجنة

كفالة مدى الحياة

كفالة اليتيم أجرها مرافقة نبينا الكريم بالجنة ، وتتاح في "إنسان" فرص كفالة اليتيم بصور متعددة ومن ذلك المساهمة بمبلغ (٦٠٠٠٠) ستين الف ريال تودع في "صندوق أوقاف إنسان" كصدقة جارية ، ومن خلال ارباح هذا المبلغ السنوية تتم كفالة يتيم واحد لمدة عام بقيمة (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف ريال، وعند بلوغ اليتيم سن الرشد يتم اختيار يتيماً آخر لتصبح كفالة الكافل مدى الحياة .



الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام
CHARITY COMMITTEE FOR ORPHANS CARE

للتبرع او الاستفسار يرجى الاتصال على الرقم الموحد **٩٢٠٠٠١١٣٣**

مصرف الراجحي: ١٦٤٦٠٨٠١٠٠٠٠١٩٠
مجموعة سامبا المالية: ٩٩٠٧٠٠٤٧٥٨
بنك الرياض: ٢٠١١٦٩٣٠٤٩٩٠١
البنك الأهلي التجاري: ٢٢٣١٩٠٠٠٠٠٠٢٠٠
البنك السعودي الفرنسي: ٧٧٩٦٤٠٠٠١٦٣
بنك ساب: ٠٢٠٠٩٩٩٩٠٤٧٢
البنك العربي الوطني: ٠١٠٠٨١١٧٤٠٠٠٠٠
البنك السعودي الهولندي: ٠٣٣١٧٨١٠٠٠٠٥
بنك البلاد: ٩٩٩٣٣٣١١١١٠٠٠٥

عند إجراء أية عملية بنكية يرجى إرسال صورة منها على فاكس ٠١/٤٩٢٠١٨٤

www.ensan.org.sa





العدد المزدوج ٤٠٣ - ٤٠٤

المحرم - صفر ١٤٣١هـ

الفائز الأول:	رشيد عبدالواحد الأموي - صنعاء - اليمن
الفائز الثاني:	مجد مروان مراد - دمشق - سورية
الفائز الثالث:	أحمد إبراهيم مهلهل عبدالباقي - الجيزة - مصر
الفائز الرابع:	هشام عقوني - قرارم - الجزائر
الفائز الخامس:	ثريا زكريا عبدالله بيلا - مكة المكرمة - السعودية
الفائز السادس:	أنور يوسف محمد جماد - عمان - الأردن
الفائز السابع:	نادية رشك باني - البصرة - العراق
الفائز الثامن:	حسني سلام الرومي - أبوظبي - الإمارات

حل مسابقة

العدد المزدوج ٤٠٣ - ٤٠٤

المحرم - صفر ١٤٣١هـ

١- الذي عوتب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سماوات هو عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه.

٢- أول الشباب هو الشرخ.

٣- الشنتو هي ديانة يابانية، ويعني اسمها: الطريق إلى الآلهة.

CUT IT OUT

أسئلة مسابقة

العدد المزدوج ٤٠٩ - ٤١٠

رجب - شعبان ١٤٣١هـ

(١) من هو أول سكرتير عام لهيئة الأمم المتحدة؟

....

(٢) ما الأشهر الحرم؟

....

(٣) ما أقوى الحيوانات ذاكرةً؟

....

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة ثالثة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

تأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات الإخوة القراء المتابعين للمسابقة تمت زيادة قيمة الجوائز، بعد أن سبق مضاعفتها من قبل.

فقد تم رفع قيمة الجائزة الأولى من ١٠٠٠ ريال إلى ١٥٠٠ ريال، والجائزة الثانية من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ ريال، والجائزة الثالثة من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ ريال، والجائزة الرابعة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ريال، والجائزة الخامسة من ٢٥٠ ريالاً إلى ٣٥٠ ريالاً، والجائزة السادسة من ١٥٠ ريالاً إلى ٢٥٠ ريالاً، وتظل الجائزتان السابعة والثامنة على ما كانتا عليه.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



قسيمة اشتراك أفراد (مخفضة)



الاسم: ....

العنوان: ....

المدينة: ....

الدولة: ....

ص.ب: .... الرمز البريدي: .... هاتف: .... ناسوخ: ....

- قيمة الاشتراك السنوي لـ (١٢ عددا) ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.
- ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصدق لأمر مجلة الفيصل الثقافية، أو يتم توريدها في حسابنا رقم (٠٠١ - ٠٥٥٥٠٥ - ٠٠٤) في البنك السعودي البريطاني. شارع العليا العام - الرياض. أيبان: ٥٠٠١ ٠٥٥٠ ٠٠٤٠ ٠٠٠٠ ٤٥٠٠ ٨٧٥٩ SA
- يشترط إرفاق القسيمة مع طلب الاشتراك.

ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية - هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١



إفريقية غير

الهوس بكرة القدم يصل ذروته في كأس العالم، وتزداد حمى التشجيع وتختلف أشكاله من دورة إلى أخرى.

وقد أضافت إفريقية إلى هذه المنافسة التي تقام على أرضها أول مرة تقاليع جديدة تنبع من تقاليدها وألوانها وموسيقاها، فازدادت حرارة المنافسة مبكراً على الرغم من برودة جوّ جنوب إفريقية في هذا الوقت من السنة.